معاني القرآن وإعرابه

للزجاج

أبي إسحق إبراهيم بن السري

المتوفى سنة ٣١١ هـ

شرح وتحقيق

دكتور عبد الجليل عبده شلبي

الجزء الخامس

عالم الكتب

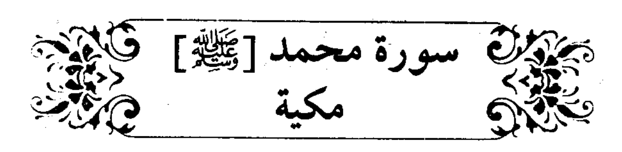
الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

معاني القرآن وإعرابه





بيروت - المزرعة ، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣
تلفون : ٣٠٦١٦٦ - ٣١٥١٤٢ - ٣١٣٨٥٩ - برقياً : نابعلبكي - تلكس : ٢٣٣٩٠



سورة محمد [ﷺ] مكية

بسم اللّـه الرحمن الرحيم

﴿[الَّذِينَ كَفَرُوا وصَدُّوا عَنْ سَبِيل اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ]﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهم﴾.

أحبطها فلا يرون في الآخرة لها جزاء، والمعنى أن حبط ما كان من صدَقَاتِهِمْ وصلتهم الرَّحِمَ وأبواب البر بكفرهم، كما قال عزّ وجلّ: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهُمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُم حَسَرات عَلَيْهِمْ﴾[1] وقوله ﴿كَسَرَابٍ بِقيعَةٍ﴾[2] وهؤلاء هم الذين صدوا عن النبي ﷺ والدليل على ذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وآمنوا بما نُزِّلَ عَلَى مُحمَّدٍ وهو الحقُ مِنْ رَبِّهِمْ كفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِم، [وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ]﴾.

أي كفَّر عَنْهُم وما اقترفوه وَهُمْ كافرونَ لمَّا آمنوا باللَّه وبالنبي عليه السلام، وسائر الأنبياء أجمعين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾.

أي أصْلَحَ أَمْرَهُمْ وحالهم.

وقوله: ﴿ذَلِكَ بأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتبعوا البَاطِلَ﴾.

أي الأمر ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل. وجائز أن يكون ذلك الإضلال لاتباعهم الباطل، وتلك الهداية والكفارات باتباع المؤمنين الحقَ، ثم قال عزّ وجلّ:

---

(١) سورة البقرة /١٦٧.

(٢) سورة النور الآية ٣٩: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُم كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ﴾.

﴿كذلك يَضْرِبُ اللَّهُ للنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ﴾.

أي كذلك يبين اللَّه للناس أمثال حسنات المؤمنين وسيئات الكافرين أي كالبيان الذي ذكر، ومعنى قول القائل: ضربت لك مثلاً، أي بينت لك ضرباً من الأمثال، أي صنفاً منها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾.

معناه فاضربوا الرقاب ضرباً، منصوبٌ على الأمر، وتأويله فإذا لقيتُم الذين كفروا فاقتلوهم، ولكن أكثر مواقع القتل ضرب العُنُق، فأعلمهم اللَّه - عزّ وجلّ - كيف القصد، وكيف قال: ﴿واضْرِبُوا مِنْهُم كُلَّ بَنَانٍ﴾[1] أي فليس يتوهم بهذا أن الضّربَ محظور إلاّ على الرَّقبة فقط.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ﴾.

﴿أثخنتموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل، كما قال: ﴿ما كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَه أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ في الأَرْضِ﴾[2]، فالأسر بعد المبالغة في القتل.

ثم قال: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾.

أي بعد أن تَأْسِرُوهُمْ إما مننتم عليهم مَنًّا، وإما أطلقتموهم بفداء.

وقوله: ﴿حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾.

﴿حتى﴾ موصولة بالقتل والأَسْرِ، المعنى فاقتلوهم وأسِرُوهُمْ حتى تضع الحرب أوزارها. والتفسير حتى يؤمنوا وَيُسْلِمُوا، فلا يجب أن تحاربوهم، فما دام الكفر فالجهاد والحرب قائمة أبداً.

وقوله: ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءَ اللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾.

---

(١) سورة الأنفال الآية ١٢.

(٢) سورة الأنفال الآية ٦٧.

﴿ذلك﴾ في موضع رفعٍ، المعنى الأمر ذلك، ويجوز أنْ يكون مَنْصُوباً على معنى افعلوا ذلك.

﴿وَلَوْيَشَاءُاللَّهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾.

أي لويشاء اللَّه لَعذَّبَهُمْ وأهلكهم لأنه قادِرٌ عَلَى ذَلِك.

﴿وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ﴾.

المعنى ولكن أمركم بالحرب ليبلو بعضكم ببعض، أي ليمَحِصَ اللَّه المؤمنين ويمحقَ الكافِرينَ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يَضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

ذكر في أول السورة: ﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل اللَّه أضل أعمالهم﴾ وأعلم أن الذين قاتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم، ويقرأ عَلَى أربعة أوْجُهٍ: قَاتَلُوا في سبيل اللَّه، وقُتِلُوا في سبيل اللَّه، على ما لم يسمَّ فاعله، ويُقْرَأُ قُتِّلُوا بتشديد التاء، ويُقْرَأُ قَتَلُوا في سبيل اللَّه، بفتحِ القاف.

وقوله: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾.

يُصْلِحُ لَهُمْ أمر معاشهم في الدنيا مع ما يجازيهم به في الآخرة، كما قال - عزّ وجلّ - : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِم مِنْ رَبِّهِمْ، لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ [وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِم]﴾[1] أي لو أنهم قبلوا ما فيها وما في الكتب وعملوا به لأكلوا من فوقهم ومن تحت أَرْجُلِهم، وكما قال: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّه كان غفَّارا، يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُمْ بأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾[2] فوعد اللَّه عزّ وجلّ المؤمنين إصلاح شأنهم وبالهم في الدنيا والآخِرة.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

---

(١) سورة المائدة /٦٦.

(٢) سورة نوح الآيات ١٠ - ١٢.

﴿الَّذين﴾ في موضع رفع على الابتداء. ويكون ﴿فتعساً لهم﴾ الخبر، ويجوز أن يكون نصباً على معنى أتعسهم اللَّه. والتعس في اللغة الانْحِطاطُ والعُثور.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُم كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

كرهوا القرآن ونبوة النبي عليه السلام فأحبط اللَّه أعمالهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

المعنى فينظروا كيف كان عاقبة الكافرين الذين من قبلهم.

﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾، أي أهلكهم اللَّه.

﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ أي أمثال تلك العاقبة، فأهلك اللَّه عزّ وجلّ بالسّيف من أهلك ممن صد عن النبي ﷺ.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي بأن اللَّه ولي الذين آمنوا يتولّاهم في جميع أُمُورِهم في هدايتهم والنصر على عدوهم.

﴿وَأَنَّ الكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾.

أي لا ولي لهم ينصرهم من اللَّهِ في هِدَايةٍ ولا عُلُوّ على المؤمنين، ثم أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - ما أعد للمؤمنين مع النصر والتمكين، وما أَعَدَّ للكافرين مع الخذلان والإضلال فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وعملوا الصالحاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾.

ثم بين صفات تلك الجنات وقال:

﴿والَّذِين كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾.

والمثوى المنزل.

وقوله - عزّ وجلّ - : وَكَأَيِّن مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾.

المعنى وكم من أهل قَرْيةٍ هي أشد قوّةً مِنْ أَهْلِ قَرْيتِكَ التي أخرجتك. أي الذين أخرجُوك أهلكناهم بتكذيبهم للرسل فَلاَ نَاصِرَ لَهُمْ، ثم أعلم فقال:

﴿أفَمَنْ كَانَ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّه كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ.

وهذه أَلِفُ توقِيفٍ وتَقْريرٍ، لأن الجواب معلوم، كما أنك إذا قُلْتَ من يفعل السَّيئات يشق، ومن يفعل الحسنات يَسْعَد، ثم قلت: الشقاء أحب إليك أم السَّعادَة. فقد علم أن الجواب السَّعَادَة، فهذا مجرى ألف التوقيف والتقرير.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَثَلُ الجنَّةِ﴾.

تفسير لقوله تعالى: ﴿إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾، ففسر تلك الأنهار فقال: ﴿مَثَلُ الجَنَّة التي وُعِدَ المتَّقُونَ﴾، [أي] مما عرفتموه من الدنيا من جناتها وأنهارها جنَّةٌ ﴿فيها أنهارٌ مِنْ مَاءٍ غير آسِنٍ﴾.

ويقرأ من ماء غير أسِنٍ، ويجوز في العربية أَسْنٍ، يقال أَسَنَ الماءُ يأسِنُ فهو آسِنٌ، ويقال: أسَنَ الماءُ فهو أَسِنٌ إذا تغيرت رائحته، فأعلم اللَّه -عزّوجلّ- أن أنهار الجنة لا تَتَغَيَّر رائحة مائها، ولا يَأسَنُ، ﴿وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّر طَعْمُه﴾.

أي لا يدخله ما يدخل ألبان الدنيا من التغيُّر.

﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبينَ﴾.

ليس فيها غَوْلٌ أي لا تُسْكِرُ وَلَا تفنى.

﴿وَأَنْهارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾.

معناه مصفى لم يخرج من بطون النحل فَيُخالطه الشَّمْعُ.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

كما قال: ﴿إنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّـذِين آمَنُوا وَعَمِلوا الصَّـالِحَاتِ جَنَّـاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَـا الأنْهَارُ﴾، وصف تلك الجنَّاتِ فقال: مثـل الجنة جنَّـةٌ كمـا وصف.
وقيل إن المعنى صِفَةُ الجنَّةِ، وهو نحوٌ مِمَّا فَسَّرنَا.

ثم قال : ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

أي لهم فيهـا من كل الثَمَـرات وَلَهُمْ مَغْفِرةٌ من رَبهِـمْ، يَغْفِـر ذُنُوبَهُمْ ولا يجـازون بالسيئـات، ولا يوَبَّخُـونَ في الجنَّةِ، فَيُهَنَّـوْنَ الفـوز العـظيم والعَـطاءَ الجَزِيلَ. ثم قال:

﴿كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ في النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أمْعَاءَهُمْ﴾.

المعنى أفمن كان على بَيِّنَةٍ من رَبِّه وأُعْطِى هَـذِهِ الأَشْيَاء، كَمَن زُيِّنَ لـه سوء عمله وهو خَالِدٌ في النَّارِ.

﴿وَسُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أمْعَاءَهُمْ﴾.

واحد الأمعاء مِعًى، مثل ضِلَع وَأَضْلاَعُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إلَيْكَ﴾ يعني المنافقين.

﴿حَتَّى إذَا خَرجُوا مِنْ عِنْـدِكَ قالـوا للذين أُوتُوا العِلْمَ مَـاذَا قَالَ آنِفاً﴾.

كانُوا يَسْمُعونَ خطبة النبي ﷺ فإذا خرجوا سألوا أصحاب رسول اللَّه استهزاء وإعـلاماً أنهم لم يلتفتـوا إلى ما قـال، فقالـوا: مَاذَا قَـال آنِفـاً، أي مـاذا قـال الساعة، ومعنى آنفاً من قولك استأنَفْتُ الشيء إذا ابْتَـدَأْتُه، ورَوْضَـةٌ أُنُفٌ، إذَا لَمْ تُرْعَ بَعْدُ، أي لها أَوَّلُ يُرعَى، فالمعنى ماذا قال من أول وَقْتٍ يَقْرُب مِنَّا.

وقوله: ﴿أُولَئِـكَ الَّذِينَ طَبَـع اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتَّبَعُوا أَهْـوَاءَهُمْ، والَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾.

الضمير الـذي في ﴿زَادَهُمْ﴾ يجـوز أن يكـون فيـه أَحَـدُ ثـلاثـة أوْجُـهٍ، فـأجْوَدُهَـا ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون فيـه ذكـر اللَّه، فيكـون المعنى مَـرْدُوداً على

قوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ واتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، والذين اهْتَدَوْا زَادَهُم هُدًى﴾، ويجوز أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ في زَادَهم قول الرسول [ﷺ].
فيكون المعنى والذين اهتدوا زادهم ما قال رسول اللَّه هُدًى، ويجوز أن يكون زَادَهم إعراضُ المنافقين واستهزاؤهم هُدًى.

قوله: ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾.

يجوز أن يكون وَأَلْهَمَهُمْ تقواهم، كما قال عزّوجلّ: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكانُوا أَحَقَّ بِهَا وأَهْلَهَا﴾[1]، ويجوز أن يكون ـ واللَّه أعلم ـ وأَتَاهُمْ ثَوَابَ تَقْوَاهُمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿فَهَلْ يَنْظُرونَ إلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾.

ويقرأ «إلا السَّاعةَ إنْ تأْتِهُمْ» بغير ياء، والأولى أجْوَد لموافقة المصحف.

وموضع «أَنْ» نَصْبٌ على البَدَلِ مِنَ السَّاعَةِ. المعنى فهل ينظرون إلاَّ أن تأتِيَهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً، وهذا من البدل المشتمل على الأول في المعنى وهو نحو قوله: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ تَطَؤُوهُمْ﴾[2] المعنى لولا أن تطؤوا رِجالاً مُؤْمِنين ونساء مُؤْمِنَاتٍ.

ومعنى ﴿هَلْ يَنْظُرون﴾ هَلْ يَنْتَظِرونَ واحِدٌ.

ومن قرأ إن تأتهم بغتة ﴿فقد جاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ فعلى[3] الشرط والجزاء، وأشراطها أعلامها.

﴿فَأَنَّى لَهُمْ إذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾.

المعنى فمن أين لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة، ﴿وذكراهم﴾ في موضع رفع بقوله فَأَنَّى.

---

(١) سورة الفتح /٢٦. (٢) سورة الفتح ٢٥.
(٣) في الاصل «على» بدون فاء.

وقوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾.

هـذه الفاء جاءت للجزاء، المعنى قـد بَيَّنَّا مَـا يَـدُلُّ على أنَّ اللَّه وَاحِـدٌ فأعلم اللَّه أنه لا إله إلا اللَّه، والنبي عليه السلام قد علِم ذلك ولكنه خطاب يدخل الناس فيه مع النبي [ﷺ] كما قال اللَّه عزّ وجل: ﴿يَا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾، والمعنى من عَلِمَ فليقم على ذلك العلم، كما قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتقيم﴾[2] أي ثبتنا على الهداية.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾.

أي يعلم متصرفاتكم ويعلم مثواكم، أي يعلم أين مقامكم في الدنيا والآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾.

كان المؤمنون ـ رحمهم اللَّه ـ يأنسون بالوحي ويسْتَوْحِشُونَ لإِبْطائِه فلذلك قالوا: ﴿لَوْلَا نُزِّلت سورةٌ﴾.

﴿فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ﴾.

ومعنى ﴿مُحْكَمَةٌ﴾، غير منسوخة، فإذا ذكر فيها فَرْضُ القِتَالِ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: يعنى المنافقين.

﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْك نَظَرَ المَغْشِيِّ عَلَيْه مِنَ المَوْتِ﴾.

لأنهم منافقون يكرهون القتال، لأنهم إذا قعدوا عنه ظَهَرَ نِفَاقُهُمْ، فَخَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِم القَتْل.

﴿فَأَوْلَى لَهُمْ﴾.

﴿أَوْلَى لَهُمْ﴾ وعيدٌ وتَهَدُّدٌ، المعنى وليهم المكروهُ

وقولهُ: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾.

---

(١) أول سورة الطلاق.

(٢) سورة الفاتحة الآية ٤.

قال سيبويه والخليل: المعنى طاعة وقول معروف أمثل، وقيل إنهم كـان قولهم أولاً طاعـة وقول معـروف، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكـون المعنى فإذا أنزلت سورة ذات طاعة أي يؤمر فيها بالطاعـة، وقول معـروف، فيكون المعنى فإذا أنزلت سورة ذات طاعة وقول معروف.

﴿فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَـانَ خَيْراً لَهُمْ﴾.

المعنى فإذا جَدَّ الأَمْرُ ولزم فرض القتال، فلو صـدقوا اللَّه فـآمنوا بـالنبي وعملوا بما نزل عليـه وما أمـروا به من فـرض القتال لكـان خيراً لهم، المعنى لكان صدقهم اللَّه بإيمانِهِمْ خيراً لهم.

وقوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُم إِنْ تَوَلَيْتُمْ﴾.

وقرأ نافع «فَهَلْ عَسِيتُمْ» واللغـة الجيدة البـالغة عَسَيْتُمْ ـ بفتـح السين ولو جاز عَسِيتُمْ لجاز أن تقول: عَسِيَ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ.

ويقرأ أَن تَوَلَّيْتُمْ وإِنْ تُوُلِّيْتُمْ ـ بضم التاء وفتحها.

﴿أَنْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

فمن قرأ ﴿تَوَلَّيتُم﴾ ـ بالفتح ـ ففيها وجهان أَحَدُهُمَا أن يكون المعنى لعلكم إن تـوليتم عما جـاءكم به النبي أَنْ تَعُـودُوا إلى أمر الجـاهلية، فتفسـدوا وَيَقْتُلُ بعضكم بعضـاً. ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكَم﴾، أي تئـدوا البنات، أي تـدفنوهن أحيـاء، ويجـوز أن يكـون فلعلكم إن تـوليتم الأمـر أن تفسـدوا في الأرض وتقـطعـوا أَرْحَامَكُمْ، ويَقْتُلُ قُرِيشُ بَنِي هاشم، وَبَنُو هَاشِمٍ قُرَيْشاً، وكذلِكَ إن توليتم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الهُدَى﴾.

المعنى رجعوا ـ بعد سماع الهدى وتَبَيُّنِهِ ـ إلى الكُفرْ.

وقوله: ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ﴾.

معنى ﴿سوّل لهم﴾ زَيَّنَ لَهُمْ ﴿وَأَمْلَى لهم﴾، أملى اللّه لهم كما قال: ﴿إنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً﴾(١) معناه إنما نؤخرهم، وقد قرئت: الشيطان سَوَّلَ لَهُمْ وَأُمْلِي لهم على الأخبار عَنِ اللّه عزّ وجلّ، المعنى وأَنَا أُمْلِي، وقرئت وَأُمْلِيَ لهم بفتح الياء على ما لم يسم فاعله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّه سَنُطِيعُكُمْ في بَعْضِ الأَمْرِ﴾.

المعنى - واللّه أعلم - الأمر ذلك، أي ذلك الإضلال بقولهم للذين كرهوا ما نزل اللّه، وجاء في التفسير أنهم اليهود، قالوا سنطيعكم في بعض الأمر، أي سنطيعكم في التظاهر على عداوة النبي ﷺ.

﴿وَاللَّهَ يَعْلَمُ أَسرارَهُمْ﴾.

و﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ قرئ بهما جميعاً، فمن قرأ أَسْرارهم - بالفتح - فهُو جمعُ سِرٍّ وأسرار، مثل حمل وأحمال، ومن قرأ إسرارهم فهو مصدر أَسْرَرْتُ إسَراراً.

وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوفَّتْهُمُ الملاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُم وَأَدْبَارَهُمْ﴾.

يفعلون بهم ذلك في نار جهنم - واللّه أعلم - ويكون المعنى فكيف يكون حالهم إذا توفتهم الملائكة وهم يضربون وجوههم وأَدْبَارَهم.

قوله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ﴾.

المعنى - واللّه أعلم - ذلك جزاؤهم بأنهم اتبعوا الشيء الذي أسخط اللّه وكرهوا رضوانه، أي اتبعوا من خالف النبي ﷺ ومن خالف الشريعة وكرهوا الإيمان بالنبي ﷺ واتباع شريعته.

﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

---

(١) سورة آل عمران /١٧٨.

أي ما كان من عمل خير نحو صلة رحم أَوْ بِرٍ أو صَدَقةٍ، أحبط اللّه ذلك بكفرهم بما أتى به النبي ﷺ.

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّـذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْـرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ ﴿الذين في قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ المنافقون أي لن يبدي اللّه عداوتهم لرسوله عليه السلام ويظهره على نفاقهم.

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾.

معنى ﴿لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾ لعَرَّفْنَاكَهُمْ، تقول: قد أَرَيْتَكَ هَذَا الأَمْر أي قد عرفتك إيـاه، المعنى لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة وهي السيمياء.

﴿فَلَعَرفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾.

أي بتلك العلامة.

﴿وَلَتِعْرِفَنَّهُم في لَحْنِ القَوْلِ﴾، أي في نحو القَوْلِ[1].

فدَلَّ بهذا ـ واللّه أعلم ـ أن قولَ القائِل وفِعْلَهُ قد يـدل على نِيَّته، وقـولُ النَّـاسِ: قد لَحَن فـلانٌ، تأويله قـد أخذ في نـاحية عن الصـواب، عـدل عن الصواب إليها، وقول الشاعر[2]:

[منطق صائب] وتلحن أيحـاناً وخيـرِ الكـلام مَـا كَـانَ لحنـاً

تأويله خير الحديث من مثل هذه ما كان لا يعرفه كلُّ أَحَـدٍ، إنما يُعْـرَفُ أمرها في أَنحاءِ قَوْلِهَا.

---

(١) في اتجاهه وإشاراته ومنحاه.

(٢) يقال لحن يلحن لحناً كفرح يفرح فرحاً، إذا أصـاب وفطن ولحنـاً ـ كضربـاً ـ إذا قال مـا يفهمه صـاحبه عنـه ويخفى على الآخرين ومنـه هذا البيت، وتلحن أحيـاناً ـ أي تغمض وتـغوص في حديثها، وأفضل الكلام ما فهمه صاحبها دون النـاس ـ وهذا رأي ابن دريـد انظر أمـالي القالي ص ٦ جـ ١. ولم يذكر قائله.

وقوله :﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ﴾ .

معنى ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ لنختبرنكم بالحرب .

حَتَّى نَعْلَمَ المُجَاهِدِينَ مِنْكم والصَّابِرِينَ .

وهو عزّ وجلّ قَدْ عَلِمَ قَبْلَ خَلْقِهِم المجاهدين منهم والصابرين، ولكنه أراد العلم الذي يقع به الجزاء، لإنه إنما يجازيهم على أعمالهم . فتأويله حتى يعلم المجاهدين علم شهادة، وقد علم - عزّ وجلّ - الغيب، ولكن الجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم شهادة .

وقوله - عزّ وجلّ - :﴿ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ .

أعلم - عزّ وجلّ - أنه لا يغفر لمن مات على الكفر .

وقوله:﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ﴾ .

والسَّلَم، ومعناه الصُّلْحُ، يقال للصُّلحَ هو السِّلْمُ، والسَّلْمُ، والسَّلَمُ . ومعنى ﴿لَا تَهِنُوا﴾ لا تَضْعُفوا . يقال: وَهَنَ يَهِنُ، إذَا ضَعُفَ، فمنع اللَّه المُسْلِمينَ أن يَدْعُوا الكافرين إِلَى الصُّلح وأَمَرَهُمْ بِحَرْبِهِمْ حتى يُسْلِمُوا .

وقوله عزّ وجلّ:﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ .

تأويله أنْتُمُ الأَعْلَوْنَ في الحُجَّةِ ومَعَكُمُ النبيُّ ﷺ وَمَا أَتَى به من الآياتِ التي تدل على نُبُوَّتِه، ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ أي نَاصِرُكُمْ .

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ .

أي لن يُنْقِصَكُمْ شيئاً مِن ثَوَابِكُمْ .

وقوله :﴿وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤتكم أُجُورَكُمْ﴾ .

وقد عرفهم أنَّ أجورهم الجنَّةُ .

﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُم، إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا﴾ .

أي إن يجهدكُمْ بالمسألة ﴿تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ﴾.
ونُخْرِجْ أَضْغَانُكُمْ، وقد قرىء بهما جميعاً.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ. ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

جاء في التفسير: إن تَوَلَّى العِبَادُ استَبْدَلَ اللَّهُ بِهِمُ المَلاَئِكَةُ.

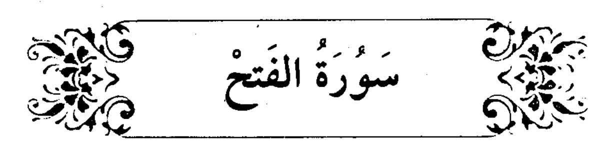
وجاء أَيْضاً: أَن تَوَلَّى أهل مكَّةَ استبدل اللَّه بهم أهل المدينة، وجاء أيضاً - يَستَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ مِن أهل فَارِسَ، فأما ما جاء أنه يستبدل بهم الملائكة، فهو في اللُّغةِ عَلَى مَا أَتَوَهَّمُ فيه بُعْدٌ لأنه لا يقال للملائكة قومٌ، إنّما يقال قوم لِلآدَمِيِّينَ. والمعنى - واللَّه أعلم - وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يستَبْدِل قَوماً أَطْوَعَ منكم، كما قال - عزّ وجلّ - ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ، أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْواجاً خَيْراً مِنكُنَّ﴾[1]. إلى آخر القصة.

فلم يتول جَميعُ الناس - واللَّه أعلم.

---

(١) سورة التحريم الآية (٥).





سُورَةُ الفَتحْ

مَدنيةٌ كلها بِإِجْمَاعٍ

بسم اللّه الرحمن الرَّحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتحاً مُبيناً﴾ .

جاء في التفسير أنه فتحُ الحُديبية، وَكان هذا الفتح عَن غَير قتالٍ قيل إنه كان عن تراضٍ بين القوم. والحُدَيْبِيَةُ بئرٌ فسمي المكان باسم البئر، والفتح إنما هُوَ الظَّفَرُ بالمكان والمدينةِ والقَرْيَةِ، كان بحرب أَو بغَيْر حُرْبٍ، أو كان دخول عَنْوَةٍ أَوْ صُلْح، فَهوَ فتحٌ لأن الموضع إنما يكون مُنْغَلِقاً فإذا صار في اليَدِ فَهُوَ فتحٌ.

ومعنى ﴿فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبيناً﴾ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ـ هو الهداية إلى الإِسْلَامِ. وجاء في التفسير: قضينا لكَ قضاء مُبيناً أي حكمنا لك بإظهار دين الإسلام والنصرة على عدوك.

وأكثَرُ ما جاء في التفسير أنه فتح الحُدَيْبِيَّةِ، وكان في فتح الحديبية آية عظيمة من آيات النبي [ﷺ] وذلك أنها بئر فاسْتُقِيَ جميعُ ما فيها من الماء حتى نَزَحَت ولم يبق فيها ماء، فتمضمض رسول اللّه ﷺ ثم مَجَّهُ فيها فدرت البئر بالماء حتى شَرِبَ جميع من كان مع النبي ﷺ. وليس يخرج هذا من معنى فتحنا لك فتحاً مبيناً أنه يُعْنَى به الهداية إلى الإِسْلَام، ودليل

ذلك قوله ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً﴾.

فالمعنى فتحنا لك فتحاً في الدين لتَهْتَدِيَ بِهِ أنت والمُسْلِمُونَ.

ومعنى ﴿نَصْراً عَزِيزاً﴾ نَصْراً إِذَا عَزَّ لَا يَقَعُ مَعَهُ ذُلٌّ.

ثم أعلم أنه عن أسباب فتح الدين على نبيه عليه السلام فقال:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيماناً مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾.

أي أَسْكَنَ قُلوبَهُمُ التعظيم للَّهِ ولرسوله، والوقار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾.

تأويله ـ واللَّه أعلم ـ أن جميع ما خلق اللَّه في السموات والأرض جنودٌ له، لأن ذلك كله يدل على أنه واحد وأنه لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أنْ يأتِيَ بمثل شيءٍ واحد ممَّا خلق اللَّه في السموات والأَرْضِ.

ومن الدليل أيضاً على أن معنى قوله: ﴿إنا فتحنا لك﴾: أي إنّا أرشدناك إلى الإسلام وفتحنا لك أمر الدِّينِ قوله عزّ وجلّ:

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾.

كانوا يظنون أن لن يَعُودَ الرسولُ والمؤمِنُونَ إلى أَهْليهِمْ أبداً وَزُيِّنَ ذلك في قُلُوبِهِمْ، فجعل اللَّه دائرة السُّوْءِ عَلَيْهِم. ومن قرأ «ظن السُّوءِ» فهو كما ترى أيْضاً، قال أبو إسحاق: وَلَا أَعْلَمُ أَحَداً قَرأً بِهَا، وقد قيل أيضاً أنه قرئَ بِهِ، وزعم الخليل وسيبويه أن معنى السوء هِهنا الفساد. والمعنى: الظانّين باللَّهِ ظَنَّ الفَسَادِ، وهو ما ظَنُّوا أن الرسول عليه السلام ومن معه لا يَرْجِعُونَ. قال

اللَّه تعالى : ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ . أي الفساد والهلاك يقع بهم ﴿ وغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ .

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ .

تفسيره مثل الأول .

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً : عَالِياً حَكيماً فِيما دَبَّرَهُ﴾ .

وقوله عزّ وجلّ :﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شاهِداً ومُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ : أي شاهداً على أمتِك يوم القيامة . وهذه حال مُقَدَّرَة أي مُبشِّراً بالجنة من عمل خَيْراً ومُنْذِراً مَنْ عَمِل شرًّا بالنَّار .

﴿لِتُؤْمِنوا باللَّهِ وَرَسُولِه﴾ .

الخطاب للنبي ﷺ وخطاب للنَّاس وَلأُمَّتِه . والمعنى يَدُلُّ على ذلك . ويجوز لِيُؤمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه . وقَدْ قرِئَ بهمَا جميعاً . وجائز أن يكون ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾خِطَاباً للمؤْمِنينَ وللنَّبِي جَميعاً . لأن النبي ﷺ قد آمن باللَّه وبآياته وكتُبه ورسُلِه .

فقوله ﴿شاهداً﴾ حال مقدرة ، أي يكون يوم القِيَامَةِ ، والبشارة والإنذار حال يكون النبي ﷺ ملابساً لها في الدنيا لمن شاهده فيها من أُمَّتِه ، وحال مُقدَّرة لمن يأتي بعده من أمَّتِه إلى يوم القيامَةِ مِمَّنْ لم يشاهده . يَعْنِي بقوله مُقدَّرة أن الحال عنده في وقت الإخبار عَلَى ضَرَبَيْن . حال مُلَابسةٌ يكونُ المُخبِرُ مُلَابِساً لها في حين إخْبارِه ، وَحَالٌ مُقَدَّرَةٌ لأن تُلابَسَ في ثانٍ مِنَ الزَّمَانِ .

وقوله عزّ وجلّ :﴿وَتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ﴾ .

معنى ﴿تُعَزِّرُوه﴾ تنصروه ، يقال : عَزَّرْتُه أُعَزِّرهُ ، أي نصرته مَرَّةً بعْدُ مرَّةٍ ، وجاء في التفسير لتنصروه بالسَّيْفِ ويجوز وَلِتَعْزُروه ، يقال : عَزَرْتُه أعْزُرُه عَزْراً ، وعَزَّرْتُهُ أُعَزِّرُهُ عَزْراً وتعْزِيراً . ونصرة النبي ﷺ هي نُصْرَةُ اللَّه عَزّ وجلّ .

﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ .

فهذه الهاءُ تَرْجِعُ عَلَى اللَّهِ عَزَ وَجَلَّ. ومعنى يُسبحـون اللَّه، أي يُصَلُّون له. والتسبيح في اللُّغَةِ تعظِيم اللَّه وتنزيهه عن السُّوءِ.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّما يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

أي أَخْـذُكَ عَلَيْهِم البَيْعَةَ عَقْـدٌ لِلَّهِ عزّ وجـلّ عَلَيْهِم. ومعنى ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ يحتمل ثلاثة أَوْجُهٍ منها وَجْهَـانِ جاءا في التفسيـر، أَحدُهمـا يَدُ اللَّه في الوَفَاء فَـوْقَ أَيْدِيهم، وجـاء أَيْضاً يـد اللَّه في الثواب فـوق أَيْدِيهم. والتفسيـر ـ واللَّه أعلم ـ يد اللَّه في المِنَّةِ عَلَيْهِمْ في الهِدَايَةِ فوق أَيْدِيهِمْ في الطاعة.

وقوله: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

والنكث في اللُّغَةِ نقضُ مَا تَعْقِدهُ، وما تُصْلِحُه. وجاء في التفسير: ثلاثة أشياء ترجِعُ عَلى أَهْلِهَا، أَحدُهَا النكث. والبغي والمكر. قال اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ ﴿إِنَّما بَغْيُكُم عَلَى أَنْفُسِكم﴾[1]، والمكْرُ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَحيقُ المَكْرُ السَّيِّىءُ إِلَّا بِـأَهْلِهِ﴾[2] وقولـه: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمـا ينكُثُ عَلَى نَفْسِـه وَمَن أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّه فَسَنُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾.

ويقرأ ﴿فَسَيُؤتيه أَجْراً عظيماً﴾. ويقرأ عَلَيْهِ اللَّه، وعَلَيهُ اللَّهَ. وقـد فسرنـا مثل هذا فيما سلف.

سَيقُولُ لَكَ المُخَلَّفُونَ مِنَ الأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فاسْتَغْفِرْ لَنَا.

بإظهار الراء عند اللَّامِ، وقد رُوِيت عَنْ أَبِي عَمْرٍو فاستغفِلَّنـا بالادغـام، وكذلك في قوله يَغْفِلَّكُمْ. ولا يُجيزُ سيبويه والخليل إدغـام الراء في الـلام.

ولا يحكون[3] هذه اللغة عن أحدٍ من العرب، ويذكرون أن إدغام الـراء

(١) سورة يونس /٢٣. (٢) سورة فاطر /٤٣. ٨٣.

(٣) ليس هـذا راجعاً لسيبـويه والخليـل فيما يـظهر ـ وإنمـا يريـد أن الرواة لم يحكـوا هذه اللغـة ـ =

في اللام غير جائز لأن الراء عندهم حرفٌ مَكرَّر، فإذا أدغم في اللام بطل هذا الإشباع الذي فيه.

وأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن هؤلاء منافقون فقال:

﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

وأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أنهم تخلفوا عن الخروج مع النبي ﷺ بظنِهم ظن السّوءِ، فأطلع اللَّه نبيه على ذلك، قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ والمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبداً وَزُيِّنَ ذَلِكَ في قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُم ظَنَّ السَّوْءِ﴾.

أي ظن الفساد.

﴿وَكُنْتُمْ قَوْماً بُوراً﴾.

أي هالكين عند اللَّهِ - عزّ وجلّ - فاسِدين في عِلْمِه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا﴾.

أي ليس لنا من يَقُوم بها.

﴿وأَهْلُونَا﴾.

أي وشغلتنا أهلونا، ليس لنا من يخلفنا فيهم، ويجوز وأَهْلُنَا، ولكن القراءة المشهورة بالواو، فمن قال وَأَهْلُونا فهو جمع أهل وأهلون، ومن قال وأهلنا فهويتضمَّن الجماعة كُلَّها.

وقوله جلّ وعزّ: ﴿سَيَقُولُ المخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُم إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أن يُبَدِّلوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.

يعنى بقوله: يريدون أن يُبَدِّلوا كلام اللَّه - قوله عزَ وجَلّ[1]: ﴿قُلْ لَنْ

= بدليل أن الضمائر بعدها جاءت بصيغة الجمع.

(١) في الأصل وقوله.

تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[1]، فأرادُوا أن يأتوا بما ينقض هذا. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم لا يعقلون، ولا يقدرون على ذلك فقال:﴿قل لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾.

ولو كان الكلام نهياً لقال: قل لا تَتَّبِعُونا. وقرئت: «يُرِيدُونَ أنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ».

فالْكَلِمُ جمع كلمة، والكلام في موضع التَّكْلِيم.

وقوله:﴿قُلْ لِلْمَخَلَّفِينَ مِنَ الأعْرابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾.

وقد قرئت أو يُسْلِمُوا، فالمعنى تقاتلونَهُمْ حتى يسلموا، وإلَّا أن يسلموا. فإن قال قائلٌ: قد قال رسول اللَّه ﷺ لهم:﴿لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾[1] فكيف جاز أن يقول:﴿سَتُدْعَونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلونَهُمْ﴾، فإنما قال ﷺ ذلك لأن اللَّه أعلمه أنَّهُمْ منافقون، وأعلمه مع ذلك أنهم لا يُقَاتِلُونَ معَه.

وجاء في التفسير أنه عُنِيَ بقوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ﴾ بنو حنيفة، وأبو بكر رحمه اللَّه، قاتلهم في أيام مسيلمة. وجاء أيضاً هوازِن، والمعنى أن كل من ظَاهِرُهُ الإسلام فعلى أصحاب النبي ﷺ أنْ يدعوهم إلى الجهاد. والصحابة لم يُطْلَعُوا في وقت الجهاد على من يُقَاتِل ومن لا يُقَاتِلُ، ولا على من ينافق ومن لا ينافق، لأن الاظهار على ذلك من آيات الانبياء عليهم السلام.

وقد قيل:﴿إِلَى قَوْمٍ أُولِيَ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [أي] إلى فارس والرُّوم، وذلك في أيام أبي بكر وعُمَر رحمة اللَّه عليهما وَمَنْ بَعْدَهُم.

---

(١) سورة التوبة الآية ٨٣.

﴿فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً﴾.

أي إن تُبْتُم وتَرَكْتُم النِّفَاقَ وجَاهَدْتُم. ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً، وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

أي إِنْ أَقَمْتُم على تقاكم وتولَّيْتُمْ عن الإيمان والجهاد كما تولَيتُم على عهد رسول اللَّه [ﷺ] يُعذِّبكُمْ عَذَاباً أليماً.

ثم أعلم عزّ وجلّ بخبر من أخلص نيَّتَهُ فقال:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾.

أي علم أنهم مُخْلِصُون. وجاء في التفسير أن الذين بايعوا تحت الشجرة كانوا ألفاً وأرْبَعمائة، وقيل ألفاً وخمسمائة، وقيل ألفاً وثَلاثمائةٍ وكانوا بايعوا النبي [ﷺ] على أن لا يُولُّوا في القتال وَلاَ يَهْرَبُوا، وسُمِّيَتْ بيْعة الرضوانِ لقوله [تعالى]: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إذ يبايعُونَكَ تحت الشَّجرة﴾ وكانت الشجرةُ سَمُرَةً[1].

﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾.

قيل إنه فتح خَيْبَر.

﴿وَمَغانِمَ كثيرةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾.

وهذا التكرير تكرير في الوَعْدِ، أي فعجَّلَ هذه يَعْني خَيْبَر.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً للمُؤْمِنِينَ﴾.

---

(١) السمر هو شجر الطلح يجمع على سَمُر وسمرات وأَسْمُر - والسمر ضرب من العضاة، وقيل ضرب من الشجر صَغار الورق قصار الشوك - وليس في العضاة شيء أجود خشباً من السَمر - وفي السمر ثمرة يأكلها الناس - وفي حديث سعد ما لنا طعام إلا هذا السَّمُر.

أي كف أيديَ الناس عَنْهُمْ لَمَّا خرجوا وخلفوا عِيَالَهُمْ بالمدينة حَفِظَ اللَّه عِيَالَهُمْ وَبَيْضَتَهُمْ[1]، وَقَد همَّت اليَهُودُ بِهِمْ فَمَنَعَهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ.

﴿وَأُخْرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْها قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾.

المعنى وعدكم اللَّه مغانم أخرى ﴿قد أَحاطَ اللَّهُ بها﴾، قد علمها اللَّه، وهو مَا يَغْنَمُ المُسْلِمُونَ إِلَى أَنْ لَا يُقَاتِلَهُمْ أَحَدٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً. سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾.

المعنى لو قاتلك من لم يقاتلك لَنُصِرْتَ عَلَيْهِم، لأن سنة اللَّه النَّصْرُ لأوليائه وحِزْبه.

﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

وسنة اللَّه منصوبة على المصْدَرِ، لأن قوله ﴿لَوَلَّوْا الأدبار﴾ مَعناه سن اللَّهُ خِذْلَانَهُمْ سُنَّةً، وقد مرَّ مثل هذا في قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيكُمْ﴾[2]، وفي قوله: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾[3]، ولو قرئت «سُنَّةُ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ» لكان جيّداً في العربيَّةِ. المعنى تلك سنة اللَّه التي قد خَلَتْ مِنْ قَبْلُ، ولكن لا أعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأنَّ بها.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾.

﴿مَكَّة﴾ لا تَنْصَرِفُ لأَنَّها مؤنَّثةٌ وهي مَعْرِفَة.

وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ أَن أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾.

جاء في التَّفْسِيرِ أن رسول اللَّه ﷺ أُتِيَ باثنيْ عشر رَجُلاً أُخِذُوا بلا عهد

---

(١) مدينتهم ومقر إقامتهم.

(٢) سورة النساء الآية ٢٤. ﴿والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾.

(٣) سورة النمل الآية ٨٨ ﴿وَتَرى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ﴾.

ولا عقد فخلاهم النبي ﷺ ومَنَّ عَلَيْهِمْ، وكان عاقبة ذلك أن سلِمَ للرجل مَنْ بَينَهُ وبينه قَرابةٌ وَمَن هُوَ مؤمِنٌ أن يُصابَ قال اللَّه عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِساءٌ مُؤْمِنَاتٌ لم تَعْلَمُوهُمْ أن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

وموضع «أن» رفع بدلٌ مِنْ رجال، المعنى لولا أَنْ تطأوا رجالا مُؤْمِنينَ ونساءً مُؤْمِنَاتٍ.

ثم قال: ﴿لَو تَزَيَّلُوا لعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذاباً أَلِيماً﴾.

أي لو تَميَّزَ الكافِرُونَ مِنَ المُسْلِمِينَ لأنزلنا بالكافرين ما يكون عَذاباً لَهُمْ في الدُّنيا.

وَمَعْنَى: ﴿فتَصِيبكُمْ مِنهم مَعَرَّةٌ﴾.

قيل: لولا أن يقتلوا منهم قوماً مؤمنين خطأً فَتَلزَمُكم الدِّيَاتُ والمعنى - واللَّه أعلم - لولا كراهة أَنْ يَلحقكُمْ عَيبٌ بأن قتلتم من هو على دينكم إذ أنتم مختلِطُونَ بهم لعَذَّبنا الذين كفروا مِنهُمْ عذاباً أليماً.

وقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يبلغَ مَحِلَّهُ﴾.

﴿الهَدْيَ﴾ مَنْصُوبٌ سبق على الكاف والميم، المعنى وصَدُّوا الهَدْيَ، و﴿مَعكوفاً﴾ مَحْبُوساً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ.

﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ﴾: كما وَصَفْنَا لنَصَرْنَاكُمُ عَلَيْهم، ولكن الذي مَنَع عن ذلك كراهةُ وَطْءِ المؤمنين بالمكرُوه والقَتْلِ. وموضع ﴿أَنْ يبلُغَ مَحِلَّه﴾ منصوب عَلَى مَعْنى وصدوا الهَدْيَ محبوساً عن أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ.

وقوله - عَزَّ وَجَلَّ - ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلى المُؤْمِنِين﴾.

أَنْزَلَ اللَّه عَلَيْهِم الوقار والهيبة.

﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾.

جاء في التفسير أن شعارَهم لا إله إلا اللهُ، وكلمة التَّقْوَى تَوْحِيد اللّهِ والإيمان برسوله عليه السلام.

﴿وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾.

أي كانوا أحق بها من غيرهم، لِأَنَّ اللَّهَ ـ جلّ وعزَّ ـ اختارَ لنبيه ولـدينه أَهْلَ الخَيْرِ ومُسْتَحِقّيه، ومن هو أولى بالهِدَايَة مِنْ غيره.

وقوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُم وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾.

رأى رسول اللَّه ﷺ في منامه كأنَّهُ وأَصْحابَهُ ـ رحمهم اللَّه ـ يدخلون مكَّة محلّقِين ومُقَصّرِين، فَصَدَق اللَّهُ رسوله الرُّؤْيَا فدخلوا على ما رأى. وكانوا قد استبطأوا الدُّخُولَ.

ومعنى ﴿إِن شَاءَ اللَّهُ﴾ يخرج على وَجْهَيْن. أحدهما لتدخُلُنَّ إِنْ أَمَرَكُمُ اللَّه. ويجوز وهو حسن أن يكون «إن شَاءَ اللَّهُ» ـ جرى على ما أمر اللَّه به في كل ما يُفعَلُ مُتَوَقَّعاً، فقال: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَداً، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾(١).

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بينَهُمْ﴾.

وَصَفَهُم اللَّهُ بِأَنَّ بعضَهُمْ مَتَحَنِّنٌ على بَعْضٍ، وأن عَلَيْهِم السَّكِينَةَ والوقَارَ، وبعضهم يخلص المودَّةَ لبَعْضٍ، وهم أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ. أشداء جمع شديدٍ، والأَصل أشدِدَاء، نحو نصيب وأَنْصِبَاء، ولكن الدَّالَيْنِ تَحَرَّكتا فأدْغِمتِ الأولى في الثانية، ومثل هذا قوله: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَنْ دِينِه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهمْ ويُحِبُّونَهُ أذِلَّةٍ عَلَى المُؤْمِنينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الكَافِرينَ﴾(٢)

(١) سورة الكهف / ٢٣ ـ ٢٤.
(٢) سورة المائدة / ٥٤.

وقوله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

أي في وجوههم عَلاَمَةُ السُّجُودِ، وهي علامة الخاشِعين لِلَّه المُصَلِّين. وقيل يبعثون يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا مُحجَّلينَ من أثر الطُّهُورِ، وهذا يجعله اللَّه لَهُمْ يَوْمَ القيامَةِ عَلامَةً وهي السيماء يُبَيِّنُ بها فَضْلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ.

وقوله: ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهم فِي الإنْجِيل﴾.

أي ذلك صفة محمد ﷺ وأصحابه في التَوراَةَ، ثم أعلم أنَّ صِفَتَهم في الإنجيل أيضاً.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾.

معنى ﴿أخرج شطأه﴾ أخرج نباته ﴿فآزَرَهُ فاستغلظ﴾، أي فآزَرَ الصِّغارُ الكبارَ حتى استوى بعضُه مع بعْضٍ، ﴿عَلى سُوقِه﴾ جمع ساقٍ.

وقوله: ﴿يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ﴾.

﴿الزُّرَاع﴾ محمد عليه السلام والدّعاة إلى الإسْلَامِ وهم أصحَابُه.

وقوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.

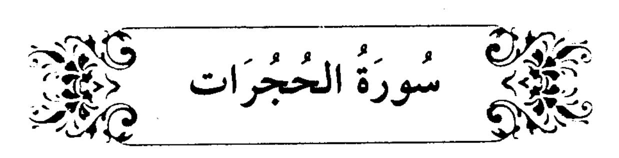
﴿مِنْهُمْ﴾ فيه قولان، أن تكون «مِنهم» ههنا تخليصاً للجنس من غيره كما تقول: أنفق نَفَقَتَك مِنَ الدَّرَاهِمِ لَا مِنَ الدَّنَانِيرِ، المعنى اجعل نفقتك من هذا الجنس، وكما قال: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾[1]، لا يريد أن بعضها رجس وبعضها غير رِجْسٍ، ولكن المعنى اجتنبوا الرجس الَّذِي هُوَ الأوثانُ.

---

(١) سورة الحج / ٣٠. يريد أن «من» بيانية.

فالمعنى وعد اللّه الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أصحـاب النبي ﷺ المؤمنين أجراً عظيماً وفَضَّلَهُمْ اللَّه على غيرهم لِسَابِقتِهم وَعَظَّم أجْرَهُمْ.

والوجه الثاني أن يكون المعنى وعد اللَّه الذين أقاموا منهم على الإيمَـانِ والعمل الصالح مَغْفِرةً وأجراً عظيماً.



سُورَةُ الحُجُرَات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وقد قرئت لا تقْدَموا بفتح التاء والدَّال، والمعنى إذا أُمِرْتُم بأَمْرٍ فلا تفعلوه قبلَ الوقتِ الَّذي أُمِرْتم أن تفعلوهُ فِيهِ.

وجاء في التفسير أن رجلاً ذبح يوم الأَضْحَى قَبْلَ صَلاةِ الأَضْحَى فتقدم قبل الوقت فأعلم [اللَّه] أن ذلك غير جائز. ففي هذا دليل أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أن يؤدى فَرْضٌ قبل وقْتِهِ وَلَا تطوعٌ قَبْلَ وَقْتِهِ مِمَّا جَاءَت به السُّنَّةُ، وفي هذا دليل أن تقديم الزكاةِ قبل وقتها لا ينبغي أن يجوز، فأما ما يروى أن النبي ﷺ استسلَفَ من العباس شيْئاً من الزكاة، فلا أعلم[1] أن أَحَداً ممن أجاز تقديم الزكاة احتج إلا بهذا الحديث، وهذا إن صح فهو على ضربين أحدهما أن يكون مخصوصاً والآخر أن يكونَ الحاجة اشتدت فوقع اضطرار إلى استسلاف الزكاة.

والإجماع أن إعطاءها في وقتها هو الحق، وهو الفَضْلُ إنْ شَاء اللَّه.

ومن قرأ: ﴿لاَ تَقَدَّمُوا﴾ فمعناه كمعنى لا تُقَدِّمُوا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوق صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾.

---

(١) في الأصل ولا اعلم.

أمرهم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ بتبجيل نبيه عليه السلام، وَأَنْ يَغُضّوا أَصْوَاتَهُمْ وأن يخاطبوه بالسكينة والوقار، وأن يفضلوه في المخاطبة، وذلك مما كانوا يفعلونه في تعظيم ساداتهم وكبرائهم.

ومَعنى ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُم لِبَعْضٍ﴾ أي لا تنزلوه منزلةَ بعضكم من بعض، فتقولوا: يا محمدِ خاطبوه بالنبوة، والسكينة والإعظام.

وقوله: ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾.

معناه لا تفعلوا ذلك فتحبط أعمالكم. والمعنى لئلا تحبط أعمالكم فالمعنى معنى اللام في أن. وهذه اللام لام الصيرورة وهي كاللام في قوله: ﴿فَالْتَقَطَه آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَناً﴾[1] والمعنى فالتقطه آل فرعَوْنَ ليصير أمرهم إلى ذلك، لَا أَنَّهُمْ قصدوا أن يصير إلى ذلك. ولكنه في المقدار فيما سبق من علم اللَّه أن سبب الصير التقاطهم إياه، وكذلك لا ترْفَعُوا أصواتكم فيكون ذلك سبباً لأن تحبط أعمالكم.

وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرونَ.

هذا إعلامٌ أن أَمْرَ النَّبِيِّ [ﷺ] ينبغي أن يُجَلَّ ويُعَظَّم غايَة الإِجْلَالِ.

وأنه قد يُفعل الشيءُ مما لا يَشْعَرُ به من أمر النبي ﷺ فيكون ذلك مُهلكاً لِفَاعِلِه أو لِقَائِله، ولذلك قال بعض الفقهاء: من قال إن زِرَّ رسول اللَّه ﷺ وسخ يريد به النقص منه وجب قَتْلُه.

هذا مذهبُ مالِكٍ وأَصْحَابه.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾.

أَخْلَصَ قُلُوبَهُمْ ـ وَ «هُمْ» يخرج على تفسير حقيقة اللغة، والمعنى

---

(١) سورة القصص /٨.

اختبـر اللَّه قُلُوبَهم فَوَجَـدَهُمْ مُخْلِصِين ـ كما تقـول: قـد امتحنت هذا الـذهب وهذه الفضة. تـأويله قد اختبـرْتُهُمَا بـأن أَذَبْتُهَمَا حتى خَلَّصْتُ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَعَلِمْتُ حَقِيقَةَ كل واحد منهما.

وقوله:﴿إِنَّ الَّذِين يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الحُجُراتِ﴾.

يقـرأ بضم الحاء والجيم، والحُجَـرَاتَ بِفَتْـح الجيم، ويجـوز في اللغـة الحُجْـرات. بتسكين الجيم ـ ولا أعلم أحداً قَـرَأَ بالتَّسْكِينِ وَقَـدْ فَسَّـرْنَـا هـذا الجمع فيما تقدم من الكتاب.

وواحـد الحجـرات حُجْـرَةٌ. ويجـوز أن تكـون الحُجـراتُ جمـع حُجَـرٍ وحُجراتٍ، والأجود أن تكون الحُجُرَات جمع حُجرة، وأن الفتح جاز بـدلاً من الضَّمَّةِ لثقل الضَّمَتَّيْن.

وهؤلاء قـوم جـاءوا إلى النبي [ﷺ] من بـني تـميـم فَنَـادَوْه مـن وراء الحجرات. ولهم في التفسير حديث فيه طول، وجملته أنهم جـاءوا يفاخـرون النّبي وأَنَّهُمْ لم يلقَوْه بما يجب له عليه السلام.

قـال:﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَـرُوا حَتَّى تَخْـرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَـانَ خَيْـراً لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُـورٌ رَحِيم﴾.

أي من تاب بعد هذا الفِعْلُ فاللَّه غفور رحيم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبأٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا﴾.

ويقرأ فتثبتوا أنْ تُصيبوا.

﴿قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾.

جاء في التفسير أنها نزلت بسبب الوليد بن عقبـة. وكان رسـول اللَّه ﷺ بَعَثَهُ ساعِياً يجْبي صدقات بني المصطلق، وكـان بينه وبينهم أَحْنَـةٌ أي عداوة،

فلما اتَّصَلَ بهم خَبَرُهُ وقد خرج نحوهم قال بعضهم لبعْضٍ: قد علمتم ما بيننا وبين هذا الرجل، فامْنعُوهُ صَدَقَاتِكُمْ، فاتصل به ذلك فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم مَنَعُوهُ الصدقة وأنهم ارْتَدُّوا، وأَعَدُّوا السِّلَاحَ للحَرْبِ، فوجه رسول اللَّه ﷺ بخالد بن الوليد ومعه جيش، وتقدم إليْه أن ينزل بعقوتهم ليلاً، فإن رأى ما يدل على إقامتهم على الإسلام من الأذان والصلاة والتّهجُّد أمسك عن محاربتهم، وطالبهم بصَدَقَاتِهِمْ فلما صار خَالِدٌ إليهم ليلاً سَمِعَ النداء بالصَّلَاة، ورآهم يُصَلّونَ وَيَتهجَّدُونَ، وقالوا له: قد استبطأنا رسالة رسول اللَّه ﷺ في الصَّدَقَاتِ، وسلموها إليه، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿إنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ أي بخَبرٍ ﴿فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمَاً بِجَهَالَةٍ﴾ أي كراهة أن تُصِيبُوا قوماً بِجَهَالَةٍ وهذا دليل أنه لا يجوز أن يقبل خبر من فاسق وإن تَبيَّنَ[1] وأَنّ الثقة يجوز قبول خبرِه. والثقةُ من لم تجرب عليه شهادَةُ زُورٍ وَلَا يُعْرَف بفِسْقٍ وَلَا جُلِدَ في حَدٍّ، وهو مع ذلك صحيح التمييز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَاعْلَمُوا أنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾.

أي لو أطاع مثل هذا المخبر الذي أخبره بما لا أصل له لوقعتم في عَنَتٍ، والعَنَتُ الفساد والهَلَاكُ.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإيمَانَ﴾.

هذا يعنى به المؤمنون المخلصون.

﴿وزَيَّنَهُ في قُلُوبِكُمْ﴾.

ويحتمل في قلوبكم وجهين ـ أحدهما أنه دلهم عليه بالحجج القاطعة البينة، والآيات التي أتى بها النبي ﷺ المعجزةِ، والثاني أنه زينه في قلوبهم بتوفيقه إياهم.

---

(١) وإن ظهر أنه صحيح.

﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الكُفْرَ والفُسوقَ والعِصْيَانَ﴾.

وذلك أيضاً تبيينه ما عليهم في الكفر وتوفيقه إياهم إن اجْتَنَبُوه.

وقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

أي هؤلاء الذين وفقهم اللَّه - عزّ وجلّ - بتحبيب الإيمان إليهم وتكريه الكفر أولئك هم الراشدون.

﴿فَضْلاً مِنَ اللَّه وَنِعْمَةً﴾.

منصوب مفعول له - المعنى فعل اللَّه ذلك بكم فضلاً من اللَّه ونعمةً أي للفضل والنَّعْمةِ، ولو كان في غير القرآن لجاز فَضْلٌ من اللَّه ونعمة، المعنى ذلك فضل من اللَّه ونعمة.

وقوله - عزّ وجلّ -: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتي تَبْغِي﴾.

والباغية التي تعدل عن الحق وما عليه أئمة المُسْلِمين وَجَمَاعَتُهُمْ.

﴿حَتَّى تَفِيءَ إلى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

حتى ترجع إلى أمر اللَّه.

﴿فَإِنْ فَاءَتْ﴾: فإن رَجَعَتْ.

﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾.

أي وأَعْدِلُوا.

﴿إنَّ اللَّه يُحِبُّ المُقْسِطِينَ﴾.

وهذه - قيل - نزلتْ بسبب جَمْعَيْن من الأَنْصَارِ كان بينهم قِتَالٌ ولم يكن ذلك بسيوف ولا أسْلحة، جاء في التفسير أنه كان بينهم قِتال بالأيدي والنِّعَال وَتَرَامٍ بالحِجَارةِ.

﴿إنَّماالمُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ فأصلحوا بينَ أَخَوَيْكُمْ﴾.

ويقرأ بين إخْوَانكم، وبين إخْوَاتِكُمْ وبين أُخْوَتكم. فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن الدِّينَ يجمعهم وأنهم إخوَةٌ إذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا في الاتفاق في الدين إلى أصل النَّسَبِ، لأنهم لآدَم وحَوَّاء، ولو اختلفت أَدْيَانُهم لافترقوا في النَّسَبِ، وإن كان في الأصل أنهم لأب وأم، ألَا ترى أنه لا يرث الولدُ المؤمن الأب الكافِرَ ولا الحمِيمُ المؤمِنُ نسيبه الكافِر.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ . . . الآية.

عسى أن يكون المسخور منه خيراً من الساخرين، وكذلك عسى أن يكون النساء المسخور منهن خيراً من النساء الساخرات، فنهى اللَّه - عزّ وجلّ - أن يسخر المؤمنون من المؤمنين، والمؤمنات من المؤمنات.

﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾.

واللمز والهمز العيب والعض من الإنسان. فأعلم اللَّه أن عيب بعضهم بعضاً لازم لهم، يلزَمُ العائِبَ عيبُ المعيب.

﴿وَلاَ تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ والنبز واللقب في معنىً وَاحِدٍ، لا يقول المسلم لمن كان يَهودياً أو نصرانياً فأسلم لقباً يعيره فيه بأنه كان نصرانياً أو يهودياً.

﴿بِئْسَ الاسْمُ الفُسُوقُ بَعْدَ الإيمَانِ﴾، أي بئس الاسم أن يقول له: يا يهودي ويا نصراني وقد آمن، ويحتمل أن يكون في كل لقب يكرهه الإنسان، لأنه إنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ﴾.

أمر اللَّه عزّ وجلّ باجتناب كثير مِنَ الظَّنِّ، وهو أن تظن بأهل الخير سوءاً

إذا كنا نعلم أن الذي ظهر منه خير، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مِثْلَ الذي ظهر منهم.

وقوله: ﴿ولا يَغْتَبْ بَعْضُكُم بَعْضاً﴾، والغيبة أن يُذْكَرَ الإنسانُ من خلفه بسوء وإن كان فيه السوء، فأما ذكره بما ليس فيه فذلِكَ البَهْتُ والبُهْتَانُ ـ كذلك جاء عن النبي [ﷺ].

وقوله عزّ وجلّ ـ :﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكمُ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيه مَيْتاً﴾.

ويجوز مَيِّتاً وتأويله أن ذكرك بِسوءٍ من لم يَحْضر لك بمنزلة أكل لحمه وهو مَيِّتٌ لاَ يُحِسّ هُوَ بذلك، وكذلك تقول للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾.

ويُقرأ «وَكُرِهتموه» ـ فتأويله كما تكرهون أكل لحمه مَيتاً كذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائباً.

وقوله :﴿يَا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾.

خلقناكم من آدم وحوّاء، وكلكم بنو أبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ وَاحِدَةٍ إِلَيْهما تَرْجِعُونَ.

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

والشعب أعظم من القبيلة. أي لم يجعلكم شعوباً وقبائل لتفاخروا وإنما جعلناكم كذلك لتتعارَفُوا، ثم أعلمهم اللَّه ـعزّ وجلّ ـ أن أرفعهم عِنْدَهُ مَنْزِلَةً أَتْقَاهُمْ فقال:

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.

ولو قرئتِ أَنَّ أكرمكم عند اللَّه أتقاكم جاز ذلك على معنى وجَعَلْناكم

شعوباً ليعرف بعضكم بعضاً لأن أكرمكم عند اللّه أتقاكم.

وقوله - عزّ وجلّ - ﴿قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

وهذا موضع يحتاج الناس إلى تفهمه، وأين ينفصل المؤمن من المسلم. وأين يستويان.

والإسلام إظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبي ﷺ، وبذلك يحقن الدَّمُ. فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد وتصديق بالقلب فذلك الإيمان الذي مَنْ هُوَ صفته فهو مؤمن مُسْلِم، وهو المؤمن باللّه ورسوله غَيْرَ مرتابٍ ولا شاكٍّ، وهو الذي يرى أن أداء الفرائض واجب عليه، وأن الجهاد بنفسه وماله واجب عليه لا يدخلُه في ذلك رَيبٌ، فهو المؤمِنَ وهو المُسْلِمُ حقاً، كما قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا باللّه ورَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وأَنْفُسِهِمْ في سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

أي إذا قالوا إنا مؤمنون فهم الصَّادقون، فأما من أظهر قبول الشريعة واستسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم، وباطنه غير مُصَدق، فذلك الذي يقول أسلمتُ لأن الإيمانَ لا بد من أن يكون صاحبه صديقاً، لأنَّ قولك آمَنْتُ بكذا وكذا معناه صدقت به، فأخرج اللّه هؤلاء من الإيمان فقال: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾.

أي لم تصدقوا إنما أسلمتم تعوذاً من القتل، فالمؤمن مُبْطِنٌ من التصديق مثل ما يظهر، والمسلم التام الإسلام وهو مظهر الطاعة مع ذلك مؤمن بها، والمسلم الذي أظهر الإسلام تعوذاً غير مؤمن في الحقيقة، إلاَّ أن حكمه في الظاهر حكم المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

قيل إنّ هذه نزلت في المنافقين. فاعلموا أنكم إنْ كنتم صادقين فإنكم قد أسلمتم فلله المنُّ عَلَيْكُمْ لإخراجه إياكم من الضلالة إلى الهدى.

وقد قيل: إنها نزلت في غير المنافقين، في قوم من المسلمين قالوا آمنا وهاجرنا وفعلنا وصنعنا فمنوا على رسول اللَّه بذلك.

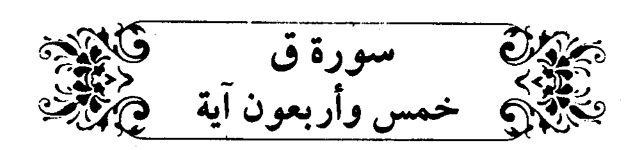
والأشبه ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون في قوم من المنافقين.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَأْلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شيئاً﴾.

ويُقرأ ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾، فمن قرأ ﴿يَأْلِتْكُمْ﴾ فدليله ﴿وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾[1] ومعناه وما نقصناهم، وكذلك لا يَأْلُتُكُمْ لا ينقصكم، ومن قرأ ﴿لَا يَلِتْكُمْ﴾ فهو من لات يليت، يقال: لاَتَه يَلِيتُهُ. وَألَاتَهُ يُليتُه إذا نقصه أيضاً، والمعنى فيهما واحدٌ. أعني يألتكم ويلتكم، والقراءة ﴿لاَ يَلِتْكُمْ﴾ أكثر، والأخرى أعني يَأْلُتُكُمْ جيدة بالغة، ودليلها في القرآن على ما وصفنا.

(١) سورة والطور.





سورة ق
خمس وأربعون آية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجَلّ ﴿ق وَالْقُرآنِ المَجِيدِ﴾.

أكثر أهل اللغة وما جاء في التفسير أن مَجاز «ق» مجاز الحروف التي تكون في أوائل السُّوَر نحو ﴿ن﴾، و ﴿ألم﴾، و ﴿ص﴾ وقد فسرنا ذلك ويجوز أن يكون معنى «قَافْ» معنى قضي الأمر، كَمَا قِيلَ ﴿حم﴾ حمَّ الأَمْرُ، واحتج الذين قالوا من أهل اللغة أن معنى «ق» بمعنى قضي الأمر بقول الشاعر[1]:

قلنا لها قفي قالت قاف   لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

معناه فقالت أقف[1]

ومذهب الناس أن قاف ابتداء للسورة على ما وصفنا، وقد جاء في بعض التفسير أن قاف جبل محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وأن السماء بيضاء وإنما اخْضَرَّتْ مِنْ خُضْرَتِه، واللَّه أعلم .

وجواب القسم في ﴿ق والقُرآنِ المَجيد﴾ مَحْذُوف، يدل عليه ﴿أَإذا مِتْنَا وكُنَّا تراباً﴾، المعنى واللَّهِ أعلم: والقرآن المجيد أنكم لمبعوثون[2]، فعجبوا فقالوا ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُراباً﴾.

---

(١) تقدم في الجزء الأول في شرح ﴿الم﴾. (٢) في الأصل انكم مبعوثون.

أي أنبعث إذَا مِتْنَا وكنا تُراباً. ولو لم يكن إذا متعلق[1] لم يكن في الكلام فائدة.

وقوله:﴿ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾.

أي يبعد عندنا أن نبعث بَعَدَ المَوْتِ،

ويجوز أن يكون الجواب ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ﴾، فيكون المعنى ق والقرآن المجيد لقد علمنا ما تنقص الأرض منهم وحذفت اللام لأن ما قبلها عوض منها كما قال: ﴿والشمس وضحاها﴾[2] إلى قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾[3]، المعنى لقد أفلح من زكاها. والمعنى ﴿ما تَنَقُصُ الأَرْضُ مِنْهُم﴾. ما تأخذه الأرض من لحومهم.

وقوله عزّ وجلّ:﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالحقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ في أَمْرٍ مَرِيجٍ ﴾.

مَريج مختلف ملتبس عليهم مرة يقولون للنبي ﷺ شاعر ومرة ساحِر ومرة معلم. فهذا دليل على أن أمرهم مريج ملتبس عليهم، ثم دلهم عزّ وجَلّ على قدرته على بعثهم بعد الموت بعظيم خلقه الذي يدل على وحدانِيته وأنه على كل شيء قدير فقال:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُم كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا ﴾.

وأن اللّه عزّ وجلّ ممسكها بغير عَمَدٍ من أن تقع على الأرض.

﴿وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ﴾.

لا صدع فيها ولا فرجة.

﴿والأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ﴾.

والرواسي الجبال.

﴿وأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَ﴾.

---

(١) كذا بالأصل ـ ويظهر أن كلمة مفقودة ـ والفرض إذا لم تكن «إذا» متعلقة بالفعل لم يكن للكلام معنى.

(٢) أول سورة الشمس. (٣) سورة الشمس الآية ٩.

أي فعلنا ذلك لنبصر به وندلَ عَلى القدرة .ثم قال ﴿لِكلِّ عَبْـدٍ مُنيبٍ﴾ أي لكل عبد يرجع إلى اللّه ويفكر في قدرته.

وقوله عزّ وجَلَّ: ﴿وَحَبَّ الحَصِيـدِ﴾.

أي وأنبتنـا فيها حب الحَصِيدِ، فجمع بذلك جميع ما يقتـات به من حب الحنطة والشعير وكل ما حَصِدَ.

﴿والنَّخْـلَ بَـاسِقَــاتٍ﴾.

بسوقها طولها، المعنى وأنبتنـا فيها هذه الأشياء.

وقوله: ﴿رِزْقاً للعِبَادِ﴾.

ينتصب على وجهين أحـدهما على معنى رزقنـاهم رزقاً لأن إنبـاته هـذه الأشياء رزقٌ، ويجوز أن يكون مفعولاً له، المعنى: فأنبتنا هذه الأشياء للرزق. ثم قال:

﴿كَذَلِكَ الخُروجُ﴾.

أي كما خلقنا هذه الأشياء نبعثكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾.

أي فحقت عليه كلمة العذاب والوعيد للمكذبين للرسل، وكذلك قوله: ﴿فَأَنْذَرْتُكُم نَاراً تَلَظَّى، لاَ يَصْلاَهَا إلاَّ الأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾[1].

وقوله: ﴿أَفَعَيِينَا بِالَخَلْقِ الأَوَّلِ﴾.

هذا تقرير لأنهم اعترفوا بأنَ اللّه ـ عـزّ وجلّ ـ الخَـالِقُ، وأنكروا البعث، فقـال: ﴿أَفَعَيِينا بـالخَلْقِ الأَوَّلِ﴾، يقال: عَيِيتُ بـالأمر إذا لم تعْـرف وجهـه، وأَعَيْيتُ إذَا تعبتُ.

---

(١) سورة الليل الآية ١٤ ـ ١٦.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أي بل هم في لَبْسٍ مِنَ البَعْثِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُه﴾.

أي نَعلَمُ ما يخفي وما يكنه في نفسه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيدِ﴾.

والوريد عرق في باطن العنق، وهما وريدان، قال الشاعر.

كأن وريداه رشاء أُخْلُبِ[1]

يعني من ليف.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ يَتَلقَّى المَتَلَقِّيَانِ عَنِ اليَمين وَعَنِ الشِّمَال قَعِيدٌ﴾.

﴿المُتَلَقِّيَانِ﴾ كاتباه الموكّلانِ بِهِ، يَتَلقيان ما يعمله فيُثبتانه، المعنى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فدل أَحَدُهما على الآخر، فحذف المدلول عليه، ومثله قَوْلُ الشَّاعِر.

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف[2].

أي نحن بما عندنا راضون وأنت بما عندك راض، ومثله أيضاً

رماني بأمر كنتَ منه ووالدي بريئاً ومن أجل الطوى رماني[3]

المعنى رماني بأمر كنت منه بريئاً، ووالدي بريئاً منه.

---

(١) من رجز رؤبة وقبله: «غادرته مجدلاً كالكلب» وروايته في ديوانه والمصادر الأخرى: رشاء خُلْبِ. والخلب الليف، والرشاء الحبل - أي تركه ملقى على الأرض وقد انتفخت عروقه فصار كحبال الليف.

ملحقات ديوانه ١٦٩، ابن يعيش ٨٢/٨، الخزانة ٣٥٦/٤. والعيني ٣٩٩/٢ واللسان (خلب)، وسيبويه ١٦٤/٣ (ت هرون) وشواهد الكشاف.

(٢) تقدم.

(٣) للفرزدق - تقدم.

وقوله: ﴿عَتِيدٌ﴾ أي ثابت لازم.

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾.

أي جاءت السكرة التي تدل الإنسانَ على أنه ميت، ﴿بالحق﴾ أي بالمَوْتِ الذي خلق له. وقال بعضهم: وجاءت سكرة الحق بالموت، ورويت عن أبي بكر رحمه اللَّه والمعنى واحد، وقيل الحق ههنا اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

قيل في التفسير سائقٍ يسوقها إلى محشرها، وشهيد يشهد عَلَيْها بِعَمَلِها وقيل ﴿وَشَهِيدٌ﴾ هُوَ العَمل نفسه.

وقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾.

وهذا مَثلٌ، المعنى كنت بمنزلة من عليه غطاء وعلى قلبه غشاوة.

﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾.

أي فعلمك بما أنت فيه نافذٌ، ليس يراد بهذا البصر من - بَصَرِ العين - كما تقول: فلان بصير بالنحو والفقه، تُرِيدُ عَالِمَاً بِهِمَا، ولم ترد بصر العَيْن.

وقوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾.

«ما» رفع بهذا و «عتيد» صفة لما فِيمَنْ جَعَلَ «ما» في مذهب النكرة، المعنى هذا شيء لديّ عتيد، ويجوز أن يكون رفعه على وجهين غير هذا الوجه، على أن يُرْفَع عَتِيدٌ بإضْمارٍ، كأنك قلت: هذا شيءٌ لَدَيَّ هو عتيد ويجوز أن ترفعه على أنه خبر بعد خبر، كما تقول هذا حلو حامض، فيكون المعنى هذا شيء لَدَيّ عتيدٌ، ويجوز أن يكون رفعه على البدل من «ما»، فيكون المعنى هذا عتيد.

وقوله: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾.

أي عَنِدَ عن الحق، وقوله: ﴿أَلْقِيَا﴾، الوجه عندي - واللَّه أعلم - أن يكون أمر الملكين، لأن ﴿أَلْقِيَا﴾ للاثنين، وقال بعض النحويين: إن العرب

تأمر الواحد بلفظ الاثنين، فتقول قوماً واضربا زيداً يا رجل، وروَوْا أن الحجاج كان يقول: يا حَرَسِيُّ اضربا عنقه، وقالوا: إنما قيل ذلك لأن أكثر ما يتكلم به العرب فيمن تأمره بلفظ الاثنين، نحو.

خليلي مُرَّا بي على أُمِّ جُنـدَبِ[١]

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ[٢]

وقال محمد بن يزيد: هذا فعل مثنى توكيداً كأنه لمَّا قال أَلْقِيَا ناب عن قوله أَلْقِ أَلْقِ، وكذلك عنده قفا معناه عنده قف قف، فناب عن فعلين فبنى. وهذا قولٌ صالحٌ وأنا اعتقد أنه أمر الاثنين، واللَّه أعلم.

وقوله:﴿قَالَ قَرِينُه رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ في ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾.

المعنى إنما طغى وهو بضلاله وإنما دعوته فاستجاب، كما قال:﴿وقَالَ الشَّيطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الحَقِّ وَوَعَدتُكُمْ فَاخْلَفْتُكم وَمَا كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُم لِي﴾[٣].

وقوله:﴿مَا يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.

أي من عمل حسنة فله عشر أمثالها، ومن عمل سيئة فلا يجزى إلاَّ مثلها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّم هَلِ امْتَلأْتِ﴾.

وقرئت يوم يقول لجهنَّم، نصب يوم على وجهين على معنى ما يبدل القول لديّ في ذلك اليوم، وعلى معنى أنذرهم يوم نقول لجهنم، كما قال: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرةِ إِذْ قُضِيَ﴾[٤].

---

(١) أول قصيدة علقمة ـ والشطر الثاني: لنقضي حاجات الفؤاد المعذب ـ وقد قدمته بها على امرئ القيس ـ وقد ذكرت شواهد المغني جزءاً منها.

(٢) أول معلقة امرئ القيس. (٣) سورة إبراهيم الآية ٢٢. (٤) سورة مريم / ٣٩.

وقوله عزّ وجَلّ : ﴿هَلِ امْتَلأْتِ﴾ .

[أي] أم لم تمتلىء، وإنما السؤال توبيخ لمن أُدْخِلَهَا، وزيادة في مكروهه، ودليل على تصديق قوله : ﴿لأملأنَّ جَهَنَّمَ مِنك ومِمَّنْ تَبَعَكَ منهم [أجمعين]﴾[1] .

فأما قوله: ﴿وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾.

ففيه وجهان عند أهل اللغة أحدهما أنها تقول ذلك بعد امتلائها فتقول: هل من مزيد، أي هل بقي في موضع لم يمتلىء، أي قد امتلأت، ووجه آخر: تقول: هل من مزيد تغيظاً على من عصى كما قال عزّ وجلّ: ﴿سَمِعوا لَها تَغَيُّظاً وزفيراً﴾. فأما قولها هذا ومخاطبتها فاللَّه عزّ وجلّ جعل فيها ما به تُمَيِّزُ وتخاطب، كما جعل فيما خلق أن يسبح بحمده، وكما جعل في النملة أن قالت: ﴿يا أيُّها النَّمْلُ ادخُلُوا مَسَاكِنَكُم﴾[2] وقد زعم قوم أنها امتلأت فصارت صورتها صورة من لو ميَّزَ لَقال: هل من مزيد كما قال الشاعر:

امتــلأ الحــوض وقــال قـطني[3]

مهـلاً رويـداً قــد مـلأت بــطني

وليس هناك قول. وهذا ليس يُشْبِه ذاك، لأن اللَّه عزّ وجَلّ قد أعلمنا أن المخلوقات تسبح وأننا لا نفقه تسبيحها، فلو كان إنما هو أن يدل على أنها مخلوقة كنا نفقه تسبيحها.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيها وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ .

المعنى لهم فيها ما يشاءون ولدينا مزيد مما لم يخطر على قُلوبِهِمْ، وجاء في التفسير أن السحاب يمر بأهل الجنة فيمطر لهم الحور، فيقول الحورُ نحن الذين قال اللَّه عزّ وجَلّ [فيهم] ﴿ولدينا مزيد﴾.

---

(١) سورة ص /٨٥.　　　(٢) سورة النحل /١٨.

(٣) رجز يذكره النحويون في باب اسم الفعل، ولم يذكر قائله ـ وقطني بمعنى حسبي. انظر ابن يعيش ٢/١٣١. وقد تقدم.

﴿وَكَم أَهْلَكنا قبلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً﴾.

اختلف الناس في القرن فقال قوم: القرن عشر سنين، وقال قوم ثـلاثون سنة، وقال قوم أربعون سنة، وقال قوم سبعون سنة، وقالوا مائة سنة، وقال قوم مائة وعشرون سنة.

والقرن واللَّه أعلم مقدار التوسط في أعمار أهل الزمان، فالقـرن في قوم نوح على مقدار أعمارهم.

واشتقاقه من الاقتران فكأنه المقدار الذي هو أكبر ما يقترن فيه أهل ذلك الزَّمان في بقائهم.

وقوله عزّ وَجَلّ:﴿فَنَقَّبُوا فِي البِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ﴾.

وقـرئت فَنَقَبُوا ـ بـالتشديـد والتخفيف ـ المعنى طوَّفـوا وفتشـوا فلم يـروا محيصاً من الموت، قال امرؤ القيس[1].

وقـد نـقبـت في الآفـاق حـتـى رضيت من الغنيـمـة بـالإيـاب

وتقرأ فنقِّبُوا في البلاد، أي فتشوا وانـظروا، ومن هذا نَقيبُ القـومِ للذي يعرف أمرهم، مثل العريف.

قوله عزّ وجلّ:﴿إنَّ في ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمَعَ وَهُوَ شهِيدٌ﴾.

وقرئت أو أُلقِيَ السمعُ، ومعنى من كان له قلب أي من صـرف قلبه إلى التّفَهُّمِ، ألا تـرى أن قوله:﴿صُمُّ بُكْمُ عُمْيُ﴾ أنهم لم يستمعـوا استمـاع متفهم مسترشد فجعلوا بمنزلة من لم يسمع كما قال الشاعر:

---

(١) في الطبري ٢٦/٢٩٦، والقرطبي١٧/٢٢. ومجاز أبي عبيدة ٢/٢٢٤. والكامل ١/٣٢٥. وفي الديوان: وقد طوفت.

أَصَــمُّ عــما ساءه سميع(١)

ومعنى ﴿أو ألقى السمع﴾ أي استمع ولم يشغل قلبه بغيــر مـا يسمــع، والعــرب تقـول: ألق إليَّ سَمعَــك، أي استمـع مني، ومعنى وهــو شهيـدٌ، أي وقَلْبُـه فيما يسمـعُ(٢)، وجاء في التفسيـر أنه يعنى بـه أهل الكتـاب الـذين كـانت عندهم صفـة النبي ﷺ. فالمعنى على [هـذا] التفسير ﴿أو أَلْقَى السَّمْـعَ وَهُوَ شهيدٌ﴾ أن صفة النبي عليه السلام في كتابه.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَينَهُمْا في سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾.

اللُّغُـوب التَّعَب والاعياء، يقـال: لَغَبَ يلْغُبُ لُغُوبـاً. وهذا فيمـا ذكر أن اليهود ـ لُعِنَتْ ـ قالت: خلق اللّه السموات والأرض في ستَّةِ أيامٍ أولُها الأَحَـدُ وآخرها الجمعة، واستراح يوم السبت، فأعلم اللّه عـزّ وجَلّ أنـه خلقها في ستـة أيام وسبحانه وتعالى أن يوصف بتعب أَوْ نَصَبٍ.

ثم قال:﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّـكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُروب﴾.

يعني قبل طلوع الشمس صلاة الفجر، وقبل الغُروب صلاةَ العَصْرِ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾صلاة المغرب.

﴿وأَدْبَارَ السُّجُودَ﴾ الركعتان بعد صلاة المغرب على هذا، ويجوز أن يكون الأمر بالتسبيح بعد الفراغ من الصلاة، ويقرأ ﴿ومن الليل فسبحه وأَدبار السُّجودِ﴾ وإدبار السجود، فمن قرأ وأَدْبَارَ بفتح الألف فهو جمع دُبُر، ومن قرأ وإدبَارَ فهو على مصدر أَدْبَرَ يُدْبِرُ إدباراً.

---

(١) تقدم

(٢) انتباهه لما يسمع فقط.

وقوله تعالى: ﴿واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي المُنَـادِ مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾

جاء في التفسير أنه يعنى به أنه ينادى بالحشر من مكـان قريب، وقيـل: هي الصخرة التي في بيت المقدس، ويقال إنها في وسط الأرْضِ.

قوله عزّ وجَلّ: ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الخُروجِ﴾.

أي يوم يبعثون ويخرجون، ومثله ﴿يَوْمَ يَدْعُ الـدَّاعِ إلىَ شَيءٍ نُكُرٍ، خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الأجْدَاثِ﴾[1] والأجـداث القوب وقـال أبو عبيـدة: يوم الخروج من أسماء يوم القيامة، واستشهَدَ بقول العَجَّاجِ[2].

أليس يــوم سمي الخــروجــا أعـظمَ يَـوْمٍ رَجَّــه رَجُـوجَــا

وقوله: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّـرْ بالقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

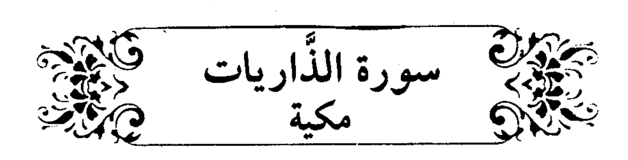
هذا كما قال: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾[3] وهذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالحرب لأن سورة «ق» مكية.

---

(١) سورة ٦، ٧.

(٢) في مجاز أبي عبيدة ٢/٢٢٣، وفي ديوانه ص ١١.

(٣) سورة الغاشية ٢٢.



سورة الذَّاريات
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾.

جاء في التفسير عن علي رضي اللّٰه عنه ان الكواء سأله عن ﴿والذَّارِيَاتِ ذَرْواً﴾فقال علي: هي الرياح، قال: ﴿فالْحَامِلاَتِ وِقْراً﴾ قال السَّحابُ، قال: ﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً﴾ قال الفلك، قال: ﴿فالمقسمات أمْراً﴾ قال الملائكة.

والمفسرون جميعاً يقولون بقول علي في هذا.

﴿والذَّارِيَاتِ﴾ مجرور على القسم، المعنى أحلف بالذاريات وبهذه الأشياء، والجواب :﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

وقال قوم: المعنى وَرَب الذَّارِيَاتِ ذَرْواً كما قال عزّ وجّل: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾[٢]، والذاريات من ذَرَتِ الريح تَذرو إذا فرقت التراب وغيره، يقال: ذرت الريح وأذرت بمعنى وَاحِدٍ، ذرت فهي ذاريةٌ، وهن ذارياتٌ، وأذرت فهي مُذْرِية ومُذْرِياتٌ للجماعة، وذاريات أيضاً، والمعنى ورب الرياح الذاريات، ورب السُّفُن الجاريات، ورب الملائكة المقسمات، إنّ ما توعدون لَصَادِقٌ.

وقوله:﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾.

أي إن المجازاة على أعمَالكم لواقعة.

---

(١) سورة الذاريات ٢٣.

وقوله:﴿والسَّمَاءِ ذَاتِ الحُبُكِ. إِنَكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾.

جاء في التفسير أنها ذات الخلق الحسن، وأهل اللغة يقولون ذات الحبك ذات الطرائق الحسنة، والمحبوك في اللغة ما أُجِيدَ عَمَلُهُ وكل ما تراه من الطرائق في الماء وفي الرمل إذا أصابته الريح فهو حبك، وواحدها حِبَاك، مثل مِثَال ومُثُلٍ، وتكون واحدتها أيضاً حبيكة مثل طريقة وطرق.

وقوله:﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ أي في أمر النبي ﷺ.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾. أي يُصرف عنه من صُرِفَ.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾.

هم الكذابون، تقول: قد تَخَرَّصَ عليَّ فُلانٌ الباطل، ويجوز أن يكون الخرّاصون الذين يتظنون الشيء لا يُحِقُّونه، فيعملون بما لا يدرون صحته.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾.

ويجوز إِيَّان بكسر الهمزة وفتحها، أي يقولون متى يوم الجزاء.

وقوله:﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾.

بنصب يوم، ويجوز يَوْمُ هم على النَّار يفتنونَ، فمن نَصَبَ فهو على وجْهَين أحدهما على معنى يقع الجزاء يَوْمَ هُمْ عَلَى النار يُفْتَنُونَ ويجوز أن يكون لفظه لفظَ نَصْبٍ ومعناه معنى رفع، لأنه مضاف إلى جملة كلام، تقول يعجبني يَوْمَ أَنْتَ قَائِمٌ، ويومُ أنت قائمٌ، وَيَوْمُ أَنْتَ تَقُومُ، وإن شئت فتحت وهو في موضع رفع كما قال الشاعر:[1]

لم يمنع الشرب منها غَيْرَ أن نطقت حمامة في غُصُون ذَاتُ أَوْ قَالِ

وقد رويت غَيْرُ أن نطقت، لما أضاف غير إلى أن وليست بِمُتَمكِّنةٍ فتح، وكذلك لما أضاف يوم إلى ﴿هُمْ عَلَى النَّارِ﴾ فتح، وكما قرئت:﴿ومِنْ

(١) تقدم.

خِزْيِ يَوْمَئِذٍ﴾، ففتحت يوم وهو في موضع خفض لأنك أضفته إلى غير متمكن.

ومعنى ﴿يُفْتَنُونَ﴾ يحرقون وَيُعَذَّبونَ، ومن ذلك يقال للحجارة السود التي كأنها قد أحرقت بالنَّور الفَتِينُ.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿إنَّ المُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيَونٍ. آخِذِينَ مَا آتاهم رَبُّهُمْ﴾.

أعلم عزّ وجَلّ ما لأهل النَّار، ثم أعلم ما لأهل الجنَّة لأنَّهُ لَمَّا قَالَ: ﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ أعلم جزاء أهل الجنَّةِ، وجزاء أهل النَّارِ.

وقوله: ﴿آخِذِينَ﴾ نصب على الحال، المعنى إن المتقين في جَنَاتٍ وعيون في حال أخْذِ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ، ولو كان في غير القرآن لجاز «آخِذُونَ» ولكن المصحَفَ لَا يُخَالف، ويكون المعنى إن المتَّقين آخِذُونَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ في جنات وعُيُونٍ، والوجه الأول أجْوَدُ في المعنى وعليه القراءة.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾.

المعنى كانوا يهجعون قليلاً من الليل، أي كانوا ينامون قليلاً مِنَ اللَّيْلِ، ثم أعلم اللَّه عزّ وجَلّ في أي شيء كَانَ سَهَرُهُمْ فقال: ﴿وبالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرونَ﴾.

وجائز أن يكون «ما» مُؤَكِّدةٌ لَغْواً، وجائز أن يكون «ما» مع ما بعدها مَصْدراً، يكون المعنى كانوا قليلاً من الليل هجوعهم.

﴿وفي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ للسَّائِلِ والمَحْرُومِ﴾.

﴿المحروم﴾ جاء في التفسير الذي لا ينمو له مال، والأكثر في اللغة لا ينمى له مال، وجاء أيضاً أنه المجازف الذي لا يكاد يكتسب.

قوله: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إنَّه لَحَقٌّ﴾.

أي إن مـا أتى به النبي [ﷺ] حق وإن قـولـه:﴿وَفِي السَّمَـاءِ رِزْقُكُمْ وَمَـا تُوعَدُونَ﴾ حَقٌّ.

فالمعنى أن هذا الذي ذكرنا في أمر الآيـات والرِّزْقِ وأمـر النبي ﷺ حق ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾

وقرئت مِثْلُ ما أنكم تنطقونَ، وهذا كما تقول في الكـلام: إنَّ هذا لحقٌّ كما أنك متكلمٌ، فمن رفع «مثل» فهي من صفـة الحق، المعنى إنه لحق مِثْـلُ نُطْقِكُمْ، ومن نصب فعلى ضربين أحدهما أن يكون في موضع رفع إلاّ أنه لما أضيف إلى «أنَّ» فتح، ويجوز أن يكونَ منصوبـاً على التوكيـد، على معنى إنه لحقٌّ حَقًّا مثل نطقكم.

وقوله:﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾.

جاء في التفسير أنه لما أَتَتْهُ الملائكـةُ أكرمهم بـالعِجل، وقيـل: أكرمهم بأنه خَدَمَهُمْ، صلوات اللَّه عليه وعليهم.

﴿فقَالُوا سَلاَماً﴾ قَالَ سِلْمٌ.

وقرئت: ﴿قَالَ سَلاَمٌ﴾. فنصب الأولى على معنى السَلامُ عليكم سَـلاماً، وسلمنا عليك سـلاما، ومن قـرأ،﴿قَالَ سَلاَمٌ﴾فهو على وجهين على معنى قـال سَلامٌ عليكم، ويجوز أن يكون على معنى أمرنا سَلامٌ. ومن قـرأ سِلْمٌ فالمعنى قال سلم أي أمري سِلْمٌ، وأمرنا سِلْمٌ، أي لا بَأْس علينا.

وقوله: ﴿قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾.

رفعه على معنى أنتم قوم منكرونَ.

﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فجاء بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾.

معنى ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ عدل إِلَيْهِمْ من حيث لا يعلمون لأيِّ شيء عَدَل،

وكذلك يَقُولُ: راغ فلان عنا إذا عدل عنهم من حيث لا يعلمون.

وقوله: ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلاَ تَأْكُلونَ﴾.

المعنى فقربه إليهم ليأكلوا منه فلم يأكلوا، قال ألا تـأكُلُونَ على النكير، أي أمركم في ترك الأكل مما أنْكِرُه.

وقوله: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لاَ تَخَفْ﴾.

معنى «أَوْجَسَ» وقع في نَفْسِه الخوفُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وبشَّروهُ بِغُلامٍ عَلِيمٍ﴾ معنى «عليم» أنه يبلغ وَيَعْلَمَ.

وقوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرأَتُه في صَرَّةٍ﴾ والصرَّةُ شدة الصياحِ ههنا ﴿فصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي لطمت وَجْهَهَا.

﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾.

المعنى وقالت أَنَا عَجُوزٌ عَقِيمٌ، وكيف أَلِدُ. ودليل ذلك قوله في موضع آخر: ﴿قَالَتْ يا وَيْلَتَا أأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذا بَعْلِي شَيخاً﴾[1].

﴿قالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ﴾.

أي كما قلنا لك قال ربـك، أي إنما نخبـرك عن اللَّه ـ عزّ وجَلّ ـ واللَّه حكيمٌ عَلِيمٌ، يقدر أن يجعل العقيم ولوداً، والعجوز كذلك. فعلم إبراهيم أنهم رسل وأنهم ملائكة.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّها المُرْسَلُونَ﴾ أي ما شأنكم وفيم أرْسِلْتُمْ.

﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ، لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجارَةً مِنْ طِينٍ﴾.

أي إنا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ لنهلكهم بِكُفْرِهَمْ.

﴿مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾.

---

(١) سورة هود /٧٢.

أي مَعَلَّمَـة على كل حجـر منها اسم من جعـل إِهْلَاكُـه به، والمسَـوَّمَـة المعلَّمَةُ أُخِذَ من السُّومَةِ وهي العَلَامة.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

أي تركنا في مدينة قوم لوط علامة للخائفين تَدُلُّهُمْ عَلَى أَنَّ اللَّه أهلكهم لينكل غيرهم عن فعلهم.

وقوله: ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إلى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

هذا عطف على قوله: ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ وعلى قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ العَذَابَ الأَلِيمَ﴾.

وقوله: ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾، أي بحجة واضحة.

﴿فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ﴾: أي تولى بما كان يتقوَّى به من جُنْدِهِ ومُلكِهِ.

﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أو مَجْنُونٌ﴾:

المعنى وقال هذا ساحر أو مجنونٌ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ﴾.

﴿فَأَخَذْنَاهُ﴾ وركنه الذي يتقوى به ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ في اليَمِّ﴾، واليمُّ البحر.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي اللائمة لازمة له، أي ليس ذلك الذي فعل به بكفارة له.

والمُلِيمُ في اللغـة الذي يـأتي بما يجب أن يـلام عليه، ومعنى نبـذناهم ألقيناهم، وكل شيء ألقيته تقول فيه قد نبـذته، ومن ذلـك نبذت النبيـذ، ومن ذلك تقول للملقوط منبوذ لأنه قد رُمِيَ به.

وقوله: ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العَقِيمَ﴾.

أي وفي عادٍ أيضاً آيةٌ على ما شـرحنا في قـوله: ﴿وَفِي مُوسَى﴾ والريـح العقيم التي لا يكون معها لَقْحٌ، أي لا تأتي بمطر، وإنما هي ريح الإهلاك.

﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾.

والرميم الورق الجاف المتحطم، مثل الهشيم، كما قال: ﴿كَهَشِيمِ المُحْتَظِرِ﴾[1].

﴿وفي ثمود﴾ أي وفي ثمود أيضاً آيةٌ.

وقوله: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾.

قرئت وقومِ نوحٍ - بالخفض - وقومَ نوحٍ - بالنصب - فمن خفض فالمعنى في قوم نوح، ومن نصب فهو عطف على معنى قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرونَ﴾.

ومعنى أخذتهم الصاعقة أهلكناهم، فالمعنى فأهلكناهم وأهلكنا قوم نوح من قبل، والأحسن واللَّه أعلم أن يكون محمولاً على قوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَه فنبذناهم في اليَمِّ﴾، لأن المعنى فأغرقناه وجنوده وأغرقنا قوم نوح من قبل.

والسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ: أي بقُوَّةٍ.

﴿وإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾: جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

﴿وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾.

عطف على ما قبله مَنْصُوبٌ بفعل مضمر، المعنى وفرشنا الأَرْضَ فرشناها.

ومعنى ﴿فَنِعْمَ المَاهِدُونَ﴾ نحن، ولكن اللفظ بقوله فرشناها يدُل على المضمر المحذوف.

وقوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾.

المعنى - واللَّه أعلم - على الحيوان لأن الذكر والأنثى يقال لهما زَوْجَانِ ومثله ﴿وأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ والأُنْثَى﴾[2]، ويجوز أن يكون الزوجان من كل

---

(١) سورة القمر / ٣١.

(٢) سورة والنجم / ٤٥.

شيء، ويكون المعنى في كل شيء في الحيوان الذكر والأنثى ويكون في غيره صِنفان أصل كل حيوان ومَوَاتٍ، واللَّه أعلم.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾.

المعنى ففروا إلى اللَّه من الشرك باللَّه ومن مَعَاصِيه إليه.

﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾، أي أنذركم عذابه وعقابه.

وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ، كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾.

المعنى الأمر كذلك، أي كما فعل من قبلهم في تَكذيبِ الرُّسُلِ.

﴿إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

أي إلا قالوا هذا ساحر، ارتفع ساحر بإضمار هو.

وقوله: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾.

معناه أوصى أولهم آخرهم، وهذه ألف التوبيخ وألف الاستفهام.

وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾.

أي لا لوم عليك إذا أديت الرِّسَالَةَ.

﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المؤمِنِينَ﴾.

أي ذكرهم بأيام اللَّه وعذابه وعقابه ورحمته.

قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾.

اللَّه ـ عزّ وَجَلّ ـ قد علم من قبل أن يَخْلُقَ الجنَّ والإنسَ من يعبده مِمَّنْ يكفر به، فلو كان إنما خلقهم ليجبرهم على عِبَادَتِه لكانوا كلهم عباداً مؤمنين ولم يكن منهم ضُلَّال كافِرونَ، فالمعنى. وما خلَقت الجنَّ والإنس إلا لأدعوهم إلى عِبَادَتِي، وأَنَا مُرِيدٌ العِبَادَةَ مِنْهُمْ، يعني من أهلها.

﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾.

أي ما أريد أن يرزقوا أحَداً من عبادي، وما أريد أن يطعموه[1] لأني أنا الرزاقُ المطعِمُ.

﴿إنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾.

والقراءة الرفْعُ وهو في العربية أحسن بكون رفع المتين صفة لِلَّهِ عزّ وجَلّ، ومن قرأ ذو القوةِ المتينِ - بالخفض - جعل المتين صفة للقوة لأن تأنيث القوة كتأنيث الموعظة، كما قال: ﴿فمن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ﴾ المعنى فمن جاءه وَعظٌ.

ومعنى ﴿ذُو القُوَّةِ المتين﴾ ذو الاقْتِدَاءِ الشديد.

وقوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوباً مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ﴾.

الذَّنُوب في اللغة النصيب والدلو يقال لها الذنوب، المعنى فإن للذين ظلموا نصيباً من العذاب مثلَ نَصيبِ أَصْحَابِهم الذين أهلكوا نحو عاد وثمود وقوم لوط.

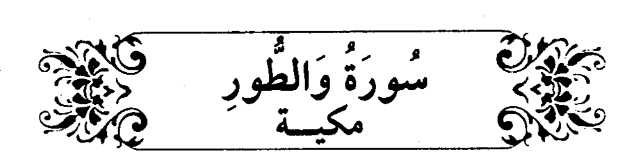
﴿فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾، أي إن أُخِّرُوا إلى يَوْمِ القيامَةِ.

﴿فَوَيْلٌ للَّذينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، أي من يوم القيامة.

---

(١) الأولى أن يكون التقدير: ما أريد أن يطعموني، وذلك لوجود نون الوقاية في «يطعمون».





سُورَةُ وَالطُّورِ
مكيـــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿والطُّورِ﴾.

قسم، والطور الجبل، وجاء في التفسير أنـه الجبل الـذي كَلَّمَ اللَّه عليه موسى عليه السلام.

﴿وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ. في رَقٍ مَنْشُورٍ﴾.

الكتاب ههنا ما أثبت على بني آدم من أعمالهم.

﴿والْبَيْتِ المَعْمُورِ﴾.

في التفسير أنه بيت في السماء بإزاء الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون منه وَلاَ يَعُودُونَ إليه.

وقوله:﴿إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

جواب القسم، أي وهذه الأشيـاء إن عذاب ربـك... وجائـز أن يكون المعنى ـ واللَّه أعلم ـ ورب هذه الأشياء ﴿إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لواقع﴾.

وقوله:﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّماءُ مَوْراً﴾.

﴿تمور﴾ تدور، و «يوم» منصوبٌ بقوله ﴿إنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾، أي لواقع يوم القيامة.

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَـذِّبين، والويـل كلمة يقـولها العـرب لكل من وقـع في هلكة.

قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾.

أي يشاغلهم بكفرهم لعب عاقِبَتُه العذاب.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾.

أي يوم يزعجون إليها ازعاجاً شـديداً، ويـدفعون دفعـاً عنيفاً، ومن هـذا قوله: ﴿الذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾، أي يدفعه عما يجب له.

وقوله: ﴿هَذِهِ النَّارُ التي كُنْتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾.

المعنى فيقال لهم: ﴿هذه النار التي كنتم بها تكذبون﴾.

﴿والبَحْرِ المَسْجُورِ﴾.

جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نارجهنم، وأما أهل اللغة فقالـوا: البحر المسجور المملوء. وأنشدوا: (١)

إذا شـاء طـالـع مسجـورة ... تـرى حولهـا النبع والسَّـاسَمَـا

يعني ترى حولها عيناً مملوءة بالماء.

وقوله عز وجل: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ﴾.

لفظ هـذه الألف لفظ الاستفهام، ومعنـاها ههنـا التـوبيخ والتقـريـع أي أتصدقون الآن أن عذاب اللّه لواقع.

وقوله عز وجل: ﴿اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُم﴾ سواء مرفوع بالابتداء، والخبر محذوف، المعنى سواء عليكم الصبر والجزع.

(١) للنمر بن تولب. وهـو في الخزانـة ٤/٤٣٤، والشنتمرى ١/١٣٥، والعيني ١/٥٧٥، وشـواهد المغني ٦٥. يقـول في الابيات السـابقة: لـو كان لملخـوق أن ينجو من المـوت لكان الـوعـل الأعصم، لأن أمـه تلده في مضلة لا يهتدى إليهـا إذا شاء طـالع مسجـورة: أي مملوءة بـالمـاء تحيط بها هذه الاشجار ـ من النبع وهو شجر قوي تصنع منه القسي، والساسم هو الآبنوس.

﴿إنَّما تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

معنى إنما ههنا ما تجزون إلَّا ما كنتم تعملون، أي الأمر جارٍ عليكم على العدل، ما جوزيتم إلّا أعمالكم.

وقوله: ﴿إنَّ المتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ. فاكِهينَ بِمَا آتاهُمْ رَبُّهُمْ﴾.

وفاكِهين جميعاً، والنصب على الحال، ومعنى ﴿فاكهين بما آتاهم رَبُّهُمْ﴾ أي معجبين بما آتاهم رَبُّهُمْ

﴿ووَقاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الجَحِيمَ﴾.

أي غفر لهم ذنوبهم التي توَجِبُ النَّار بإسلامهم وتوبتهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُوا واشْرَبوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾،

المعنى: يقال لهم ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾. وهنيئاً منصوب وهو صفة في موضع المصدر، المعنى كلوا واشربوا هُنِّئْتُمْ هَنيئاً وليهنكم ما صرتم إليه.

وقوله: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيها كَأْساً لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تأثِيمٌ﴾.

معنى ﴿يتنازعون﴾ يتعاطون فيها كأساً، يُتَناول هذا الكأس من يد هذا وهذا من يد هذا، وقوله: ﴿لَا لَغْوٌ فِيها ولا تأثيم﴾، معناه لا يجري بينهم ما يُلْغَى، أي لا يجري بينهم باطل ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لِشَرَبَةِ الخمر، والكأسُ في اللُّغة الإنَاءُ المملوء، فإذا كان فارغاً فليس بكأس. وتقرأ: لا لغوَ فيها ولا تَأثِيمَ. بالنَّصْبِ، فمن رفع فعلى ضربين، على الرفع بالابتداء، و «فِيْهَا» هو الخبر، وعلى أن يكون «لا» في مذهب «ليس» رافعة.

أنشد سيبويه وغيره[1]:

مَن صدَّ عن نِيرَانِها فَأَنَا ابنُ قَيْسٍ لَا براحُ

(١) تقدم

ومن نصب فعلى النّفْي والتبرية كما قال في قوله: لا ريب فيهِ، إلا أن الاختيارَ عند النحويين إذا كرِّرَتْ «لا» في هذا الموضع الرفع، والنَّصْبُ عند جميعهم جائز حَسَنٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ. قالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

الكلام - واللَّه أعلم - يدل ههنا أنهم يتساءلون في الجنة عن أحوالهم [التي] كانت في الدنيا، كان بعضهم يقولُ لبعضٍ: بم صرت إلى هذه المنزلة الرفيعة، وفي الكلام دليل على ذلك وهو قوله في جواب المسألة: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

أي مشفقين من المصير إلى عذاب اللَّه عزّ وجَلّ، فعملنا بطَاعَتِه، ثم قرنوا الجوابَ مع ذلك بالإخلاص والتوحيد بقولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ البرُّ الرَّحِيمُ﴾.

أي نُوَحِّدُه ولا ندعو إلٰهاً غيره.

﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾، أي عذاب سموم جهنم.

وقوله: عزّ وجلّ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾.

أي ذكرهم بما أعتَدْنَا للمتَّقِينَ المؤمنين والضلال للكافِرين، فما أنت بنعمة رَبِّك بكاهن ولا مجنون أي لست تقول ما تَقُولُه كهانَةً، ولا تنطق إلَّا بَوَحْيٍ من اللَّه عزّ وَجَلّ.

وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ المَنُونِ﴾.

﴿رَيْبَ المَنُونِ﴾ حوادث الدهر.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ المُتَرَبِّصِينَ﴾.

فجاء في التفسير أن هؤلاء الذين قالوا هذا ـ وكان فيهم أبو جهل ـ هلكوا كلهم قبل وفاة رسول اللّه ﷺ.

وقوله: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُم أَحْلاَمُهُمْ بِهَذَا ﴾.

أي أتأمرهم أَحْلاَمُهُم بترك القبول ممن يدعوهم إلى التوحيد وتأتيهم على ذلك بالدلائل، ويعملون أحْجَاراً ويعبدونها.

﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾.

أي أم هم يكفرون طغياناً وقد ظهر لهم الحق.

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾.

أي إذا قالوا أن النبي ﷺ تقوله فقد زعموا أنه من قول البشر، فليَقُولُوا مثلَهُ فما رام أَحَدٌ مِنهم أن يقول مثل عَشْرِ سُور ولا مثل سورةٍ.

وقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الخَالِقُونَ﴾.

معناه بل أَخُلِقُوا من غير شيء، وفي هذه الآية قولان، وهي مِنْ أَصْعَب ما في هذه السورة. قال بعض أهل اللغة: ليس هم بأشد خلقاً من خلق السموات والأرض، لأن السموات والأرض خُلِقَتَا من غير شيء، وهم خُلِقُوا من آدم وآدم من تراب.

وقيل فيها قول آخر، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيرِ شَيءٍ﴾ أم خُلِقُوا لِغَيْر شيءٍ أي خلقوا باطِلاً لا يحاسبون ولا يؤمرون ولا يَنْهَوْنَ.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا واتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّاتُهُمْ بإيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتَهُمْ﴾.

وقرئت ﴿أَلحقنا بهم ذُرِّيَاتِهِمْ﴾، وقرئت «واتبعتم ذُرِّيَّاتُهِمْ» وكلا الوجهين جائز، الذُّرِّية تقع على الجماعة، والذُّرِّيَّات جَمعٌ، وذُرِّيَّة على التوحيد أكثر.

وتأويل الآية أن الأبناء إذا كانوا مؤمنين، وكانت مراتب آبائهم في الجنة

أعلى من مراتبهم ألحق الأبناء بالآباء، ولم ينْقص الآباء من عملهم شيئاً، وكذلك إن كان عَمَلُ الآبَاء أنقص، أُلْحِقَ الآبَاءُ بالأبْنَاءِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَلَتْناهم مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيءٍ﴾.

معناه ما أنْقَصْنَاهم، يقال أَلَتَه يَأْلِتُهُ أَلْتاً إِذا نَقَصَهُ، قال الشاعِرُ[1]

أبلغ بني ثُعَلٍ عَنّي مُغَلْغَلَةً جهد الرسالة لا أَلْتاً وَلَا كَذِباً

ويقال لأته يليتهُ لَيْتاً إذا نَقَصَهُ وصرفَهُ عن الشيء، قال الشاعر[2]:

وليلةٍ ذات نَدًى سَرَيْتُ وَلَم يَلِتْني عن هواها ليتُ

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ المصَيْطِرُونَ﴾ المصيطرون الأرباب المتسَلِّطُونَ، يقال: قد سيطر علينا وتسيطر. بالسين والصّاد، والأصل السين، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صاداً، تقول: سيطر وصيطر، وسطا وصَطا.

وتفسير ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾، أي عندهم ما في خزائن ربك من العلم، وقيل - في «خزائن ربك» أي رزق ربك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾.

وقال أهل اللغة: معنى يستمعون فيه، يستمعون عليه ومثله: ﴿لأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخلِ﴾[3] أي على جذوع النخل.

﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.

---

(١) للحطيئة - انظر مجاز أبي عبيدة ٢/٢٢١، واللسان (ألت) ومعاني الفراء ٩١ جـ٣ - في الآية نفسها.

(٢) أورده أبو عبيدة في مجازه ٢/٢٢١ منسوباً لرؤبة، وهو في معاني الفراء ٩١ جـ٣ غير منسوب، وانظر القرطبي ١٦/٣٤٩.

(٣) سورة طه الآية ٧١.

أي بحجة واضحة، والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ أنهم كجبريل الذي يأتي النبي ﷺ بالوحي ويبين تبيينه عن اللَّه، ما كان وما يكون. ثم سفر أحلامهم في جعلهم البنات للَّه فقال:

﴿أَمْ لَهُ البَنَاتُ وَلَكُم البَنُونَ﴾.

أي أنتم يجعلون للَّه ما تكرهون وأنتم حكماء عند أنفسكم.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْراً فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾.

المعنى أن الحجة واجبة عليهم من كل جهة، لأنك أتيتهم بالبيان والبرهان ولم تسألهم على ذلك أجراً.

وقوله جلّ وعلا:﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْداً فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ المكِيدُونَ﴾.

أي أم يريدون بكفرهم وطغيانهم كيداً. فاللَّه عزّ وجلّ يكيدهم ويجزيهم بكيدهم العذاب في الدنيا والآخرة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيرُ اللَّهِ﴾.

المعنى بل أَلَهُمْ إِلَـهٌ غير اللَّه. فإن قال قائل: هم يزعمون أنَّ الأصنام آلهتهم، فكيف قيل لهم: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَـهٌ غَيرُ اللَّهِ﴾ فالجواب في ذلك أَلَهُمْ إِلَهٌ غير اللَّه يخلق ويرْزُق ويفعل ما يعجز عنه المخلوقون، فمن يفعل ذلك إلا اللَّه عزّ وجلّ، ثم نَزَّهَ نفسه عزّ وجلّ فقال:﴿سُبْحانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

جاء في التفسير وفي اللغة أن معناه تنزيه اللَّهِ عمَّا يشركون، أي عمن يجعلون شريكاً للَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحابٌ مَرْكُومٌ﴾ أي وإن يروا قطعة من العذاب يقولوا لشدة طغيانهم وكفرهم: هذا سحاب مركوم، ومركوم قد ركم بعضه على بعض، وهذا في قوم من أئمة الكفر وهم الذين

قال اللّه ـ عزّ وجلّ ـ فيهم: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِن السَّمَاءِ فَظَلُّوا فيه يَعْـرُجُونَ لَقَالُوا إنما سُكِّرَتْ أبْصَارُنَا، بَلْ نَحْنُ قَوْمٌمَسْحُورُونَ﴾[1] فأعلم اللّه عـزّ وجَلّ أَنَّ هَؤُلاَءِ لاَ يَعْتَبِرُونَ وَلاَ يوقِنُونَ ولا يؤمنون بأبْهَرِ ما يكون من الآيات.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلاَقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾.

وقرئت: ﴿يُصْعَقُـونَ﴾، أي فذرهم إلى يوم القيامـةِ، ثم أعلم أنـه يعجل لهم العذاب في الدنيا فقال:

﴿وَإِنَّ لِلَّذينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾.

المعنى وإن للذين ظلمـوا عذابـاً دون عـذاب الآخـرة، يعني من القتـل والأسر وسبي الذَّرَارِي الَّذِي نزل بهم، وأعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه ناصِـرٌ دينه ومهلك من عادى نبيه، ثم أمره بالصبر إلى أن يقع العذاب بهم فقال:

﴿واصْبِرْ لِحكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾.

أي فـإنك بحيث نـراك ونحفظك ونـرعـاك، ولا يصلون إلى مكـروهك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾.

أي حين تقوم من منامك، وقيل حين تقوم في صلاتك، وهو ما يُقَالُ مع التكبير: سبحانك اللهم وبحمدك.

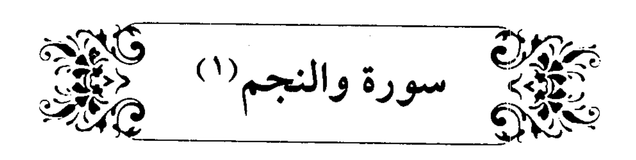
﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾.

وقرئت «وأَدْبَارَ النجـومِ»، فمن قرأ إدبـار بالكسـر فعلى المصدر أَدْبَـرْتُ إِدْباراً، ومن قرأ أدبار بالفتح فهو جمع دبر. وأجمعوا في التفسير أن معنى أَدْبَارَ السُّجُود، معناه صلاة الركعتين بعـد المغرب، وأن إدبـار النجوم صـلاة ركعتي الغداة[2].

---

(١) سورة الحجر الآية ١٤ ـ ١٥.

(٢) معنى التسبيح في هذا الوقت هو الصلاة.



سورة والنجم[1]

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾.

أقسم اللّه - عزّ وجَلّ - بالنجم.

وقوله: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، جَوَابُ القسم.

وجاء في التفسير أن النجم الثُّريَّا، وكذلك يسميها العَرَبُ، وجاء أيضاً في التفسير أن النجم نزول القرآن نَجماً بعد نجم، وكان ينزل منه الآية والآيتان، وكان بين أول نزوله إلى استتمامه عشرون سنةً، وقال بعض أهل اللغة: النجم بمعنى النجوم وأنشدوا[2].

فظلت تعد النجم في مُسْتَحِيرَةٍ سريع بأيدي الآكلين جمودها

يصف قِدْراً كثيرة الدسم، ومعنى تعد النجم أي من صفاء دسمها ترى النجوم فيه، والمستحيرة القدر، فقال يجمد على الأيدي الدَّسَمَ مِنْ كَثْرتِه وقالوا مثله: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾[3].

ومعنى: ﴿إِذَا هَوَى﴾، إذا سقط، وإذا كان معناه نزول القرآن فالمعنى في «إِذَا أَهَوَى»، إذَا نزل.

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) للراعي. انظر اللسان (نجم)، وشواهد الكشاف، وأورده أبو عبيدة في مجازه ٢/٢٣٥، «وباتت تعد النجم» وكذلك الطبري ٢٧/٢٢ والقرطبي ١٧/٨٢.

(٣) سورة الواقعة /٧٥.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾: يعني النبي [ﷺ].

وقوله: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى﴾، أي ما الذي يأتيكم به مِمَّا قَاله بهَواه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.

«إن» بمعنى «ما»، المعنى: ما هو إلا وحي.

﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾، يعني به جبريل عليه السلام.

وقوله:﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾.

﴿ذو مِرَّةٍ﴾ من نعت قوله ﴿شديد القُوَى﴾، والمِرَّةُ القوَّة، ﴿عَلَّمَـهُ﴾ علم لنبي ﷺ.

وقوله: ﴿ فَاسْتَوَى وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى ﴾.

قال بعض أهل اللغـة: «هو» ههنـا يعنى به النبي عليـه السلام، المعنى فاستوى جبريل والنبي ﷺ بـالأفق الأعلى، وهذا عنـد أهل اللغـة لا يجوز مثله إلا في الشعر إلا أن يكون مثل قولك: استويت أنا وزيدٌ، ويستقبحون استويت وزيدٌ، وإنما المعنى استوى جبريل وهو بـالأفق الأعلى على صورته الحقيقية، لأنه كان يتمثل للنبي ﷺ إذا هبط عليه بالوحي في صورة رجلٍ، فأحبَّ رسول اللَّه أن يراه على حقيقته فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق. فالمعنى ـ واللَّه أعلم ـ فاستوى جبريل في الأفق الأعلى على صورته.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾.

ومعنى ﴿دَنَا وَتَدَلَّى﴾ واحد، لأن المعنى أنه قَرُبَ، وتدلى زَادَ في القرب، كما تقول: قد دنا فلان مني وقرب، ولو قلت: قد قُرُبَ مني ودنا جاز.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾.

المعنى كان ما بينه وبين رسول اللّه مقدار قوسين مِنَ القَسِيّ العربيَّةِ أو أقرب. وهذا الموضع يحتاج إلى شرح لأن القائل قد يقول: ليس تَخْلُو «أو» من أن تكون للشك أو لغير الشك، فإن كانت للشك فمحال أن يكون موضع شك، وإن كان معناها بل أدنى، بل أَقْرَبُ فما كانت الحاجة إلى أن يقول: ﴿فكان قاب قَوْسَيْنِ﴾: ـ كان ينبغي أن يكون كان أدنى من قاب قَوسَيْنْ.

والجواب في هذا ـ واللّه أعلم ـ أن العباد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحزر، فالمعنى فكان على ما تُقَدِّرونَه أنتم قدر قوسين أو أقل من ذلك، كما تقول في الذي تقدره: هذا قدر رُمْحَينِ أو أنقص من رُمْحَين أو أرجح. وقد مر مثل هذا في قوله: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مائةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾[1].

﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾، أي فَأوحى جبريل إلى النبي عليه السلام ما أوحى.

قوله:﴿مَا كَذَبَ الفُؤَادُ مَا رَأَى﴾.

وقرئت: ﴿ما كذَّب الفؤاد ما رأى﴾ بتشديد الذّال.

وقوله:﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّه الكُبْرَى﴾.

جاء في التفسير أن النبي ﷺ رأى رَبَّهُ ـ عزّ وجلّ ـ بقلبه، وأنه فَضْلُ خُصَّ به كما خُصَّ إبراهيم عليه السلام بِالخُلَّةِ[2]. وقيل رأى أَمْراً عظيماً، وتفسيره﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾.

وقوله ـ عزَ وجلّ ـ :﴿أَفتَمْرُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾.

---

(١) سورة الصافات /١٤٧.

(٢) أي اتخذه الله خليلاً.

و ﴿أفتُمارُونه﴾ وقرئت بالوجهين جميعاً، فمن قرأ ﴿أفَتَمرونَـهُ﴾ فالمعنى أفتَجْحَدونَهُ، ومن قرأ ﴿أفَتُمارُونَـه﴾ فمعناه أتجادولنه في أنه رأى اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ بقلبه، وأنه رأى الكبرى من آياته.

وقوله تعالى:﴿مَا زَاغَ البَصَرُ وَمَا طَغَى﴾.

أي ما زاغ بصر رسول اللَّه ﷺ وَمَا طَغَى، ما عدل وَلاَ جَاوَزَ القصْدَ في رؤيته جبريل قد ملأ الأُفُقَ.

وقوله تعالى :﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَـةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.

أي رآه مرة أخرى عند سدرة المنتهى.

﴿عِنْـدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى﴾.

جاء في التفسير أنها جنة تصير إليها أرواح الشهداء، فلما قصَّ هذه الأقاصيص، وأعلم ـ عزّ وجلّ ـ كيف قصه جبريل، وأن النبي ﷺ يأتيه ذلك من عند اللَّه الذي ليس كمثله شيء قيل لهم:

﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾.

كأن المعنى ـ واللَّه أعلم ـ أخبرونا عن هذه الآلهة التي لكم تعبدونها من دون اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ هل لها من هذه القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة ـ جلّ وعزّ ـ شيء.

وجاء في التفسير أن اللاَّت صَنَمٌ كان لثقيف يعبدونه، وأن العُزَّى سَمُرةٌ، وهي شجرة كانت لغطفانَ يعبدونها، وأن مناة صخرة كانت لِهُذَيْلٍ وخزاعة يعبدونها من دون اللَّه، فقيل لهم أخبرونا عن هذه الآلهة التي تَعْبدُونَها وتعبدون معها الملائكة، تزعمون أن الملائكة وهذه بنات اللَّه، فوبَّخَهُمْ اللَّه فقال: أرأيتم هذه الأناث أَلِلَّهِ هي وأنتم تَخْتَارُونُ الذُّكْرَانَ.

وذلك قوله:﴿أَلَكُمُ الذَكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى﴾.

ومن قرأ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَّ والعُزَّى﴾ بتشديد التاء فزعموا أن رَجُلاً كان يَلِتَّ السَّويق وَيَبيعُهُ عند ذلك الصنم فسمي الصنمُ اللَّاتُّ ـ بتشديد التاء ـ والأكثر «اللَّاتَ» بتخفيف التاء. وكان الكسائي يقف عليها بالهاء، يقول «اللاه» وهذا قياس والأجود في هذا اتباع المصحف والوقف عليها بالتاء. وقرئت عندها جَنَّةُ المأوى ـ بالهاء[1] ـ والأجود جَنَّةُ المَأْوَى، لأنه جاء في التفسير كما ذكرنا أنه يحل فيها أرواح الشهداء.

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿تَلك إِذَنْ قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾.

أي جَعْلكم للَّه البنات ولكم البنين، والضيزى في كلام العرب الناقصة الجائِرةُ، يقال: ضازه يضيزه إذا نقصه حَقَّه، ويقال ضأزه يضأزه ـ بالهمز ـ وأجمع النحويُّونَ أن أصل ضيزى ضوزى وحُجَّتُهُمْ أنها نقلت من فُعْلَى إلى فِعْلَى أي من ضوزى إلى ضيزى لتسلم الياء، كما قالوا أبيض وبيضٌ، فهو مثل احْمر وحُمْر، وأصله بُيْضٌ فنقلت الضمة إلى الكسرة.

وقرأت على بعض العلماء باللغة في ضيزى لُغَات قَالَ: يقال: ضيزى وضُوزَى وضؤزى بالهمز، وضَأزى على فَعلى مفتوحة. ولا يجوز من هذا في القرآن إلَّا مَا قرئ به وهو ضيزى بالياء غير مهموز. وإنما لم يقل النحويون إنها على أصلها لأنهم لا يعرفون في الكلام فُعْلَى صفةً، إنما يعرفون الصفات على فعلى بالفتح نحو سكرى وغَضْبىَ، أو بالضّمِ نحو حبلى والفُضْلَى. وكذلك قالوا مشية حيكي، وهي مشية يحبك فيها صاحبها، يقال: حاك يحيك إذا تبختر، فحيكى عِنْدَهُم فُعْلَى أيضاً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ في السَّموَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً﴾.

جا﴿شفاعتهم﴾ واللفظ لفظ واحد، ولو قيل شفاعته لجاز ولكن المعنى

---

(١) أي: المهوى.

معنى جماعة، لأن «كَمْ» سؤال عن عَدَدٍ وإخبار بِعَـدَدٍ كثير، لأن «رُبَّ» لِلْقِلَّةِ و «كم» للكثرة، ومعنى شفاعتهم ههنا يفسرها قوله ـ عزّ وجلّ ـ :﴿الَّذِين يَحْمِلونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ ـ إلى قولـه: ﴿رَبَّنا وَسِعْتَ كُـلَّ شَيْءٍ رَحْمةً وَعِلْمـاً فَاغْفِـرْ للَّذِينَ تابُوا واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾ ـ إلى قوله: ﴿وَذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾[1].

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ، أنَّهُمْ لاَ يَشْفَعُون إلاَّ لمن ارْتَضى.

فهذا تأويل قولـه ﴿لَا تُغْني شَفَاعَتُهُمْ شَيْئـاً إلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَـأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.

وقوله عزّ وجَلّ:﴿إنَّ الَّـذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِـالآخِرَةِ لَيُسَمُّـونَ المَلاَئِكَـةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى، وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

أي يقولون إن الملائكة بنات اللَّه عزّ وجلّ.

وقوله:﴿ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

لأنه وَصَفَهُمْ بأنهم لا يريدونَ إلاَّ الحياة الدنيا فقال:﴿فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إلاَّ الحَيَاةَ الدُّنْيا. ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

إنّما يعلمون ما يحتاجون إليه في مَعَـاشِهِم، فقد نبـذوا أمر الآخـرة وراء ظهورهم.

وقوله عزّ وَجَلّ: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والْفَوَاحِشَ إلاَّ اللَّمَمَ﴾.

قيل إن اللمم نحو القُبلة والنظرة وما أشبـه ذلك، وقيـل إلا اللمم إلاَّ أن يكون العبد قد ألم بفاحشة ثم تاب.

وقوله عزّ وجلّ:﴿إنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ المَغْفِرَةِ﴾.

يدل هذا على أن اللمم هوَ أن يَكونَ الإنْسانُ قد ألم بالمعصية ولم يُصِرّ ولم يُقِمْ على ذلك، وإنّما الإلمَامُ في اللغة يوجب أنك تـأتي الشيء الوقت ولا تقيم

---

(١) سورة غافر /٧ ـ ٩.

عليه، فهذا ـ والله أعلم ـ معنى اللمم في هذا الموضع.

وقوله عزّ وجلّ ـ ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى، وأَعْطَى قَلِيلاً وَأَكْدَى﴾.

معنى «أكدى» قطع، وأصله من الحفر في البئر يقال للحافر إذا حَفَر البئر فبلغ إلى حَجَرٍ لا يمكنه معه الحفر: قد بلغ إلى الكدية، فعند ذلك يقطع الحفر.

وقوله: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾.

معناه فهو يعلم والرؤية على ضربين، أَحَدُهُمَا «رَأَيْتُ» أَبْصَرتُ والآخر عَلِمْتُ، كما تقول: رأيت زيداً أَخَاكَ وَصَدِيقَكَ مَعْنَاهُ عَلِمْتُ. ألا تَرَى أَنَّ المَكفُوفَ يقول: رأيت زيداً عَاقِلاً، فلو كان من رؤية العَيْنِ لم يجز.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى، وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى﴾ أي قضى، يقال إن إبراهيم ﷺ وَفَّى مَا أُمِرَ به، وما امْتُحِنَ به من ذبح وَلَدِه، فعزم على ذلك حتى فداه الله بالذبح وامْتُحِن بالصبر على عداوة قومه حين أُجِّجَتْ له النار فطُرِحَ فيها، وَأُمِرَ أيضاً بالاختتانِ فاختتن، وقيل وفَّى وهي أبلغ من وَفَى لأن الذي امتُحِنَ به من أعظم المِحَنِ، ومعنى ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَهِيمَ﴾ أي أم لم يخبر، ثم أعلم ما في الصحف.

ومَوْضعُ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ خَفْضٌ، المعنى أم لم يُنبَأ بأن لا تزر وازرة وِزْرَ أُخْرَى.

وَ «أنْ» ههنا بدل من ما، ويجوز أن تكون «أَنْ» في مَوْضع رَفْع على إضمار «هو» كَأَنَّهُ لما قِيلَ: بما في صحف موسى قيل: مَا هُوَ؟ قيل هو أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، ومعناه ولا تؤخذ نفس بإثم غيرها، وكذلك قوله: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.

أي هـذا أيضاً مما في صحف إبراهيم ومـوسى عليهما السـلام، وَمَعْنَاهُ ليس للإنسان إلاَّ جزاء سعيه، إن عَمِلَ خيراً جُزِيَ خيراً، وإن عَمِـل شَرًّا جُـزِيَ شرًّا . .

وتزر من وَزَرَ يَزِرُ إذَا كسبَ وِزْرَاً وهو الإثم .

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ .

إن قَالَ قَائِلٌ: إن اللَّه عزّ وجلّ يَرَى عَمَلَ كل عَامِلٍ ويعلمه، فمـا معنى ﴿سَوْفَ يُرَى﴾ فالمعنى أنه يرى العَبْدُ سَعْيَـهُ يوم القيـامَةِ، أي يـرى في مِيزَانـه عَمَلَه .

﴿ثُمَّ يُجْزَاهُ الجَزَاءَ الأَوْفَى﴾ .

أي يجزي عمله أو في جزاء. وجائز أن تقرأ سَوْفَ يَرَى، والأَجْوَدُ يُرَى، لأن قـولك إن زيـداً سوف أكـرم، فيه ضَعْفٌ لأن إنّ عـاملة وأكرم عـاملة، فلا يجـوز أن ينتصب الاسم من وجْهَيْن، ولكن يجـوز على إضمــار الهـاء، على معنى سوف يراهُ، أو على إضمار الهاء في «أَنَّ» تقول: إن زيداً سَـأُكْرِمُ، على أنه زيد سأكرم .

وقوله تعالى: ﴿وإِنَّ إلى رَبِّكَ المُنْتَهَى﴾ .

أي إليه المرجع، وهذا كله في صحف إبـراهيم ومُوسَى .

﴿وأَنَّهُ هو أَغْـنَى وَأَقْنَى﴾ .

قيل في أقنى قولان: أحدهما «أَقْنَى» هـو أَرْضَى، والآخر أَقْنَى جعـل له قِنْيَةً، أي جعل الغنى أصْـلاً لِصَاحِبِـه ثَابتـاً، ومن هذا قـولك: قـد اقْتَنَيتُ كذا وكذا، أي عملت على أنه يكون عِنْدِي لا أخرجه مِنْ يَدِي .

وقوله عزّ وجَلّ: ﴿ وأنه هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى﴾ .

﴿الشعرى﴾ كوكب خَلْفَ الجوزاء، وهو أحد كوكبي ذِرَاع الأَسَد، وكان قوم من العرب يعبدون الشعرى، فأعلم اللَّه ـ جلّ وعزّ ـ أنه رَبُّهَا وأن خَالِقُهَا، وهُوَ المَعْبُودُ ـ عزّ وجلّ ـ .

﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأُولَى﴾.

هؤلاء هم قوم هودٍ، وهم أُولَى عَادٍ. فأما الأولى ففيها ثلاثِ لُغاتٍ: بسكون اللام وإثْباتِ الهَمْزَةِ، وهي أجْوَدُ اللُّغَاتِ والَّتي تَليها في الجَوْدَةِ «الأُولى» ـ بضم اللام وطرح الهَمْزَةِ، وكان يجب في القياس إذا تحركت اللام أن تسقُطَ ألف الوَصْلِ، لأن أَلِفَ الوَصْلِ اجْتُلِبَتْ لسكون اللام، ولكن جاز ثُبُوتُهَا لأن ألف لَامِ المَعْرِفَةِ لا تسقط مع ألف الاستفهام، فخالفت ألفات الوَصْلِ. ومن العرب من يقول: لُولي ـ يريد الأولى ـ فطرح الهمزة لتحرك اللام. وَقَدْ قُرِئَ «عَاداً لُّولِيَ». على هذه اللُّغَةِ، وأُدغِمَ التنوين في اللام. والأكثرْ عاداً الأولى بكسر التنوين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَثَمُوداً فَمَا أَبْقَى﴾.

ثمود نسق على عادٍ، ولا يجوز أن ينصب بقوله ﴿فما أبقى﴾ لأَنَّ مَابَعْدَ الفاء لا يعمل فيما قبلها، لا تقول: زيداً فضربت. فكيف وَقَدْ أتت «ما» بعد الفاء، وأكثر النحويين لا ينصب ما قبل الفاء بما بعدها. والمعنى وأهلك ثمود فما أبقاهم.

﴿والمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾.

المؤتفكة المخسوفُ بهَا، أي ائتفكت بأهلها، ومعنى أهوى، أي رُفِعَتْ حِينَ خُسِفَ بهم إلى نحو السماء حتى سمع من في السماء أصوات أهل مدينة قوم لوط ثم أهويت أي ألقِيَتْ في الهاوية.

﴿فَغَشَّهَا مَا غَشَّى﴾.

معناه فغشاها اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ من العذاب ما غَشَّى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى﴾.

هذا ـ واللَّه أعلم ـ خطاب للإنسانِ. لما عُدِّدَ عليه مما فعله اللَّه به، مما يدل على وحدانيته. كان المعنى أيها الإنسان بأي نعم ربك التي تدلك على أنه واحد تتشكك، لأن المرء به الشَكُّ.

وقوله: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى﴾.

أي النبي ﷺ مجراه في الإنذار مجرى مَنْ تَقَدَّمَهُ من الأنبياء، صلوات اللَّه عَلَيْهم، وجائز أن يكون في معنى هذا إنذار لكم، كما أنذر من قبلكم وقد أعلمتم بما قص اللَّه عليكم من حال من كَذَّبَ بالرُّسُلِ، وما وقع بهم من الإهلاك.

وقوله: ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾.

معناه قربت القريبة، تقول: قد أزف الشيء إذا قرب ودنا، وهذا مثل ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾.

ومعنى ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾.

معناه لا يكشف علمها متى تكون أحَدٌ إلا اللَّه عزّ وجلّ، كما قال ـ ـ عزّ وجلّ ـ ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾(١).

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾.

أي مما يتلى عليكم من كتاب اللَّه، ﴿تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ وأَنْتُمْ سَامِدُونَ﴾ تفسيره لاهون.

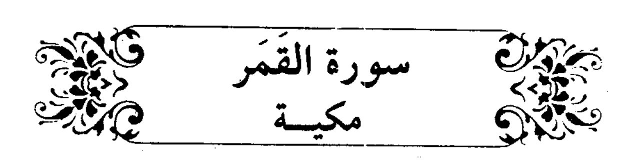
---

(١) سورة الأعراف /١٨٧.

وقوله: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾.

معناه فاسجدوا للَّه الذي خلق السموات والأرَضِين، ولا تعبدوا اللَّاتَ والعُزَّى ومناة الثالثة الأخرى، والشِّعْرَى، لأنه قَدْ جرى ذكر معبوداتهم في هذه السورة.





سورة القَمَر
مكيــة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

اجمع المفسرون، ـ ورَوَيْنـا عن أهل العلم المـوثوق بهم ـ أن القمر انشق على عهد رسول اللّه [ﷺ].

قال أبو إسحاق: وزعم قوم عَندوا عَنِ القَصْدِ وما عليه أهل العلم: أَنَّ تأوِيلُه أن القمـر ينشق يوم القيـامة، والأمـر بين في اللفظ وإجْمـاعِ أهـلِ العلم لأن قوله: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ﴾.

فكيف يكون هذا في القيامَةِ.

قال أبو إسحـاق: وجميع ما أملي عليكم في هذا مـا حَدَّثني به إسماعيل ابن إسحاق قال حَدَّثَنَا محمد بن المنهال، قال حَدَّثنا يـزيد بن زُرَيْـع قال ثَنـا[1] شُعْبَةَ عن قَتَادة عن أنس أن أهل مكة سألوا النبي [ﷺ] آية فَأَراهم القَمَرَ مَرَّتَيْنِ انشقاقَه، وكـان يذكـر هذا الحـديث عند هـذه الآية: ﴿اقْتَـرَبَتِ السَّاعَـةُ وانْشَقَّ القَمَرُ﴾.

حدثنا إسماعيل بن إسحاق قال ثنـا مُسَدَد، قـال ثنا يحيى عن شعبـة عن قتادة عن أَنَسٍ قال: انشق القمر فرقتين.

(١) كذا بالأصل ـ وهذا كثير جداً بمعنى حدثنا ـ ويكتفى بذكر «ثنا» اختصاراً. وهذا مألوف.

ثنا نصر بن علي قال ثنا حرمي بن عمارة، قال ثنا شعبة عن قتادة عَنْ أنس بن مالك قال: انشق القمر على عهد رسول اللّٰه [ﷺ].

حدثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن عيد قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عَن أَنَسٍ قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فانشق القمر بمكة مرتين، فقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾، يعني ذَاهِبٌ.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر قال ثنا أبو أحمد قال ثنا اسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد اللّٰه قال: انشق القَمَرُ فأبصرت الجبل بين فرجتي القَمَر.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر قال ثنا حدَّثَنِي أبي قال أخبرنا إسرائيل عن سماك عن إبراهيم عن الأسود عن عبد اللّٰه في قوله: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمرُ﴾ قال: انشق القمر حتى رأيت الجبل بين فلقتي القَمَر.

ثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن عبداللّٰه بن نمير قال ثنا أبو مُعاوِيَةَ قال ثنا الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد اللّٰه قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ بمعنى حتى ذهبت فرقة منه خلف الجبل فقال رسول اللّٰه [ﷺ] اشْهَدُوا.

ثنا اسماعيل قال ثنا مسدد قال ثنا يحيى عن شعبةَ وسفيانٍ عن الأَعْمَش وعن إبراهيم عن أبي مَعْمَر عن أبي مسعود قال: انشق القمر على عهد النبي ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول اللّٰه ﷺ: اشهدوا

ثنا إسماعيل قال ثنا مسعود قال ثنا يحيى عن شعبة عن الأعمش عن مجاهدٍ عَن ابن عمر مثله.

ثنا إسماعيل قال ثنا علي بن عبد اللّٰه قال ثنا سفيان قال أخبرنا ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن أبي معمر عن عبد اللّٰه: انشق القمر على عهد

رسول اللّه ﷺ شقتين، فقال لنا رسول اللّه [ﷺ] اشهدوا اشهدوا.

ثنا إسماعيل قال قال علي وحدثنا به مَـرَّةً أخرى عن ابن أبي نجيح عن مجاهِدٍ عن أبي معمر عن عبد اللّه بن مسعود: انشق القدر شقتين حتى رأيناه، فقال لنا رسول اللّه ﷺ: اشْهَدُوا.

ثنا إسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا محمد بن كثير عن سليمان يعني ابن كثير عن حصين عن محمد بن جبير عن أبيه، قال: انشق القمر على عهد رسول اللّه ﷺ فرقتين على هذا الجبل وعلى هذا الجبل فقال الناس: سحر نا محمد، فقال رجل: إنْ سَحَركم فلم يسحر الناسَ كُلَّهُمْ.

وحدثنا اسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا زهير بن إسحق عن دَاوُدَ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ثلاث قد ذكرهن اللّه في القرآن قد تقضين: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، فقد أنشق القمر على عهد رسول اللّه ﷺ شقتين حتى رآه الناس.

ثنا إسماعيل قال ثنا نصر بن علي قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود بن أبي هِنْدٍ عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله اقتربت الساعة وانشق القمر، قال: قد مضى قبل الهجرة وانشق القمر حتى رأوا شقتيه.

حدثنا اسماعيل قال ثنا علي بن عبد اللّه قال: ثنا سفيان قال قال عمرو عن عكرمة قال انشق القمر على عهد رسول اللّه ﷺ فقال المشركون سَحَرَ القمر سَحَر القَمَرَ، فأنزل اللّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانشَقَّ القَمَرُ. وإِنْ يَرَوْا آيةً يُعْرِضُوا ويَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾.

حدثنا اسماعيل قال ثنا محمد بن أبي بكر قال ثنا الضحاك بن مخلد عن ابن جريج عن عمروٍ عن عكرمة: انشق القَمَرُ على عهد رسول اللّه ﷺ فقال

المشركون: سَحَرَ القَمَرَ ، سَحَرَ القَمَرَ، فنزلت: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾.

حدثنا إسماعيل قال ثنا عارم بن الفضل وسليمان بن حرب قالا: ثنا حماد ابن زيد عن عكرمة عن عطار بن السائب عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِي قال: انطلقت مع أبي يوم الجمعة فخطبنا حذيفة ـ وقال سليمان في حديثه: فخطب حُذَيْفَةُ وهو بالمدائن فتلا: ﴿اقتربت الساعة وانشق القمر﴾، ثم قال: ألا إن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشق، آلا وأن المضمار اليوم والسباق غدا، قال سليمان في حديثه: فقلت لأبي يا أبتاه ترسل الخيل غداً وقال عارم في حديثه: فقلت لأبي يستبق الناس غداً، فلما كانت الجمعة التي تليها خطبنا فتلا: ﴿اقتربت الساعة وانشق القَمَرُ﴾، فقال: ألا أن الساعة قد اقتربت وإن القمر قد انشقَّ على عهد نبيكم ﷺ ألا وأن المضمار اليوم والسباق غداً، والغاية النار والسابق من سبق إلى الجَنَةِ.

حدثنا إسماعيل قال: ثنا حجاج بن المنهال قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عبد اللَّه بن حبيب، قال: كنا بالمدائن فجئنا إلى الجمعة فخطبنا حذيفة فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإن اللَّه تبارك وتعالى يقول: اقتربت الساعة وانشق القمر، ألا إنَّ اليَوْمَ المضمارُ وغداً السباق، ألا وَانِ الغاية النارُ، فلما كانت الجمعة الأخرى خطبنا فحمد اللَّه وأثنى عليه قال فقال مثل قوله، وقال: السابق من سبق إلى الجنة.

ثنا اسماعيل ثنا علي قال ثنا سُفْيَانُ عن سليمان، وقَطَرٍ عن مسلم عن مسروق عن عبد اللَّه قال: مضى اللزام ومضت البطشة ومضى الدخان ومضى الروم.

حدثنا إسماعيل قال ثنا عبد اللَّه بن إسماعيل عن عبد الرحمن بن زيد

ابن أسلم في قول اللّه عزّ وجلّ: ﴿اقتربت الساعة وانشق القَمَـرُ﴾، قال ابن زيـد: انشق القمرُ في زمان رسـول اللّه ﷺ فكان يـرى نصفه على قُعَيْقِعَـانَ والنصف الآخر على أبي قيس.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿[سِحْرٌ] مُسْتَمِرٌّ﴾.

أي ذاهب وقيل دائم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ﴾.

تأويله أنه يستقر لأهل النار عملهم ولأهل الجنة عملهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾.

يعنى من أخبار من قد سلف قبلهم فأهلكوا بتكذيبهم ما فيه مُزْدَجَرٌ، أي ما فيه مُنْتَهَى، تقول: نهيتُه فانتهى وزجرته فازدجر. والأصل فازتجر بالتاء، ولكن التاء إذا وقعت بعد زَايٍ أبدلت دَالاً نحو مُزْدَان أصله مُزْتَان، وكذلك مزتجـر، وإنما أبدلت دالاً لأن التاء حرف مهموس والزاي حـرف مجهورٌ فـأبْدِلَ من التـاء من مكـانها حـرف مجهـورٌ، وهـو الـدال، فهـذا لَا يفهمـه إلَّا من أحكم كـل العربية، وهذا في آخر كتاب سيبويـه، والذي ينبغي أن يقـال للمتعلم إذا بنيت افتعل أو مفتعل مِمَّا أوله زاي فاقلب التاء دَالاً، نحو ازدجر ومزدجر.

وقال عزّ وجلّ: ﴿حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ﴾.

رُفِعَتْ ﴿حِكْمَةٌ﴾ بدلاً من «ما»، المعنى ولقد جـاءهم حكمة بـالغـة، وإن شئت رفعت حكمة بإضمار هو، المعنى هو حكمة بالغةٌ.

وقوله: ﴿فَمَا تُغْنِي النُّذُرُ﴾.

«ما» جائز أن يكون في لفظ الاستفهام، ومعناها التوبيخ، فيكون المعنى فأي شيء تغني النُّذُرُ، ويكون موضعها نصباً بتغني. ويجوز أن يكون نفياً على معنى فليست تغني النذر.

وقوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ﴾.

وقف التمام فتول عنهم، وقوله إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ إلى ما كانوا يَنْكِرُونَهُ من البعث، فتول عنهم يوم كذا في الآية. ويوم منصوب بقوله يخرجون من الأجداث. فأما حذفُ الواو من يدعُو في الكتاب فلأنها تحذف في اللفظ لالتقاء الساكنين، وهما[1] الواو من يدعو واللام من الداعِي، فأجريت في الكتاب على ما يلفظ بها، وأما الداعي فإثبات الياء فيه أجْوَدُ. وقد يجوز حذفها لأن الكسرة تدل عليها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿خُشَّعاً [أَبْصَارُهُم]﴾، منصوب على الحال، المعنى يخرجون من الأجداث خشَّعاً أبصارهم. وقرئت خَاشِعاً أَبْصَارُهُم، وقرأ ابن مسعود خَاشِعةً أبصارُهم. ولك في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو خاشعاً أبصارهم، ولك التوحيد والتأنيث ـ لتأنيث الجماعة ـ، خاشعة أبصارهم. ولك الجمع نحو خُشَّعاً أَبْصَارُهم. تقول: مررتُ بشباب حَسَنٍ أوجههم، وحِسَانٍ أَوْجُهُهُمْ، وحَسَنَةٍ أوجههم، قال الشاعر[2]:

وشَبَابٍ حَسَنٍ أَوْجُهُهُمْ ... مِنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بنِ مَعَدّ

وقوله عزَّ وجلّ: ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾.

مَنْصُوبٌ أيضاً على الحال، المعنى يخرجون خُشَّعاً أبصارُهم مهطعين، ومعنى مُهْطِعِينَ ناظِرين لا يقلعون أبْصَارُهم.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُم قَومُ نُوحٍ﴾.

أي كذبتِ قوم نُوحٍ نُوحاً قبل قومك يا مُحَمَّدُ.

﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾.

وقالوا هو مجنون كما قال قومك يا محمد لك، ﷺ وعليهم أجمعين

---

(١) في الأصل وهي.

(٢) لم أقف على قائله.

وازدُجِر، زُجِرَ بالشَّتْمِ. وقد بينا ما في مزدجر في انقلاب التاء دَالاً وأصل هذا وازتجر.

وقوله: ﴿فدعا رَبَّهُ أَني مَغْلُوبٌ فانْتَصِر﴾.

والقراءة أني بفتح الألف وقرأ عيسى بن عمر النحوي إِنِّي - بكسر الألف - وفسر سيبويه إني بالكسر فقال على إرادة القول على معنى فدعا ربَّهُ فقال إني مغلوبٌ، قال: ومثله: ﴿والذينَ اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللَّهِ زُلْفَى﴾(١)، المعنى قالوا ما نعبدهم إلا لقربونا. ومن فتح - وهو الوجه - فالمعنى دعا ربَّهُ بأني مغلوبٌ.

وقوله: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾.

المعنى فأجبنا دعاءهُ فنصرناهُ، وبيَّن النَصْرَ الذي نصر به فقال: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّماءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾.

ينصب انصباباً شديداً.

﴿وَفَجَّرنا الأَرْضَ عُيُوناً﴾.

هذا أكثر القراءة عُيُوناً بِالضَّمِّ، وقد رويت عِيُوناً - بكسر العين - وهي رديئة في العربية.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَالْتَقَى المَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾.

يعني ماء السماء والأرض ولم يقل فالتقى الماءان، ولو كان ذلك لكان جائزاً، إلَّا أن الماء اسم يجمع مَاءَ الأرض وماءَ السماءَ، ومعنى ﴿على أمر قد قُدِرَ﴾ أي قدْ قُدِرَ في اللوح المحفوظ، وقيلَ قَدْ قُدِرَ أي كان قدر ماء السماء كقدر ماء الأرض.

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾.

المعنى على سفينة ذات ألواح، والدُّسُر اسم المسامير والشروط(٢) التي

(١) سورة الزمر /٣.

(٢) جمع شريطة وهي حبال يُربط بها.

نَشَـدُّ بها الألـواح، وكل شيء كـان نحو السَّمْـرُ أو إدخال شيء في شيء بقـوَّةٍ وَشِدَّة فهو الدَّسْر، يقال: دَسَرْتُ المسمارَ أَدْسُرُهُ وأدْسِرُهُ دَسْراً، والدُّسُرُ واحدها دِسَار نحو حِمَارٍ وحمرُ.

وقوله: ﴿لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾.

أي فعلنا ذلك جزاء لنوح وأصحابه، أي نجيناه ومن آمن مَعَهُ، وأغـرقنا من كذَّبَ به جزاء لِما صُنِعَ بِهِ.

وقوله: ﴿تَجري بأَعْيُنِنَا﴾ أي تجري بمرأى مِنَّا وحفظ.

قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً﴾.

أي تركنا هذه الفَعْلَة وأمر سفينة نُوحٍ ، آيَةً أي علامَةً لِيُعْتَبَرَ بها.

﴿فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾.

القراءة بادال غير المعجمة، وأصله مُذْتَكِر بـالذال والتـاء، ولكـن التـاء أبدل منها الدال، والذال من موضع التاء، وهي أشبه بالدال من التـاء فأدغمت الذال في الدَّالِ، فهذا هو الوجه، أعني القراءة بالدَّال ـ غير معجمة ـ وقد قال بعض العَرَبِ «مُذَّكِر» بالذال معجمةً، فأدغم الثاني في الأول وهذا ليس بالوجه إنما الوجه إدغام الأول في الثاني.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾.

المعنى سَهَّلْنَا، وَقِيل: إنَّ كُتُبَ أهل الأَذيانَ نحـو التوراة والإنجيـل إنما يتلوها أهلها نظراً، ولا يكادون يحفظون كُتُبَهُمْ من أولها إلى آخرها كمـا يحفظ القرآنُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِم رِيحاً صَرْصَراً﴾.

صَرْصَرٌ شديدة البرد.

﴿في يَـوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾.

يعني نَحس مشـؤوم، مستمر أي دائم الشؤم، وقيـل في يـوم أربعـاء في آخر الشهر لا يدورُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾.

«كَـأَنَّهُمْ» ههنا في مـوضع الحـال، والمعنى تنزع النـاس مُشْبِهِينَ النَّخْلَ المنْقَعِر، فالمنْقَعِرُ المقطوع من أُصُولِه، وكانت الرِّيحُ تَكُبُّهُمْ على وُجُوهِهِم.

وقوله: ﴿مُنْقَعِر﴾: النخل يـذكر ويؤنث، يقـال: هذا نخـل، وهـذه نَخْـلٌ فمنقعِـرٌ على من قال: هـذا نخل، ومن قـال: هذه نخـل. فمثل قـوله تعـالى ﴿أعجازُ نَخْـلٍ خَاوِيَـة﴾.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بـالنُّذُرِ﴾ - النُّـذُر جمعُ نَـذِير.

﴿فَقَـالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ﴾.

﴿بشـراً﴾ منصوب بِفعل مُضْمَرَ الذي ظهر يُفَسِّرُهُ، المعنى أنتَبعُ بشراً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلاَلٍ وَسُعُرٍ﴾.

معناه إنا إذاً لفي ضلال وجنون، يقال: ناقة مسعورة إذا كان بها جُنونٌ، ويجوز أن يكون على معنى إن اتبعناه فنحن في ضَلاَل وفي عَذَابٍ.

وقوله: ﴿بَـلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾.

﴿أَشِرٌ﴾ بمعنى بَطِر، يقال: أَشِرَ يأْشَرُ أشـراً فهو أَشِـرٌ، مثل بَطِر يبطَرُ بَطَراً فهو بَطِرٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ﴾.

﴿فتنةً﴾ منصوب مفعـول لـه، المعنى إنـا مـرسلو النَّـاقـة لنفتنهم، أي لنختبرهم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحتَضَرٌ﴾.

أي الماء قسمة بين الناقة وبين ثمود لها يوم ولهم يوم، وهـذا معناه كـل شرب محتضر، يحْضَرُ القوم الشرب يوماً، وتحضر الناقة يَـوْماً.

﴿فَنَـادَوْا صَاحِبَهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَر﴾.

وكان يقال لـه أحمر ثمـود، وَأُحَيْمِرُ ثمـود، والعرب تَغْلِطُ فتجعَـلُ أحمر عادٍ فنضرب به المثل في الشؤم، قال زهير يَصِفُ حَرْباً.

فتنـج لـكم غِـلْمَـانَ أشـأم كلهـم كـأحْمَرَ عَـادٍ ثم تـرضـع فتعـظم

ومعنى فتعاطى فعقر فَتَعَاطَى عَقْرَ النَّاقَةِ فعقر فبلغ ما أرادَ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـا عَلَيْهِم صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُـوا كَهَشِيم المُحْتَـظِر﴾ بكسر الظاء، ويقرأ المحتظر بفتح الظاء، والهشيم مـا يبسَ من الورق وتَكسَّر وتحطَم، أي فكانوا كالهشيم الذي يجمعه صاحب الحظيرة، أي قد بلغ الغاية في الجفاف، حتى بلغ إلى أن يجمع ليـوقد، ومن قـرأ المحتظر ـ بفتح الظاء ـ فهو اسم للحظيرة. المعنى كهشيم المكان الـذي يُحتَظر فيـه الهشيم، ومن قرأ «المُحْتَـظِر» ـ بكسـر الـظاء نسبـة إلى الـذي يجمـع الهشيم من الحـطب في الحظيرة، فإن ذلك المحتَـظِرُ، لأنه فاعل.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾.

«سَحَر» إذا كان نكرة يراد به سحراً من الأسحـار انصرف، تقـول: أتيت زيداً سحراً من الأسحار، فإذا أردت سحر يومك قلت أتيته لِسَحَر يا هَـذَا وأتيته سَـحَـرَ يـا هـذا.

وقـوله تعالى: ﴿نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾، منصـوبٌ مفعولٌ لـه. المعنى نجيناهم للإنعام عليهم، ولو قرئت «نعمـةٌ مِنْ عِنْدَنَـا» كان وجهـاً، ويكون المعنى تلك

---

(١) من معلقته.

نِعمَةً مِنْ عِنـدِنا، وَإِنْجَاؤُنا إِيَّاهُمْ نعمة من عندنا. قال أبو إسحـاق: ولكني لا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلّا أن تثبت رواية صحيحة، قال مشايخنا من أهل العلم: القراءة سُنَّةٌ متَّبُعَةٌ، ولا يرون أن يقرأ أحد بما يجوز في العـربية إِذَا لَمْ تَثْبُتْ رِوَايةٌ صحيحة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾.

بكرة وغدوة إذا كانتا نكرتين نُوِّنَتَا وصُرِفَتَا، وإذا أَرَدْتَ بهما بكـرة يومـك وغداة يومـك لم تصرفهمـا، فبكرة ههنـا نكرة، ولـو كانت قـرئت بكرةَ عَـذَابٌ مستقرٌ، وقرئت «نجيناهـم بِسَحَرَ نَعمَةً مِـنْ عِنْدِنَـا» كانتا جــائزتين في العـربية، يكـون المعنى بكرةَ يـومهم، وسَحَرَ يَـوْمِهِمْ، ولكن النكرة والصـرف أجـود في هذه الآية، ولم تثبت روايةٌ في أنه كان في يوم كذا من شهر كذا.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾.

راودَ قـومُ لوط لـوطاً عن ضيفـه، وهـم الملائكـة، فأمـر اللَّه - عـزّ وجـلّ جبريل فسفق أعينهم بجناحيه سَفْقَةً[1]، فأذهبها وَطَمَسَها، فبقـوا في البيت عمياً حيارى.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خيرٌ مِنْ أُولاَئِكُمْ﴾.

أي أكفاركم يا معشر العرب، ومن أرسل إليه النبي ﷺ خيرٌ مِن أولائكم أي الكفار الذين ذكرنا أَقَاصِيصَهُمْ وَإِهْلاَكَهُمْ.

﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ في الزُّبُرِ﴾.

أي أم أتاكم في الكُتُبِ أنكم مُبَرَّأُونَ مِمَّا يُوجِبُ عِدَاءَكُمْ.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ﴾.

والمعنى بل أَيَقُولُون نحن جميع مُنْتَصِـرٌ، فيدلـون بقوة واجتماع عليك،

---

(١) السفقة والصفقة الضربة.

ثم أعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه يُهلِكُهُمْ في الجهة التي يقدرون الغلبة منها فقال:

﴿سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ ـ نبيَّه ـ عليه السلام ـ أنه يظهره عليهم ويجعل كلمته العُلْيَا، فقال: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾، فكانت هذه الهزيمةُ يوم بَدْرٍ.

ثم قال عزّ وجلّ: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾.

أي لَيْسَ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ الْقَتْلِ في يوم بدر والأسر بمخفف عنهم من عذاب الآخرة شيئاً، فقال: ﴿والساعة أدهى وأمَرُّ﴾، أي أَشَدُّ، وكل داهية فمعناها الأمر الشديد الذي لا يُهْتَدى لدوائه، ومعنى «وأمرُّ» أشد مَرَارَةً من القتل والأسر.

وقوله: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾.

في التفسير إن هذه الآية نزلت في القَدَرِيَّةِ.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾.

المعنى يقال لهم: ﴿ذوقوا مَسَّ سَقَر﴾.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

أي كل ما خلقناه فمقدور مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه، ونصب «كل شيء» بفعل مضمر، المعنى إنا خلقنا كل شيء خلقناه بِقَدَرٍ، ويدل على هذا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ، وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾.

﴿مستطر﴾ مفعول من السطر، المعنى كل صَغِيرْ من الذنوب وكبير مستطر مكتوب على فاعليه قبل أن يفعلوه، ومكتوب لهم وعليهم إذا فعلوه لِيجازَوْا عَلَى أفعالهم.

وقوله: ﴿سَيُهْزَمُ الجمع ويُوَلُّونَ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾.

المعنى وَيُوَلُّونَ الأَدْبَارَ، كما قال: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا

يُنْصَرُونَ﴾، [١]، وكذا المعنى في قوله: ﴿إِنَّ المتَّقِينَ في جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾.

المعنى في جنات وأنهار والاسم الواحد يدل على الجميع فَيُجْتَزَأُ بِهِ من الجميع، وأنشد سيبويه والخليل:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصلب [٢]

يريدون وأما جلودها، وأنشد:

في حَلْقِكُمْ عَظْمٌ وَقَدْ شجينا [٣]

المعنى في حلوقكم عظام، وكما قال:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خبيص

المعنى كلوا في بعض بطونكم [٣].

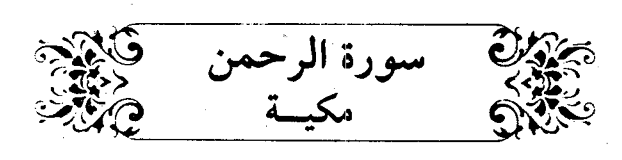
---

(١) سورة آل عمران / ١١١.

(٢) تقدم.

(٣) تقدم.





سورة الرحمن
مكيـــة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿الرحمنُ عَلَّمَ القرآنَ﴾.

﴿الرحمن﴾ اسم من أسماء اللّه تعـالى. لا يقـال لغيـره، وهـو في الكتب المتقدّمَة، ومعناه الكثير الرحمة.

وقوله: ﴿عَلَّمَ القُرآنَ﴾.

معناه يسَّرهُ لأن يذكر.

وقوله: ﴿خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾.

قيل إنه يعني بالإنسان ههنـا النبي ﷺ عَلَّمَهُ البَيـانَ. علمه القـرآن الذي فيـه بيان كـل شيء، وقيل الإنسـان ههنا آدم ﷺ. ويجـوز في اللغة أن يكـون الإنسـان اسماً لجنس النـاس جميعاً، ويكـون على هـذا المعنى عَلَّمَـه البَيـانَ جعله مميزاً حتى انفصل الإنسان من جميع الحيوان.

وقوله تعالى: ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾.

﴿الشمسُ والقمرُ﴾ مرفوعان بالابتداء، وقوله ﴿بحسبان﴾ يَدُل عَلَى خبـرِ الابتداء ويكون المعنى: الشمس والقمر يجريان بحساب، ويكـون أيْضاً معنى بِحُسْبَانٍ [أنهما] يَدُلَّانِ على عدد الشهور والسنين وجميع الأوقات.

وقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمُ والشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾.

قال أهل اللغة وأكثر أهل التفسير: النجم كل ما نبت على وجه الأرض مما ليس له سَاقٌ. والشَّجَرُ كل ما له ساقٌ، ومعنى سجودهما دوران الظل معهما كما قال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّداً لِلَّهِ﴾[1]. وقد قيل إنَّ النجم أيضاً يراد به النجوم، وهذا جائز أن يكون، لأن اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ قد أعلمنا أن النجم يسجد، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَه مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ والشَّمْسُ والقمَرُ والنُّجُومُ﴾[2].

ويجوز أن يكون النجم ههنا يعني به ما نبت على وجه الأرض وما طلع من نجوم السماء، يقال لكل ما طلع: قَدْ نَجَمَ.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ المِيزَانَ﴾.

المعنى رفعها فوق الأرض وأمسكها أن تقع على الأرض، ووضع الميزان لينتصف بعض الناس من بعض، وقيل: الميزان ههنا العدل، لأن المعادَلةَ موازنة الأشياء.

وقوله: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾.

ألا يجاوزوا القدر والعدل، ويجوز «أَلَّا تَطْغَوْا» بمعنى اللام، «لِأَنْ لَا تَطْغَوْا»[3] وتكون أن لا تطغوا على النهي[4] ومعنى «أن» التفسير، فيكون المعنى ـ واللَّه أعلم ـ ووضع الميزان أي لا تطغوا في الميزان[5]، ويدل عليه المعطوف عليه وهو قوله: ﴿وَأَقِيمُوا الوَزْنَ بالقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا المِيزَانَ﴾.

القراءة بضم التاء، وروى أهل اللغة: أَخْسَرْتُ المِيزَانَ وَخَسَرْتُ، فعلى

---

(١) سورة النحل /٤٨.
(٢) سورة الحج ١٨.
(٣) أي إن حرفَ الجر محذُوفٌ، وتقدير التعبير لئلا تطغوا.
(٤) أن مخففه واسمها ضمير الشأن محذوفاً، ولا ناهية.
(٥) هذا وجه ثالث ـ تجعل فيه أن مفسرة، وهي التي تأتي بعد كلام يتضمن معنى القول دون حروفه.

خَسَرتُ «ولا تَخْسِرُوا». ولا تقرأن بها إلّا أن تثبت رواية صَحيحةٌ عن إمامٍ في القراءة. وقد رُوِي أن إنساناً قرأ بها من المتقدمين ولكنه ليس مِمَّن أخذت عنه القراءة ولا له حرف يقرأ بِه.

وقوله: ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾: الْأَنَامُ الإِنْسُ والجِنُّ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾.

معنى ﴿الأكمام﴾ ما غَطَّى، وكل شجرة تُخْرِجُ ما هو مُكَمَّم فهي ذات أكمام، وَأكمام النخلة ما غطى جُمَارَهَا من السعِف والليف والجدع. وكل ما أخرجته النخلة فهو ذو أكمام، والطلعَةُ كمُّها قَشْرُهَا، ومن هذا قيل للقلنسوة كِمة لأنها تغطي الرأس، ومن هذا كُمَّا القميص لأَنَّهُمَا يغطيان اليَدَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿والحَبُّ ذُو العَصْفِ والرَّيْحَانُ﴾.

ويقرأ والريحانَ، وأكثر القراءة «والرَّيْحَانُ». والعصف ورق الزرع ويقال: التين هو العصْفُ، ويقال العَصْفَة، قال الشاعر[1].

يسقي مذانب قد مالت عصيفتها آتيُّها من أَتِيّ الماء مطموم

ويروى بأتِيّ الماء.

ومعنى ﴿ذو العَصْفِ والرَّيْحَان﴾ ذو الورق والدرق، العرب تقول: سُبْحَانَ اللّه وَرَيْحانه. قال أهل اللغة: معناه واسترزاقه، قال النمر بن تولب[2].

سلام الإله وريحانه ورحمته وسماء درر

قال: معنى ريحانه رزقه لمن قرأ، والريحانُ عطف على العصف، ومن

---

(١) البيت لعلقمة ـ اللسان (عصف) والقرطبي ١٧/١٥٧، والطبري ٢٧/٦٥.

(٢) في الأصل سماء اللّه ـ ويظهر أنه خطأ من الناسخ. وهو في اللسان (روح). وفي الطبري ٢٧/٦٥، والقرطبي ١٧/١٥٧، ومجاز أبي عبيدة ٢٠/٢٤٣.

قرأ: والريْحَانُ عطف على الحب ويكون المعنى فيهما فاكهة فيهما الحب ذو العصف وفيهما الريحان، فيكون الريحان ههنا الريحان الذي يشم، ويكون أيضاً ههنا الرزق.

فذكر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الإنسان وتعليم البيان ومن خلق الشمسِ والقمر والسماءوالأرض ثم خاطب الإنس والجن فقال:

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

أي فبأي نعم ربكما تكذبان من هذه الأشياء المذكورة، لأنها كلها منعم بها عليكم في دلالتها إياكم على وحدانيته وفي رزقه إياكم ما به قوامكم والوصلة إلى حياتكم، والآلاء واحدها أَلَيً وَإِلَيً، وكل ما في السورة من قوله ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ فمعناه على ما فسَّرْناه، فبأي نعم رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّارِ﴾ .

وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾[1] وقال: ﴿مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾[2] وقال: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ﴾[3]. وهذه الألفاظ التي قال اللَّه عزّ وجلّ إنه خلق الإنسان منها مختلفة اللفظ وهي في المعنى راجعة إلى أصل وَاحِدٍ. فأصل الطين التراب.

فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أنه خلق آدم من تراب جُعِلَ طيناً ثم انتقل فصار كالْحمَأ ثم انتقل فصار صَلْصَالاً كالْفَخَّار، والصلصال اليابس، فهذا كله أصله التراب وليس فيه شيء ينقض بعضه بعضاً. وإنما شرحنا هذا لأن قوماً من

---

(١) سورة الصافات الآية ١١

(٢) سورة الحجر الآية ٢٦.

(٣) سورة آل عمران ٥٩.

الملحدين يسألون عن مثل هذا لِيُلْبِسُوا على الضعفة، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - من أي شيء خلق أبا الإنس جميعاً آدم عليه السلام، وأعلم من أي شيء خلق أصل الجنّ فقال: ﴿وَخَلَقَ الجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾.

والمارج اللهب المختلط بسواد النَّار.

وقوله - عز وجل - : ﴿رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْنِ﴾.

يعنى به مشرقَي الشمس وكذلك القمر، ومغربي الشمس والقَمَر، فأحَدُ المشرقين مشرق الشتاء والآخر مشرق الصيف، وكذلك المغربان.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ معناه على الأرض.

قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾.

يعني بالثقلين الإنس والجن، ويجوزُ ستَفْرَغُ لكم بفتح الراء، ويجوز سَيَفْرَغُ - بفتح الياء[1] - ويجوز سَيُفْرَغُ لكم - بضم الياء وفتح الراء - ومعناه سنقصد لِحِسَابِكُمْ، واللَّه لا يَشْغَلُه شأن عن شأن، والفراغ في اللغة على ضربين أحدهما الفراغ من شُغلٍ والآخر القصد للشيء، تقول: قد فرغت مما كنت فيه، أي قد زال شغلي به، وتقول: سَأَتَفرغ لفلانٍ، أي سأجْعَلُ قَصْدِي له.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا مَعْشَرَ الجِنِّ وَالإِنْسِ إن اسْتَطَعْتُم أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمواتِ وَالأَرْضِ﴾.

والأقطار النَّواحي.

﴿لا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾.

أي حيثما كنتم شاهدتم حجةً للَّه وسلطاناً تدل على أنه واحدٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُواظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحاسٌ﴾.

ويقرأ ونحاسٍ - بكسر السِّين - والنحاس الدُّخان، والشواظ اللهب الذي لا دُخَانَ معه.

---

(١) الجملة في الأصل مذكورة مرتين: مرة سيفرغ، ومرة سيفرغ لكم.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾.

معنى مرج خلط، يعني البحر الملح والبحر العذب.

وقوله تعالى: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يبغِيَانِ﴾.

البرزخ ا لحاجز، وهو حاجز من قدرة اللّه، لا يبغيان لا يَبْغي الملح على العذب فيختلط به، ولا العذب على الملح فيختلط به.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ﴾.

﴿المرجان﴾ صغار اللؤلؤ، واللؤلؤ اسم جامع للحَبِّ الذي يخرج من البحر. وقال يخرج منهما وإنما يخرج من البحر الملح لأنه قد ذكرهما وَجَمَعَهُمَا، فإذا خرج من أحدهما فقد خرج منهما، ومثل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً، وجَعَلَ القَمَرَ فيهنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً﴾[1] والشمس في السماء الدُّنْيَا إلَّا أنه لما أجمل ذكرَ السبع كأن ما في إحداهن فِيهِنَّ، ويقرأ: «يُخْرَجَ منهما» بضم الياء.

وقوله عزّوجلّ: ﴿وَلَهُ الجَوَارِ المُنْشَآتُ فِي البَحْرِ كَالأَعْلَامِ﴾.

الجواري الوقف عليها بالياء، وإنما سقطت الياء في اللفظ لسكون اللام، والاختيار وصلها، وأن وقف عليها واقف بغير ياء فذلك جائز على بعد، ولكن يروم الكسر في الراء ليدل على حذف الياء، ويقرأ «المُنْشِآتُ» - بكسر الشين - والفتح أجود في الشين. ومعنى المنشآت المرفوعات الشُّرُع، والمنشِئَات على[2] معنى الحاملات الرافعات الشرع، ومعنى كالأعلام كالجبال، قال الشاعر[3]:

---

(١) سورة نوح /١٥، ١٦.

(٢) في الأصل فعلى.

(٣) من رجز لجرير يمدح به الحكم بن يزيد الثقفي - والعلم الجبل، والضمير للابل وبقيته كما في اللسان: =

إذا قطعن عَلَماً بدا علم

والجواري السُّفُن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾.

معنى ﴿وردة﴾ صارت كلون الورد، وذلك في يوم القيامة، ومعنى ﴿كالدِّهَانِ﴾ تتلون من الفزع الأكبر تَلَوْن[1] الدهان المختلفة، والدِّهَانُ جمع دُهْن، ودليل ذلك قوله ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ﴾[2] أي كالزيت الذي قد أُغْلِيَ. وقيل «فَكَانَتْ وَرْدَةً كالدِّهَان» أي فكانت كلون فرسٍ وردَةٍ، والكَمِيتُ[3] الوردُ يتلون فيكون في الشتاء لونه خلاف لونه في الصيف، ويكون في الفصل[4] لونه غير لونه في الشتاء والصيف.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلاَ جَانٌّ﴾.

وقال في موضع آخر: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ﴾[5] فإذا كان ذلك اليوم كانت سيما المجرمين سواد الوجه والزرقة، ودليل ذلك قوله: ﴿يُعْرَفُ المُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي بعلامتهم هذه، ودليل ذلك قوله: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[6]، وقوله: ﴿وَنَحْشُرُ المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾[7].

= حتى تناهين بنا الى الحكم خليفة الحجاج غير المتهم
في ضنضيء المجد وبؤبؤ الكرم.

والبيت في الطبري ٢٧/ ٧٠، والقرطبي ١٧/ ١٦٤، ومجاز أبي عبيدة.

(١) في الا يتلون.

(٢) سورة المعارج الآية ٥.

(٣) في القاموس: الكميت الذي خالط حمرته قنوء (أي الأحمر الأقنى) ولون الاكمت الكمتة، وقد كمت كمتًا وكمته كماتة.

(٤) ويكون في أي فصل غير فصلي الشتاء والصيف بلون آخر، ولعله يعني بالفصل هنا - أنه في الفاصل بين الشتاء والصيف بلون آخر.

(٥) سورة الصافات/ ٢٤.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٠٦.

(٧) سورة طه الآية ١٠٢.

وقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بالنَّوَاصِي والأَقْدَام﴾.

قيل تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويلقون في النار، وذلك أشد لعذابهم، والتشويه بهم.

وقوله: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا المُجْرِمُونَ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾.

يعني «آنٍ». قد أنى يأنى فهو آنٍ إذا انتهى في النضج والحرارة، فإذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم الآني الذي قد صار كالمهل، فيطاف بهم مرّةً إلى الحميم ومرة إلى النار. أَسْتَجِيرُ باللَّه وبرحمته منها.

ثم أعلم اللَّه - عزّ وجلّ - ما لمن اتقاه وخافه فقال:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَانِ﴾.

قيل من أراد معصية فذكر ما عليه فيها فتركها خوفاً من اللَّه - عزّ وجلّ - ورهبةَ عِقَابه ورجاء ثوابه فله جنتانِ. ثم وصفهما فقال:

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾.

والأفنان جمع فَنٍّ، أي له فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأَعْيُن من كل فَنٍّ، والأفنان الأَلْوَانُ، والأفنان الأغصَانُ، واحدها فَنَن، وهو أجود الوجهين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾: الزوجان النوعان.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَات الطَرْفِ﴾.

معناه فيهن حورٌ قاصرات الطرف، قد قَصَرْنَ طرفَهُنَّ على أَزْوَاجِهِنَّ لا ينظرن إلى غيرهم.

﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾.

لَمْ يَمْسَسْهُنَّ، ويقرأ «لَمْ يَطْمُثْهُنَّ»، وهي في القراءة قليلةٌ، وفي اللغة

طَمَثَ يطمِثُ ويطمُثُ. وفي هذه الآية دليل على أن الجني يغشى، كما أن الإنسيَّ يغشى.

وقوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ والمَرْجَانُ﴾.

قال أهل التفسير وأهل اللغة: هن في صفاء الياقوت وبياض المرجان والمرجان صغار اللؤلؤ وهو أشد بياضاً، وقوله: «فِيهنَّ» وإنما ذكر جنَّتين يعني من هاتين الجنتين وما أعد لصاحب هذه القصة غير هاتين الجنتين.

وقوله عز وجل: ﴿هَلْ جَزَاءُ الاحْسَانِ إلَّا الإِحْسَانُ﴾.

أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يُحْسَنَ إليه في الآخرةِ.

وقوله ـ عز وجل: ﴿وَمِنْ دُونِهمَا جَنَّتَانِ﴾.

أي لمن خاف مقام ربه جنتان وله من دونهما جَنَّتان، والجنة في لغة العرب البستان.

وقوله عز وجل: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾.

يعني أنهما خَضْراوَانِ تضرب خضرتهما إلى السَّواد، وكل نبت أخضَر فتمام خضرته وَرِيّه أن يضرب إلى السَّوَادِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾.

جاء في التفسير أنهما ينضخان كُلَّ خَيرٍ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾.

قال قوم: إن النخل والرُّمَّانَ ليسا من الفاكهة، وقال بعض أهل اللُّغَةِ، منهم يونس النحوي، وهو يتلو الخليل في القدم والحذق: إن الرُّمَّان والنخل من أفضل الفاكهة، وإنما فُصِلاَ بالواو لفضلهما، واستشهد في ذلك بقوله تعالى: ﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِه ورُسُلِه وجِبْرِيلَ ومِيكَالَ﴾[1]. فقال لفضلهما فُصِلاَ بالواو.

---

(١) سورة البقرة /٩٨.

قوله عزّ وجلّ: ﴿مُتَّكِئِين على فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ اسْتَبْرَقٍ وجَنَى الجنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

قيل الاستبرق الديباج الصفيق جدًّا نحو ما يعمل للكعبة والبطائن ما يلي الأرض.

وقوله: ﴿وَجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾.

أي ما يجنى من ثمرهما إذا أرادوه دنا من أفواههم حتى يتناوَلُوه بأفواههم وأيديهم.

وقوله: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾.

أَصْلُه في اللُّغَة خَيِّراتٌ، والمعنى أنَّهن خَيِّراتٌ الأخلاق حسان الخلق، وقد قرئ بها ـ أعني بتشديد الياء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾.

الخيام في لُغَةِ العَرَبِ جَمْعُ خَيْمَةٍ، والخيام شيئانِ: الخيام الهوادج والخيام البيوت، وجاء في التفسير أن الخيمة من هذه الخيام منُ دُرَّةٍ مُجَوَّفَةٍ، ومعنى مقصورات مُخَدَّرات، قد قصرن على أَزْوَاجِهِنَّ.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيّ [حِسَانٍ]﴾.

وقرئت على رفارف خُضْرٍ وعَبَاقِرَيّ ـ «حِسَانٍ».

القراءة هي الأولى، وهذه القراءة لا مخرج لها[1] في العربية، لأن الجمع الذي بعد ألفه حرفان نحو مساجد ومفاتيح لا يكون فيه مثل عباقري[2] لأن ما جاوز الثلاثة لا يجمع بياء النسب. لو جمعت «عبقري» كان جمعه

---

(١) في الأصل: فلا مخرج لها.

(٢) ينسب إلى مفرده ولا ينسب لجمعه.

عباقرة، كما أنك لو جمعت «مُهَلَّبِيّ» كان جمعه مَهَالِبَة، ولم يقل مَهَالِبيّ، فإن قال قَائِلٌ: فمن أين جاز عبقَريّ حِسَانٌ، و «عَبْقَري» واحد، وحسان جمع، فالأصل أن واحده عبقريَّةٌ، والجمع عبقري، كما تقول ثَمَرَة وثَمَر ولوزَةٌ ولَوْزٌ. ويكون أيضاً عبقري اسماً للجنس، فالقراءة هي الأولى.

وأما تفسير ﴿رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٍّ﴾ فقالوا: الرَّفْرَفُ ههنا رياض الجنَّةِ وقالوا: الرفرف الوسائد، وقالوا المحابس، وقالوا أيضاً فضول المحابس للفرش. فأما العبقري، فقالوا: البُسُط، وقالوا: الطنافِسُ المبْسُوطَةُ والذي يدل على هذا من القرآن قوله: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ. وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[1] فالنمارق الوسائد، والزرابيُّ البسط. فمعنى «رفرف» ههنا، و «عَبْقَرِيّ» أنه الوسائد والبُسط. ويدل - واللَّه أعلم - على أن الوسائد ذوات رَفْرَفَ.

وأصل العبقري في اللغة صفة لكل ما بولغ في وصفه، وأصله أن عبقر اسم بلد كان يَوَشَّى فيه البسط وغيرها، فنسب كل شيء جيد، وكل ما بولغ في وصفه إلى عبقر. قال زهير[2]:

بِخَيْلٍ عليها جنةٌ عَبْقَرِيَّةٌ جديرُون يوماً أن ينالوا فيستَعْلُوا

وقوله: ﴿فبأيِّ آلَاءِ رَبكما تُكَذِّبَانِ﴾.

أي فبأي نعم رَبِّكما التي عددت عليكما يا معشر الجن والإنس تكذبان. فإنما ينبغي أن يعظما اللَّه ويمجداه، فختم السورة بما ينبغي أن يمجَّدَ به - عزّ وجلّ - ويُعظم - فقال عزّ وجلّ:

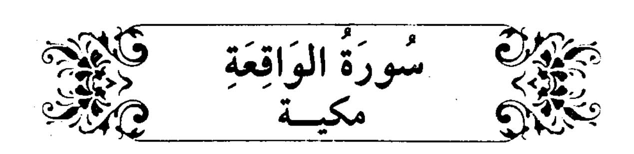
﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ والإِكْرَامِ﴾.

---

(1) سورة الغاشية الآية ١٥ - ١٦.

(2) من لاميته التي تقدمت أبيات منها، والبيت في اللسان - عبقر. أيضاً.





بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ الوَاقِعَةُ﴾.

يقال لكل آت كان يتوقع قد وَقَعَ، تقول: قد وقع الأمر، كقولك قد جاء الأمر. والواقعة ههنا الساعة والقيامة.

وقوله: ﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾.

المعنى أنها تخفض أهل المعاصي، وترفع أهل الطاعة، و﴿خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ﴾ القراءة بالرفع، والنصبُ جائزٌ ولم يقرأ به إمام من القرَّاءِ، وقد رويت عن الزيدي صاحب أبي عمرو ابن العلاء، فمن رفع وهو الوجه، فالمعنى هي خافضة رافعة ومن نصب فعلى وجهين أحدهما إذا وقعت الواقعة خافِضَةً رافِعةً على الحال ويجوز على إضمار «تقع» ويكون المعنى إذا وقعت تقع خافضة رافعة ـ على الحال من تقع المضمر.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ : ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِها كَاذِبَةٌ﴾.

أي لا يردها شيء كما تقول: قَدْ حَمَلَ فُلانٌ لا يُكَذِّبُ، أي لا يرد حَمْلَته شيءٌ، و «كَاذِبَةٌ» مصدر كقولك عافه اللَّه عافيةٌ وعَاقَبَهُ عاقبة، وكذلك كذب كاذبة، وهذه أسماء في مَوْضِعِ المَصَادِرِ.

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا﴾.

موضع «إذا» نصب. المعنى إذا وقعت في ذلك الوقت، ويجوز النَّصْب على «تقع إذا رُجَّت الأرض رَجًّا»، ومعنى رجت حركت حركة شديدة وزلزلتْ.

﴿وَبُسَّتِ الجِبَالُ بَسًّا﴾.

بُسَّتْ لُتَّتْ وخُلِطَتْ، وبُسَّتْ أيضاً سِيقَتْ.

﴿هَبَاءً مُنبَثًّا﴾.

غباراً، ومثله ﴿وَسُيِّرَتِ الجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَاباً﴾[1]، ومثل بُسَّتْ خُلِطَتْ وَلُتَّتْ قول الشاعر:

لا تخبزا خبزا وبُسًّا بَسًّا[2]

ومثل سيقت وانساقت قوله:

وانْبَسَّ حَبَّاتُ الكثيب الأَهْيَل[3]

وقوله عزّ وجلّ: وَكُنْتُمْ أَزْوَاجاً ثَلاَثَةً.

أي أصنافاً ثلاثة، يقال للأصناف التي بعضها مع بعضٍ أزواجٌ كما يقال للخفين زوجان.

وقوله: ﴿فَأَصْحَابُ المَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ المَيْمَنَةِ﴾.

رفع بالابتداء، والمعنى وأصحاب الميمنة ما هم، أي شيء هُمْ ﴿وأصحاب المشأمة﴾ أي شيء هم. وهذا اللفظ مجراه في العربية مجرى

---

(١) سورة النبأ الآية ٢٠.

(٢) بعده: ولا تطيلا بمناخ حبْساً.

قيل إنه للص من غَطفان أراد أن يخبز عجيناً فأكله عجينا لأنه كان خائفاً يريد الهرب والمراد بالبس أن يلت الدقيق بالزيت أو السمن. ويسمى حينئذ بسيسة، ويؤكل دون خبز - وهو رجز شائع ذكره الثعالبي في فقه اللغة باب تفصيل الشدة والشديد، وفي الاشباه والنظائر واللسان (خبز - بس) - الطبري ٢٧/٨٧، القرطبي ١٧/١٩٦.

(٣) في اللسان: (بسس) ولم يذكر غير هذا الشطر.

التَّعَجُّب، ومجراه من اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ في مخاطبة العباد مجرى ما يعظم به الشأنُ عندهم. ومثله ﴿الحاقة ما الحاقَّة﴾، و﴿القارعة ما القارعة﴾، ومعنى أصحاب الميمنة أصحاب اليمين، وأصحاب المشأمة أصحاب الشمال، وأصحاب اليمين هم أصحاب المنزلة الرفيعة، وأصحاب الشمال هم أصحاب المنزلة الدنيئة الخسيسة.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.

معناه ـ واللَّه أعلم ـ السابقون السابقون إلى طاعة اللَّه عزّ وجلّ والتصديق بأنبيائه، والسابقون الأول رفع بالابتداء، والثاني توكيد، ويكون الخبر أولئك المقربون، ثم أخبر أين محلهم فقال: ﴿في جَنَّاتِ النَّعيم﴾.

ويجوز أن يكون السَّابِقُون الأول رفعاً بالابتداء، ويكون خبره ﴿السابقون﴾ الثاني، فيكون المعنى ـ واللَّه أعلم ـ السابقون إلى طاعة اللَّه السابقون إلى رحمة اللَّه. ويكون ﴿أولئك المقربون﴾ من صِفتهم.

وقوله: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

«ثلة» رفع على معنى هم ثلثة، والثلثة الجماعَة، وهذا ـ واللَّه أعلم ـ معنى ﴿ثُلةٌ منَ الأوَّلين﴾ أي جماعة ممن عاين الأنبياء وصدق بِهِمْ، فالذين عاينوا جميع النبيين وصدقوا بِهِم أكثر ممن عاين النبي عليه السلام، وذلك قوله في قصة نوح: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إلى مَائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إلى حِينٍ﴾[1].

هؤلاء سوى سائر من آمن بجميع الأنبياء ممن عاينهم وصَدَّقَهُم ويجوز أن يكون الثلة بمعنى قليل من الأولين وقليل من الآخرين، لأن اشتقاق الثلة من القطعة. والثل الكسر والقطع، والثلة نحو الفئة والفرقة.

وقَوْلُه: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ـ مُتَّكِئينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلينَ﴾.

---

(١) سورة الصافات/ ١٤٧ ـ ١٤٨.

متكئين ومتقابلين منصوبان على الحال، المعنى أولئك المقربون في جنات النعيم في هذه الحال. والسرر جمع سرير، مثل كثيب وكثب، ومعنى «متقابلين» ينظر بعضهم إلى وجوه بعض ولا ينظر في أقفاء بعضٍ.

وصفوا مع نعمهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق، وصفاء المودة ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[1] وجاء في التفسير ﴿موضونة﴾ مرمولة ومعنى مرمولة منسوجة، نحو نسج الدروع، وجاء في التفسير أنها من ذهب، ومثل موضونة قول الأعشى[2].

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عِيرا فغيراً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾.

الأكواب آنية لا عُرى لها ولا خراطيم، والإبريق ما له خرطوم وعُروة. ﴿وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

والكأس الإناء فيه الشراب، فإن لم يكن فيه شراب فليس بكأسٍ، وقوله: ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ معناه من خمر تجْري من العُيُونِ.

وقوله: ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾.

تأويله لا ينالهم عن شربها ما يَنال أهل الدنيا من الصُّداع، ﴿ولا ينزفون﴾ لا يسكرون، والنزيف السكران، وإنما قيل له نزيف ومنزوف لأنه نزف عقله، ويقرأ ولا يُنزَفون، معناه لا ينزف شَرابُهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾.

---

(١) سورة الحجر /٤٧.

(٢) البيت في اللسان (وضن)، والطبري٢٧/ ٨٩.

ومجاز أبي عبيدة ٢/ ٢٤٨، والقصيدة في الديوان وتقدمت الاشارة إليها. وبعض أبياتها.

بالخفض، وقرئت بالرَّفع، والذين قرأوها بالرفع كرهوا الخفض لأَنَّهُ عطف على قوله:﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ﴾، فقالوا: الحور ليس مما يطاف به، ولكن مخفوض على غير ما ذهب إليه هؤلاء لأن معنى ﴿يطوف عليهم وِلْدَانٌ مخلدونَ﴾ ينعمون بهذا، وكذلك ينعَّمونَ بلحم طيرْ وكذلك ينعمون بحورٍ عِينٍ. ومن قرأها بالرفع فهو أحْسَنُ الوجهين لأن معنى ﴿يطوف عليهم وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ﴾ بهذه الأشياء بمعنى ما قد ثبت لهم فكأنه قال: ولهم حُورٌ عينٌ. ومثله مما حمل على المعنى قول الشاعر[1]:

بادت وغير آيُهُنَّ مع البلى ... إلاَّ رَوَاكِدَ جَمرُهُنَّ هَبَاءُ
ومشجح أما سواء قذاله فبدا ... وغير سَارَهُ المِعْزَاءُ

لأنه قال: إلاَّ رَوَاكِدَ، كأن المعنى بها رَوَاكِدُ، فَحَمَلَ ومُشَجَّحٌ على المعنى.

وقد قرئت «وحوراً عِيناً» بالنَّصْبِ على الحمل على المعنى أيضاً، لأن المعنى يُعْطَوْن هذه الأشياءَ ويُعْطَون حوراً عيناً، إلاّ أن هذه القراءة تخالف المصحف الذي هو الإمَامَ، وأهل العلم يكرهون أنْ يُقْرَأ بِمَا يَخالِفُ الإِمَامَ.

ومعنى الحور: الشديدات البياض، والعِينُ الكبيرات العُيُونِ حِسَانُها. ومعنى ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤلُؤ المكْنُونِ﴾ أي كأمثال الدر حين يخرج من صَدَفِه وَكِنِّه، لم يغيره الزَّمَانُ واختلاف أحوال الاستعْمَال وإنما يعنى بقوله: ﴿كأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤ﴾ أي في صفائهن وتَلألُئِهِنَّ كصفاء الدّر وتلاَلِئه.

وقوله:﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

منصوب مفعول له، المعنى يفعل بهم ذَلِكَ لِجَزاءِ أَعْمَالِهم، ويجوز أن يكون «جَزَاءً» منصوباً على أنه مصدر، لأن معنى ﴿يطوف عليهم ولدانٌ

(١) تقدم في الجزء الأول.

مُخَلَّدُونَ﴾يجازون جزاء بأعمالِهم. وهذا الوجه عليه أكثر النحويين.

وقوله:﴿إلاَّ قيلا سَلاَماً سَلاَماً﴾.

﴿قيل﴾ منصوبٌ بقوله ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فيها لَغْواً ولا تأثيماً إلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً﴾، فالمعنى لا يسمعون إلا قيلاً سلاماً سلاماً، مَنْصُوبٌ من جهين إحداهما أن يكون من نعت قيلَ، فيكون المعنى لا يَسْمَعُون إلاَّ قيلاً يسلم فيه من اللغو والإثم. والوجه الثاني أن يكونَ ﴿سَلاَماً﴾ منصوباً على المصدر، فيكون المعنى لا يسمعون فيها إلا أن يَقُولَ بعضهُم لبعض سَلاَماً سَلاَماً. ودليل هذا قوله تعالى: ﴿تحيتهم فيها سلام﴾[1].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾.

المخضود الذي قد نزع شوكه، والطلح جاء في التفسير أنه شجر الموز، والطلح شجر أم غَيلان أيضاً، وجائز أن يكون يعنى به ذلك الشجر، لأنَ له نوراً طيب الرائحة جدًا، فخوطبوا ووعدوا بما يحبُّونَ مثله، إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾: معناه تام دائم.

وقوله: ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾، يعنى به أنه ماء لا يتعبون فيه ينسكب لهم كيف يحبون.

وقوله:﴿إنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إنْشَاءً﴾.

يعني الحورَ، أُنْشِئْنَ لأولياء اللَّه عَزَّ وجلّ، لَيْسَ ممن وقعت عليه ولادة.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أبكاراً﴾: لَمْ يُطْمَثْنَ.

عُرُباً، والعرب المتحببات إلى أَزْوَاجِهِنَّ.

---

(١) سورة يونس. الآية ١٠.

وقوله:﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾.

معناه - واللَّه أعلم - جماعة ممن تبع النبي ﷺ وعاينه، وجماعة ممن آمن به وكان بعده.

وقوله: ﴿وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾.

اليحموم الشديد السواد، وقيل إنه الدخان الشديد السَّوَاد، وقيل ﴿وظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ أي من نار يعذبون بها، ودليل هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾،[1] إلا أنه موصوف في هذا الموضع بِشِدة السواد.

﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الحِنْثِ العَظِيمِ﴾.

قيل في التفسير: الحنث الشرك، وَقيل على الإثم العظيم، وهو - واللَّه أعلم - الشرك والكفر بالبعث، لأن في القرآن دليل ذلك وهو﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بلى وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا﴾[2] فهذا - واللَّه أعلم - إصرارهم على الحنث العظيم.

﴿فَشَارِبُونَ شُرْبَ الهِيمِ﴾.

ويقرأ شرب الهِيمِ، والشَّرْبُ المصدر، والشُّربُ الاسم، وقد قيل إن الشرب أيضاً مَصْدَرٌ. والهيم الإبلُ العِطَاشُ.

وقوله:﴿هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾.

أي هذا غذاؤهم يوم الجزاء، أي يوم يجازَوْنَ بأعمالهم.

وقوله:﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾.

أي ما يكون منكم من المَنِيّ الذي يكون مِنْهُ الوَلَدُ، يقال: أَمْنى الرجل يمني، ومَنَى يَمْنِي. فيجوز على هذا «تمنون» بفتح التاء، ولا أعلم أَحَداً قرأ بها، فلا تقرأن بها إلا أن تثبت رواية.

---

(١) سورة الزمر /١٦.

(٢) سورة النحل /٣٨.

وقـولـه : ﴿أأنْتُمْ تَخْلُقُـونَـهُ أَمْ نَحْنُ الخَالِقُونَ﴾ .

احتـج عليهم في البعث بالقـدرة على ابتداء الخلق كمـا قال عـزّ وجلّ : ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم،قل يُحْيِيها الذي أنشأَها أول مَرَّةٍ وهو بكل خلق عليم﴾[1]

وقوله عزّ وجلّ :﴿نَحْنُ قَـدَّرْنَا بَيْنَكُمُ المَـوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُـوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾ .

أي إن أردنـا أن نخلق خلقـاً غيـركم لم يسبقنـا سـابق ولا يفـوتنـا ذلك . وقوله :﴿ونُنْشِئَكُمْ فِيمَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ .

أي إن أردنـا أن نجعل منكم القـردة والخنازيـر لم نسبق ولاَ فَاتَنـا ذَلك .

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولىَ فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ .

أي قد علمتم ابتداء الخلق فلم أنكرتم البعث، ومعنى «لولا تذكرون» هلا تذكرون .

وقوله :﴿فَظَلْتُم تَفَكَّهُونَ﴾ .

أي لو جعلنا ما تزرعون حطاماً، أي أبطلناه حتى يكون متحطماً لا حنطة فيه ولا شيء مما تَزْرَعُونَ .

﴿فَـظَلْتُم تَفَكَّهـونَ﴾ .

أي تَنَدّمُون، ويجُوزُ فَظِلْتُم تفكهون ـ بكسر الظاء ـ

وقوله : ﴿إِنّـا لَمُغْـرَمُـونَ﴾ .

أي يقولون قد غرمنا وذهب زرعنا، ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ .

وقوله:﴿أأنْتُمْ أنْزَلْتُمُوهُ مِنَ المُزْنِ﴾ .

وهي السحاب واحدته مُزْنَةٌ وجمعه مُزْنٌ .

---

(١) سورة يـس . الآية ٧٨ ـ ٧٩ .

وقوله:﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً﴾.

الأجاج الماء الملح الذي لا يمكن شربه البتة.

﴿فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ﴾، معناه «فَهَلاَّ».

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ التَّـي تُورُونَ﴾.

معناه تقدحونَ، تقول وري الزند يَـرِي ورْياً، فهـو وارٍ إذا انقدحت منـه النار، وأوريت النار إذا قدحتها، والعـرب تقدَحُ بـالزَّنْـدِ والزَّنْـدَةِ، وهذا خشب يحك بعضه على بعض فيخرج منه النار، فقال:﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَها أَمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِلْمُقْوِينَ﴾.

أي إذا رآها الرائي ذَكَرَ جهنم وما يخافه من العذاب، فذكر اللَّه عزّ وجلّ واستجار به منها، ومعنى ﴿متاعاً للمقوين﴾، المقوي الذي ينـزل بالقـواء، وهي الأرض الخالية.

فذكر اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ جميع ما يدل على توحيده وما أنعم به عليهم من خَلْقِهِم، وتغذيتهم مما يأكلون ويشربون، مما يدل على قَدْرَتِهِ ووحدانيتَـه، ثم قال عزّ وجلّ:﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ العَظِيمِ﴾.

أي فبـرِّئ اللَّه ـ عزّ وجلّ.

﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ﴾.

معنـاه أقسم، ودخلت «لاَ» توكيـداً كما قـال عزّ وجـلّ: ﴿لِئَلاَّ يَعْلَمَ أَهْـلُ الكِتابِ، معناه لأن يعلم أهل الكتاب، ومـواقع النجـوم مَسَاقِـطُها، كمـا قـال ـعزّوجلّـ رَبُّ المَشَـارِقِ المَغَارِبِ، وقيـل إن مواقـع النجومِ يعنى بـه نجـوم القـرآن، لأنه كـان ينزل على النبي ﷺ نُجُـومـاً شيئـاً بَعْـدَ شَيءٍ، ودليـل هـذا القول:﴿وَإِنَّه لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٍ إِنه لَقُرَآنٌ كَرِيم﴾.

وقوله:﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾.

أي مصون في السماء في اللوح المحفوظ.

وقوله: ﴿لَا يَمسُّه إلَّا المُطَهَّرُونَ﴾.

يعنى به الملائكة. لا يمسه في اللوح المحفوظ إلا الملائكة، ويقرأ «المُطَهِّرُونَ» وهي قليلة، ولها وجهان أحدهما الذين طَهَّروا أنفسهم من الذُّنُوبِ، والثاني أن يكون الَّذين يُطَهِّرُونَ غيرهم.

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

صفة لقوله ﴿كريم﴾، وإن شئت كان مرفوعاً على قوله هو تنزيل من رب العالمين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾.

أي أفبالقرآن تكذِبُونَ، والمُدْهِنُ المدَاهِنُ والكذاب المنافق.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾.

كانوا يقولون: مطرنا بنوء كذا، ولا ينسبون السقيا إلى اللَّه - عزّ وجلّ - فقيل لهم: أتجعلون رِزقكم أي شكركم بما رزقتم التكذيبَ، وقرئت «وتَجْعَلُونَ شُكْرَكُمْ أنكم تُكَذِّبُونَ» ولا ينبغي أن يقرأ بها لخلاف المصحف. وقد قالوا إن تفسير رزقكم ههنا الشكر، ورووا أنه يقال «وتجعلون رزقي في معنى شكري» وليس بصحيح. إنما الكلام في قوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ يدل على معنى «وتجعلون شكركم أنكم تكذَبُون» أي تجعلون شكر رزقكم أن تقولوا: مطرنا بنوء كذا، فَتُكْذِبُونَ في ذلك.

وقوله: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾.

يعنى إذا بلغت الروح الحلقوم.

﴿وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ﴾.

أي أنتم يا أهل الميت في تلك الحال ترونه قد صار إلى أن تخرج نفسه.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾.

جاء في التفسير أنه لا يموت أحد حتى يعلم أهو من أهل الجنة أم من أهل النار.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿تَرْجِعُونَها إنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ﴾.

ومعناه هلا ترجعون الروح إن كنتم غير مَدِينين، أي غير مَمْلوكين مُدَبَّرين ليس لكم في الحياة والموت قدرة، فهلا إن كنتم كما زعمتم ومثل قولكم الذي جاء في القرآن: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لإِخْوَانِهِم وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا، قل فادرأوا عن أنفسكم الموت إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ كما قال ﴿ أو كانوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا ﴾.

فالمعنى إن كنتم تقدرون أن تؤخروا أَجَلاً فهلا تَرْجِعُون الروح إذا بلغت الحلقوم، وهلا تدرأون عن أنفسكم الموت.

وقوله: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾.

بفتح الراء في روح. ومعناه فاستراحة وبرد، وريحان رزق قال الشاعر:

سلام الإلـه وريحانه ورحمته وسماء دِرَرْ[1]

ورُوِيت «فَرُوحٌ» بضم الراء، وتفسيره فحياة دائمة لا موت بعدها وريحان رِزقٌ. وجائز أن يكون ريحان ههنا تحية لأهل الجنة، وأجمع النحويون أن أصل ريحان في اللغة «رَيِّحَان» من ذوات الواو فالأصل «رَيْوِحان» فقلبت الواو

---

(١) في الاصل: سلام اللّه. والبيت في اللسان (روح ودرر) ـ وهو للنمر بن تولب ـ وجاء في اللسان (درر) بعده.

غمام ينزل رزق العباد فأحيا البلادَ وطاب الشجر

وانظر مجاز أبي عبيدة ٢/٢٤٣، وتفسير الطبري ٢٧/٦٥، والقرطبي ١٧/١٥٧.

ياء وأدغمت فيها الأولى، فصارت ريّحان، فخفف كما قالوا [في] ميتٍ ميت، ولا يجوز في «رَيْحان» التشديد إلا على بعد لأنه قد زيد فيه ألف ونون فخفف بحذف الياء وألزم التخفيف.

ورفعه على معنى فأما إن كان المتوفى من المقربين فله روح وَرَيْحانٌ.

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ اليَمِينِ.

وقد بيَّن ما لأصحاب اليمين في أوَل السورة.

ومعنى ﴿فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ [اليَمِينِ]﴾ أنك ترى فيهم ما تحب من السَّلَامةِ وقد علمت ما أعدلهم من الجزاء.

وقوله: ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المكَذِّبينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾.

ويُقْرَأُ فَنُزْل بالتخفيف والتثقيل. فمعناه فغذاء من حميمٍ وتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ.

أي إقامةً في جحيم. فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن الجحيم ههنا للمكذبين الضالين.

وقوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ اليَقِينِ﴾.

أي إن هذا الذي قصصنا عليك في هذه السورة من الأَقاصيص وما أعد اللَّه لأوليائه وأعدائه وما ذُكِرَ مما يدل على وحدانيته لَيَقِينٌ حَقٌّ اليقين، كما تقول: «إن زيداً لعالم حق عالم، وإنه للْعَالِمُ حقُّ العَالِم» إذا بالغت في التوكيد.

وقوله: ﴿فَسَبِّحْ باسْمِ رَبِّكَ العَظِيم﴾.

أي فَنُزِه اللَّه - عزّ وجلّ - من السُّوء، لأن معنى سبحان اللَّه تنزيه اللَّه من

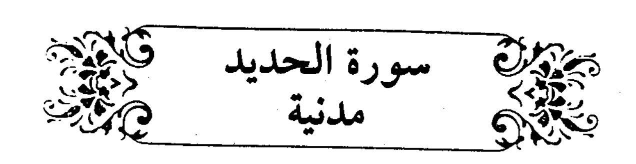
السُّوءِ. كذلك جاء عن رسول اللّه ﷺ، وأهلُ اللغة كذلك يُفَسِّرُونَهُ. بَرَاءةُ اللّه من السوء، وأَنْشَدَ سِيبَوَيْه في هذا المعنى[1]:

أقــول لمــا جــاء في فخــره ... سبحــان من علقمــة الفــاجــر

أي أبرأ منه.

(١) تقدم.





سورة الحديد
مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿سَبَّح لِلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾.

قال قوم: التسبيح آثار الصنعة في السموات وفي الأرض ومن فيهما وكذلك فسروا قوله: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾، وهذا خطأ، التسبيح تمجيد اللَّه وتنزيهه من السوء ودليل ذلك قوله: ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] فلو كان التسبيح آثارَ الصّنعة لكَانَتِ مَعقولة، وكانوا يفقهونها. ودليل هذا القول أيضاً قوله: ﴿وسَخَّرْنَا مَعَ داوُدَ الجبال يُسَبِّحْنَ وَالطَّيرَ﴾، فلو كان تسبيحها آثارَ الصنعة لم يكن في قوله «وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ يُسَبِّحْنَ والطَّيْرَ» فائدة[2].

وقوله: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يُحْيِي ويُمِيتُ﴾.

أي يحيي الموتى يوم القيامةِ، ويُميتُ الأحياء في الدنيا. ويكون يحيي ويُميت: يحيي النطف التي إنّما هي مَوَاتٌ، ويميت الأحياء.

ويكون موضع ﴿يُحْيي ويُمِيتُ﴾ رَفعاً على معنى هو يحيي ويميت. ويجوز أن يكون نصباً على معنى له ملك السموات والأرض مُحْيياً ومُمِيتاً قادِراً.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

(٢) لا يكون ثم ميزة لداود.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ﴾.

تأويله هو الأول قبل كل شيء والآخر بعد كل شيء، والظاهر العالم بما ظهر والباطن العالم بما بطن، كما تقول: فلان يُبْطِنُ أمر فُلانٍ، أي يعلم دِخْلَةَ أمْرِه.

﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ﴾.

تأويله يعلم ما يدخل في الأرض من مَطَرٍ وَغَيْرِه، ﴿وما يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من نبات وغيره.

﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق ومطر وملك.

﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيها﴾.

أي ما يصعد إليها من أعمال العباد، وما يَعْرُج مِنَ الملائكة.

﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾.

معناه يدخل الليل في النهار بأن ينقص من الليل ويزيد في النَّهارِ.

وكذلك ﴿يولج النهار في الليل﴾ ينقص من النهار ويزيد في اللَّيْلِ وهو مثل قوله: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[1].

وقوله: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

معناه صَدِّقوا بأن اللَّه واحد وأن محمداً رسوله.

﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.

أي أنفقوا مما مَلككم، فأنفقوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ.

وقوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ولِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمٰوَاتِ والأَرْضِ﴾.

---

(١) سورة الزمر /٥.

تـأويله وأي شيء لكم في ترك الإنفـاق فيما يقـرب من اللَّه وأنتم مَيِّتُونَ تَارِكُونَ أَمْوَالَكُم.

وقـوله: ﴿لَا يَسْتَـوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْـحِ وقَاتَلَ أولئـك أعْـظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أنفقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾.

لأن من تقدم في الإيمان باللَّه وبرسوله عليه السلام وصَدَّقَ به فهو أفضل مِمَّنْ أَتَى بعدَهُ بالإيمان والتصديق، لأن المتقدِّمينَ نالهم من المشقـة أكثر ممـا نال مَنْ بَعْدَهُمْ، فكانت بصائرهم أيضاً أنفد.

وقال: ﴿وَكُلًّا وَعَد اللَّهُ الحُسْنَى﴾.

إلَّا أنه أعلم فضل السابق إلى الإيمان على المتأخر.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً، فَيُضَاعِفُهُ لَهُ﴾.

ويقـرأ ﴿فيضاعفَهُ﴾ لـه ـ بـالنصب، فمن نصب فعلى جـواب الاستفهـام بـالفاء، ومن رفـع فعلى العـطف على يقـرض، ويكـون على الاستئنـاف على معنى فهو يضاعفه له. ومعنى يقرض ههنا يفعَـلُ فعلاً حسنـاً في اتّباع أمـر اللَّه وطاعته. والعـرب تقول لكـل من فعل إليهـا خيراً: قـد أَحْسَنْتَ قَرْضِي، وقـد أقرضتني قرضاً حَسَناً، إذا فعل به خيراً، قال الشاعر:

وإذا جـوزيت قـرضـاً فـاجـزه   إنما يجزي الفتى غيـر الجمل[1]

المعنى إذا أسدي إليك معروف فكافـئ عليـه.

وقـولـه: ﴿يَـوْمَ تَـرَى المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَـاتِ يَسْعَى نُـورُهُمْ بَيْنَ أَيْـدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله: ﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ، وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ في ذلك اليوم.

---

(١) تقدم ويروى: ليس الجمل.

ومعنى: ﴿يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبِأَيْمَانِهِمْ﴾.

أي بمعنى نورهم بين أَيْدِيهِمْ، وهو علامة أيديهم الصالحة.

﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾[1]، أي بلغنا به إلى جَنَّتِك.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ المُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ للَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾.

وقرئت «أَنْظِرُونـا» ـ بقطع الألف ووصلهـا ـ فمن قال: انظرونا فهـو من نظر ينظر، معناه انتظرونا، ومن قال: أَنْظِرونا ـ بالكسـر ـ فمعناه أخـرونا، وقـد قيل إنَّ مَعْنَى «أَنْظِرونا» انتظرونا أيضاً، وأَنْشَدَ [القائل] بيت عمرو بن كلثوم:

أَبَـا هِنْـدٍ فـلا تعجـل عَلَيْنـا وأَنْـظِرْنـا نخبِـرْكَ اليَقِينَـا[2]

وقوله: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً﴾.

تأويله لا نور لَكم عندنا.

وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَـهُ بَابٌ بَـاطِنُهُ فِيـهِ الرَّحْمَـةُ وَظَاهِـرُهُ مِنْ قِبَلِهِ العَذَابُ﴾.

أي ما يلي المؤمنين ففيه الرحمة، ومـا يلي الكافـرين ظاهـره يأتيهم من قِبَلِه العَذَابُ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولكنكم فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾.

معنى ﴿فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ اسْتَعْمَلْتُموهَـا في الفِتْنَـةِ، وتـربصتم بـالنبي ﷺ والمؤمنين الدوائر.

﴿وَغَرَّتْكُمْ الأَمَانِيُّ﴾.

أي ما كنتُمْ تَمنَّونَ من نزول الدوائر بالمؤمنين.

﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾.

---

(١) سورة التحريم آية ٨. (٢) من معلقته. الاهبي بصحنك.

آي حتى أنزل اللَّه نَصْرَهُ عَلَى نَبِيِّهِ والمؤمنين.

﴿وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾.

أَيْ غَرَّكُمُ الشَّيْطَانُ، وهو الغرور على وَزْن الفَعُول، وَفَعُول من أسماء المبالغة، تقول: فلان أكول إذا كانَ كثير الأكل وضروبٌ إِذَا كانَ كثير الضَّرْبِ، ولذلك قيل للشيطان: الغرور لأنه يَغُرُّ ابنَ آدم كثيراً، فإذا غرَّ مرة واحدةً فهو غارٌّ، ويصلح غارٌّ للكثير، فأما غَرورٌ فلا يصلح لِلْقَلِيْلِ، وقرئت الغُرُورُ، وهو كل ما غرَّ من متاع الدنيا.

ومعنى ﴿ارْتَبْتُمْ﴾ غَلَّبْتُمُ الشَّكَّ على اليقين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾.

هي أَوْلَى بِكُمْ لما أَسْلَفْتُمْ من الذُّنُوبِ، ومثل ذلك قول الشاعر[1]:

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافة، خَلْفُها وأَمَامُها

مثل ذلك. أي مولى المخافة خلفها وأمامها.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَّلَ مِنَ الحَقِّ﴾.

ويقرأ ﴿وَمَا نَزَلَ﴾ من الحق - بالتخفيف. وقوله «يأن» من أَنَى يَأْنِي، ويقال آن يئين. وفي هذا المعنى ومعناه «حَانَ يَحِينُ».

وهذه الآية - واللَّه أعلم - نزلت في طائفة من المؤمنين حُثُّوا عَلَى الرِّقَّة والرَّحمَةِ والخشوع. فأما من كان ممن وصفه - عزّوجلّ - بالخضوع والرقة والرحمة فطائفة من المؤمنين فوق هؤلاء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾.

---

(١) هو لبيد في معلقته البيت ٤٨، يصف بقرة وحشية سمعت صوتاً لم تدراً هو أمامها أم وراءها. فذعرت ولم تعرف كيف تنجو وهي تحسب أن كلا الفرجتين. ما بين رجليها الخلفيتين أو الأماميتين أولى أن تخافه. ومولى المخافة - أي الأولى بأن تخافه.

وقرئت بالتاء، ـ تكونوا ـ
﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.
أي لا تكونوا كالذين لما طالت عليهم المدَّة قست قُلُوبُهُمْ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أنَّ اللَّه يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ﴾.

معناه أن إحياء الأرض بعد موتها دليل على توحيد اللَّه، ومن آياته الدالة على ذلك.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ المصَّدِّقِينَ والمصَّدِّقَاتِ﴾.

بتشديد الصّاد، معناه أن المتَصَدِّقين والمتصدِّقَاتِ، ويقرأ أن المصَدِّقين والمصدقات بالتخفيف، ومعناه أن المؤمنين والمؤمنات مِمَّنْ صدق اللَّه ورسوله فآمن بما أتى به النبي ﷺ.

وقوله: ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾.

أي تصدَّقوا من مال طيب.

﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾.

أي يضاعف لهم ما عملوا، ويكون ذلك التضعيف أَجْراً كريماً.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسِلِه أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾.

على وزن «الفعِيلينَ» واحدهم صِدِّيقٌ وهو اسم للمُبَالَغَةِ في الفِعْلِ تقول: رجل «صِدِّيقٌ» كثير التصديق وكذلك رجل سكيت كثيرُ السُّكوتِ. فالمعنى أنَّ المُؤمِنَ المصَدِّقَ باللَّه ورُسُلِهِ هو المبالغ في الصِّدْقِ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ ربِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾.

يصلح أن يكون كلاماً مُسْتَأنفاً مرفوعاً بالابتداء، فيكون المعنى «والشُّهَدَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ لهم أجرهم ونورهم. والشهداء هم الأنبياء، ويجوز أن يكون «والشهداء» نسقاً على ما قبله، فيكون المعنى أولئك هم الصِّدِّيقُونَ

وأولئك هم الشهداء عند رَبِّهِمْ، ويكون ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ للجماعة من الصديقين والشهداء.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ - إلى قوله[1] ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُه﴾.

الكاف في موضع رفع من وجهين، أَحَدُهُما أن تكون صفة فيكون المعنى: «إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم مَثَلُ غيثٍ، وهو المطر ويكون رفعها عَلَى خبرٍ بَعْدَ خَبَرٍ، على معنى أن الحياة الدنيا وزينتَها مَثَلُ غَيْثٍ أعجب الكفار نباته.

والكفار ههنا له تفسيران أحدهما أنه الزَّرْعُ، وإذا أعجب الزُّرَّاعَ نَبَاتُه مع علمهم به، فهو في غاية ما يستحسن، ويكون الكفار ههنا الكفار بالله[2]، وهم أشد أعجاباً بزينة الدُّنْيَا من المؤمنين.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾.

معنى ﴿يهيج﴾ يأخذ في الجفاف فَيَبْتَدِئ به الصُّفْرَة.

﴿ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً﴾.

أي متحطماً متكَسِّراً ذاهباً. وضرب الله هذا مثلاً لزوال الدنيا.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾.

ويقرأ «ورُضْوان»، وقد روينا جميعاً عن عاصم - بالضم والكسر - فمعناه فمغفرة لأولياء الله وعذاب لأعدائه.

وقوله: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾.

المعنى سابقوا بالأعمال الصالحة.

---

(١) بقية الآية: ﴿وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بينكم وتَكَاثُرٌ في الأَمْوالِ والأَوْلَادِ﴾.

(٢) هذا هو الوجه الثاني.

وقيل إن الجَنَّات سَبْعٌ، وقيل أَرْبَعٌ لقوله ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾ وقوله بعد ذلك ﴿وَمِنْ دُونِهِما جَنَّتَانِ﴾. وقيل عرضها ولم يذكر طولها ـ واللَّه أعلم ـ وإنما ذِكْرُ عَرْضِها ههنا تمثيلُ للعِبَادِ بِمَا يَفْعَلونَهُ وَيَقَعُ فِي نُفُوسِهِم، وأكبر ما يقع في نفوسهم مقدار السموات والأرض.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّه يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

وهذا دليل أنه لا يدخل أَحَدٌ الجنَةَ إلَّا بفضل اللَّه.

ثم أعلمهم أن ذلك المؤدِّي إلى الجنَّةِ أو النار لَا يكون إلَّا بقضاء وَقَدَرٍ فقال عزّ وجلّ:

﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ في الأَرْضِ وَلَا في أَنْفُسِكُمْ إلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرأَهَا﴾.

أي مِنْ قَبل أن نَخْلُقَهَا، فما وقع في الأرض من جَدْبٍ أَوْ نَقْصٍ وكذلك ما وقع في النفوس من مرضٍ وموتٍ أو خُسْرانٍ في تجارةٍ أو كسب خيرٍ أو شَرٍّ فمكتوبٌ عند اللَّه معلومٌ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُم وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾.

فمن قرأ «أَتاكُمْ» فمعناه جاءكم، ومن قرأ ﴿آتَاكُمْ﴾ فمعْنَاهُ أَعْطَاكُم ومعنى «تفرحوا» ههنا لا تفرحوا فَرَحاً شد يداً تأشروا فيه وتبطروا ودليل ذلك: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

فدل بهذا أنه ذم الفرح الذي يختال فيه صاحبه ويبطر له، فأما الفرح بنعمة اللَّه والشكر عليها فغير مذموم.

وكذلك ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾.

أي لا تحزنوا حزناً يطغاكم حتى يخرجكم إلى أن تلزِمُوا أَنْفُسِكُم الهَلَكَةَ ولا تعتدوا بثواب اللَّه ما تسلبونَهُ وَمَا فاتكم.

وقوله:﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرونَ النَّاسَ بِالبُخْلِ﴾.

ويقرأ «بالبَخَلِ» مثل الرشدِ والرَّشَد، وهذا على ضربين أَحَدُهُمَا في التفسير أنهم الذين يبخلون بتعريف صفة النبي ﷺ التي قد عرفوها في التوراة والإنجيل، والوجه الثاني أنه لما حَثَّ على الصِّفَةِ، أعلم أنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بها ويأمرون بالبخل بها، فإن اللَّه عزّ وجلّ غني عنهم.

وقوله عزّ وجلّ :﴿وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيه بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

جاء في التفسير أن آدم عليه السلام هبط إلى الأَرْضِ بالعلاة والمطرقة والكلبتين. والعلاة هي التي يسميها الحدادونَ السِّنْدَانَ.

وقوله عزّ وجلّ:﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾.

[أي] يمنَعُ بِه، ويحارَبُ به.

﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾.

يستعملونه في أدواتهم وما ينتفعون به من آنِيَتِهِمْ، وجميع ما يتصرف فيه.

وقوله :﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالْغَيْبِ﴾.

أي ليعْلَمَ اللَّه من يقاتل مع رسلِه في سُبُلِهِ. وقد مر تفسيره ومعناه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا﴾.

أي أتبعنا نوحاً وإبراهيم رُسُلاً بعْدَهُمْ.

﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى بنِ مَرْيَمَ وآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ﴾.

جـاء في التفسير أن الإنجيل آتاه اللَّه عيسى جُمْلَةً واحدةً.

وقوله :﴿وَجَعَلْنَافي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾.

ويجوز رآفة على وزن السماحة، حكى أبو زيد أنه يقال: رَؤُفْتُ بالرَّجل رَأْفَةً، وهي القِراءةُ. وقد قرئَت ورآفة.

وقوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾.

هذه الآية صعبة في التفسير. ومعناها ـ والله أعلم ـ يحتمل ضَرْبَيْن أَحَدُهُمَا أن يكون المعنى في قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابتدعوها﴾ ابتدعوا رهبانية كما تقول: رأيت زيداً، وعمراً أكرمتُه، وتكون ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيهِمْ﴾ معناه لم نكتبها عليهم ألبتَّةَ، ويكون ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رضوان الله﴾ بَدَلاً من الهاء والألف[1]، فيكون المعنى ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رِضْوَانِ الله، وابتغاءُ رضوان الله اتّبَاعُ مَا أَمَرَ بِه. فَهذا ـ والله أعلم ـ وجه.

وفيها وجه آخر في ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾.

جاء في التفسير أَنَّهُمْ كانوا يَرَوْنَ من مُلُوكهم ما لا يَصْبِرُونَ عليهِ فاتخذوا أسراباً وصَوَامِعَ[2]. فابتدعوا ذلك، فلما ألزموا أَنْفُسَهُم ذلك التطوع ودَخَلُوا فيه لزمهم تَمامُهُ، كما أن الإنسان إذا جعل على نفسه صوماً لم يُفْتَرَضْ عليه لزمه أَنْ يُتِمَّهُ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

على ضربين ـ والله أعلم ـ:

أحدهما أن يكونوا قصَّروا فيما ألزموه أَنْفُسَهُم، والآخر وهو أجود أن يكونوا حين بُعِثَ النبي ﷺ فلم يؤمنوا به كانوا تاركين لطاعة اللَّهِ، فما رعوا تلك الرهبانية حق رعايتها. ودليل ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾.

أي الذين آمنوا منهم بالنبي عليه السلام.

---

(١) في كتبناها.

(٢) الأسراب هي السراديب، والصوامع جمع صومعة وهو ما يتخذه الرهبان للرهبنة.

﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾: أي كافرونَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّـذِينَ آمَنُوا اتَّقُـوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِـرَسُولِـهِ﴾.

يعني آمنوا برسوله، صَدِّقُوا برسُوله.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾.

معناه يؤتكم نصيبين من رحمته، وإنما اشتقاقه في اللغة من الكِفْل، وهو كساء يجعله الراكب تحته إذا ارتدف لئلا يسقط، فتَأويله يؤتكم نصيبين يحفظانكم من هلكة الْمَعَاصي.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾.

كما قال عزّ وجلّ: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾(١)

وهذه علامة المؤمنين في القيامة، ودليل ذلك قوله:

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ والمُنَافِقَاتُ للَّذِينَ آمَنُوا انظرونا نقتبس مِنْ نُورِكُمْ﴾.

ويجوز أن يكون والله أعلم: ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾: يجعل لكم سبيلاً واضحاً من الهدى تهتدون به.

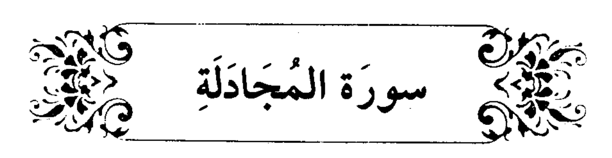
وقوله: ﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ أَلَّا يَقدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ من فضل اللَّه﴾.

المعنى فعل الله بكم ذلك كما فعل بمن آمَن مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لأنْ يَعْلَموا و «لا» مؤكدة. و «أَنْ لاَ يَقْدِرُونَ» «لا» ههنا يدل على الإضمار في «أن» مع تخفيف «أن» المعنى أنهم لا يقدرون، أي لِيَعْلَمَ أهلُ الكتاب أنهم لاَ يَقْدِرُونَ على شيء من فضل الله.

---

(١) سورة التحريم آية ٨.





سورة المُجَادَلَةِ

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

إدغام الدال في السين حسن، لقرب المخرجين. يقرأ «قد سَّمِعَ اللَّهُ» بإدغام الدال في السين حتى لا يلفظ التكلم بدال. وإنما حسن ذلك لأنَّ السين والدال من حروف طرف اللسان فإدغام الدال في السين تقوية للحرف. وإظهار الدال جائز لأنّ موضع الدال - وإن قَرُبَ من موضع السين - فموضع الدال حَيِّزٌ على حدة. ومن موضع الدال الطاء والتاء، هذه الأحرف الثلاثة موضعها واحدٌ. والسين والزَّايُ والصَّادُ من موضع واحدٍ، وهي تسمى حروف الصَّفِير، فلذلك جاز إظهار الدال.

وهذه الآية نزلت بسبب خَوْلَة بنت ثعلبة، وَأَوْس بن الصامت وكانا من الأنصار، قال لها: أنت عليَّ كظهر أُمِّي، وقيل قَالَ لها أنت عليَّ كأمِّي، وكانت هذه الكلمة مما يطلق بها أهل الجاهلية، فرَوَوْا أنها صارت إلى النبي ﷺ فقالت: إنَّ أوْساً تزوَّجَنِي وأنا شَابَّةٌ مرغوب فِيَّ، فلما خلا سني ونثَرَتُ بَطني، أي كثر ولدي جعلني عليه كأُمِّه. فروي أن رسول اللّه ﷺ قال لها: ما عندي في أمرك شيءٌ، فشكت إلى اللّه عزّ وجلّ وقالت: اللهم إني أشكو إليك. وروي أيضاً أنها قالت للنبي عليه السلام فيما قالت: إن لي صبية صِغَاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتهم إليَّ جاعوا، فأنزل اللّه

ـعزّ وجلّ ـ كفارة الظهار،وفي هذا دَليل أنه لا يكون ما يطلق به الجاهلية طلاقاً إلّا أن يأتي الإسلام بذلك نحو ما قالوا في خليَّة وبَرِيَّـة وحبلك على غاربـك. وأصـل قـولهم: أنْتِ طَـالِقٌ لَمَّا أتـى الإسـلام بحكم فيـه مضى على حكم الإسلام.

وقوله:﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُن أُمَّهَاتِهِمْ﴾.

المعنى ما اللواتي يجعلن من الزوجات كالأمهات بأُمَّهَاتٍ.

﴿إنْ أُمَّهَاتُهُمْ إلَّا اللَّائي وَلَدْنَهُمْ﴾.

المعنى ما أمهاتهم إلا اللائي وَلَدْنَهُمْ، فـذكر اللَّه ـ عـزّ وجلّ ـ الأُمَّهـاتِ في موضع آخر فقال:﴿وأُمَّهاتُكم اللاتِي أرْضَعْنَكُمْ﴾، فـأعلم اللَّه أنَّ المرضِعَـاتِ أمهاتٌ، والمعنى ما أمهاتهم إلا اللائي ولَدْنَهُم، أي الوَالِـداتُ والمرضِعَـاتُ. فلا تكن الزوجات كهؤلاء، فأعلم اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ أن ذلك منكر وباطل فقال:

﴿وَإنَّهُم لَيَقُولُونَ مُنْكَـراً مِنَ القَوْلِ وَزُوراً وَإنَّ اللَّهَ لَعَفُـوٌّ غَفُورٌ﴾.

عفـا عنهم وغفر لهم بجعله الكفـارة عليهم. و ﴿الَّذِين﴾ في مَـوْضِـع رَفْـعٍ بالابتداء، وخبره ﴿مَا هُنَّ أمَّهَاتِهِمْ﴾، وأمهاتهم في موضع نصب على خبر ما، المعنى ليس هن بأُمَّهاتِهِمْ.

وقوله :﴿والذين يُظَاهِرُون. . .﴾ الآية.

﴿الذين﴾ رفع بالابتداء، وخبرهم فعلهم تَحْرِيـرُ رَقَبَةٍ، ولم يـذكر «عَلَيْهم» لأن في الكلام دليلاً عليه، وإن شئت أضمرت فكفارتهم تحريـرُ رَقَبَةٍ.

﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يَتَمَاسَّا﴾.

فاختلف أهل العلم فقال بعضهم: الكفارة للمسيس، وقال بعضهم: إذا أراد العوْدَ إليها والإقامة مس أو لم يمس كفَّرَ.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ﴾.

المعنى ذلكم التغليظ في الكفّارة توعظون به، وقال بعض الناس لا تجب الكفارة حتى يقول ثانية: أنت عليَّ كظهر أمي. وهذا قول من لا يدري اللغة، وهو خلاف قول أهل العلم أجمعين. إنما المعنى ثم يعودون العودة التي من أجل القول، فلتلك العودة تلزم الكفارة لا لكل عودَةٍ. وفيها قول آخر للأخفش وهو أن يُجْعَلَ «لما قالوا» من صلة فتحرير رقبة، فالمعنى عنده: والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون فتحرير رقبة لما قالوا، فهذا مذهب حسن أيضاً، والدليل على بطلان هذا القائل أن «ثم يعودون لما قالوا» أن يقول ثانية: أنت عليَّ كظهر أمي - قول جميع أهل العلم ومتابعته هو إياهم: ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا﴾[1] فأجمعوا أنه ليس «فَإِنْ فَاءُوا» فإن حَلَفُوا ثانية، ومعنى فاءوا في اللغة وعادوا معنى واحد.

وقوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾.

كناية عن الجماع، ودليل ذلك قوله: ﴿وإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أن تَمَسُّوهُنَّ﴾[2].

فالمعنى من قبل أن تدخلوا بِهِنَّ.

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾.

المعنى فمن لم يجد الرقبة فكفارته صيام شهرين متتابعين، وإن شئت فعليه صيام شهرين متتابعين، ولو قرئت فَصِيَامٌ شهرين جَازَ كما قال الله - عزّ وجلّ - ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾. ولا أعلم أحداً قرأ بالتنوين.

وقوله: ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً﴾.

---

(١) سورة البقرة / ٢٢٦.
(٢) سورة البقرة / ٢٣٧.

«من» في موضع رفع على معنى فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ الصِّيام فكفارتُه إطعام سِتِّينَ مِسْكِيناً، وكذلك فإطعامٌ بالتنوين ولا أعلم أَحَداً أقرأ بها.

وقوله: ﴿ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه﴾.

﴿ذَلِكَ﴾ في مَوْضِع رَفْعٍ، المعنى الفرض ذَلِكَ الَّذِي وَصَفْنَا، ومعنى لتؤمنوا باللَّه ورسوله، أي لتُصَدِّقُوا ما أتى به رسول اللَّه، ولِتُصَدِّقوا أن اللَّه أمرنا به.

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾.

أي تلك التي وَصَفنا في الظهار والكفارة حدود اللَّه.

﴿وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي لمن لم يصدق بها، وأليم مؤلم.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَه كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

معنى ﴿كُبِتُوا﴾ أُذِلُّوا وأُخْزُوا بالعذاب وبأن غُلِبُوا، كما نزل بمن قَبلَهُم مِمَّنْ حَادَّ اللَّه ومَعنى ويُحادّونَ اللَّه ويشاقون اللَّه أي هم في غير الحَدِّ الذي[1] يكون فيه أولياء اللَّه، وكذلك يُشَاقُّون يكونون في الشق الذي فيه أعداء اللَّه.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بمعنى قوله: ﴿ولِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جميعاً﴾، أي يبعثهم مجتمعين في حال واحدة.

﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾.

أي يخبرهم بذلك ليعلموا وجوب الحجة عليهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ﴾.

---

(١) في الأصل التِي.

أي يعلم كل ما في السموات وكل ما في الأرض مما ظهر للعباد ومما بطن.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَايَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾.

أي ما يكون من خَلْوَةِ ثلاثةٍ يسرون شيئاً وَيتناجون به إلا وهو رابعهم عالم به، وهو في كل مكانٍ، أي بالعلم، ونجوى مشتق من النجوة وهو ما ارتفع وَتَنَحَّى تقول: فلان من هذا المكان بنجوةٍ إذا كانت ناحية[٢] منه فمعنى تناجون يتخالون بما يريدونَ. وذكر اللَّه هذه الآية لأن المنافقين واليهودَ كانوا يتناجَوْنَ، فيوهمونَ المسلمين أنهم يتناجون فيما يسوءهم ويؤذيهم فيحزنون لذلك، فنهى اللَّه عزّ وجلّ - عن تلك النجوى فعاد المنافقون واليهودُ إلى ذلك فأعلم اللَّه -عزّ وجلّ - النبي ﷺ أنهم قد عادوا في مثل تلك النجوى بعينها فقال:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْه، ويتناجَوْنَ بالإثم والعُدْوان وَمَعْصِية الرَّسُولِ﴾.

أي يوصي بعضهم بعضاً بمعصية الرسول.

﴿وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ، وَيَقُولُون فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بما نَقُولُ﴾.

أي هَلاَّ يعذِّبُنا اللَّه بما نقول، وكانوا إذا أتوا النبي ﷺ قالوا: السام عليكم، والسام: الموت، فقالوا: لم لا ينزل بنا العذاب إذا قلنا للنبي - عليه السلام - هذا القول، واللَّه - عزّ وجلّ - وَعدهم بعذاب الآخرة وبالخزي في الدنيا، وبإظهار الإسلام وأَمْرِ النبي ﷺ وغلَبَةِ حِزْبه، فقال: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا﴾، وقال: ﴿كُبتُوا كما كُبِتَ الذين مَنْ قَبْلِهِمْ﴾، وقال: ﴿أَلاَ أَنَ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الغَالِبُونَ﴾.

فصدق وَعْدَهُ ونصر جُنْدَهُ وأَظْهَرَ دِينَهُ وكبت عَدُوَّهُ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلاَ تَتَنَاجَوْا بالإِثم ِ وَالعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وتناجَّوْا بالبِرِّ والتَّقْوَىَ﴾.

أي إذا تخالَيْتُمْ لِلسِّر فلا تخالـوا إلاَّ بالبَـرِّ والتقوى، ولا تكـونوا كـاليهود والمنافقين. وفي تناجوا ثلاثة أَوجهٍ، فلا تتناجَوْا بتاءين ظاهرتين، وبتـاء واحدة مدغمة مشـدَّدَةٍ: فلا تَنَـاجَوْا. وإنمـا أدْغمت التاءان لأنهمـا حرفـان من مخرج واحد مُتحرّكان وقبلهما ألف، والألف قد يكون بعدها الـدغم نحو دَابَّـةٍ وَرَادٍّ، ويجـوز الإِظهـار لأن التـاءين في أول الكلمـة وأن «لا» كلمـة على حـالهـا، و «تتناجوا» كلمة أخرى، فلم يكن هذا البناء لآزِمـاً فلذلك كـان الإظهار أجـود. ويجوز الإدغام، ويجوز حَذْفُ التاء لاجتماع التاءين، يحكى عن العرب «تبين هذه الخصلة، وتتبيَّن هذه الخَصْلَةُ، وفي القـرآن لعلكم تَذَكَّـرُون، وَتَتَذَكَّـرُونَ وتـذكـرون واحـدة، ولا أعلم أحـداً قرأ «ولا تنـاجوا» بتـاء واحدة ولكن تقـرأ «فَلاَ تَنْتَجُوا» أي لا تفتعلوا من النجوى.

وقوله:﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

أي النجوى بالإِثْم ِ والعُـدْوَانِ مِنَ الشَّيطَانِ ليحـزن الذين آمنـوا، ويجوز لِيُحْـزِنَ الذين آمنـوا ـ بضم الياء وكسر الزاي ـ. العـرب تقول: حـزنني الأمر وأحزنني.

﴿وَلَيْسَ بضَارِّهِمْ شَيْئاً﴾.

أي ليس يضر التناجي المؤمنين شيئـاً، ويجوز أن يكـون وليس بضارهم الشيطان شيئاً.

وقـولـه :﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّه﴾، أي لا يضـرهم شيء إلا مـا أراد اللَّه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّل ِ المُؤْمِنُونَ﴾.

أي يكلون أمرهم إلى اللَّه ويستعيذون به من الشيطان الرجيم.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الذين آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تفسَّحُوا فِي المَجْلِسِ﴾.

ويقرأ ﴿في المَجَالِس﴾ وتقرأ «تَفَاسَحُوا».

وجاء في التفسير أن المجلس ههنا يعنى به مجلس النبي ﷺ وقيل في المجالس مجالس الحرب مثل قوله تعالى: ﴿مقاعد للقتال﴾، فأمَّا مَا أمِرُوا به في مجلس النبي عليه السلام فقيل إن الآية نزلت بسبب عبد الله بن شَمَّاسٍ وكان من أهل الصَّفَّةِ، وكان من يجلس في مجلس النبي ﷺ من ذوي الغِنَى والشرف كأنهم لَا يُوَسِّعُون لِمَنْ هُو دُونَهُمْ، فأمر اللَّه المؤمنين بالتواضع وأن يفسحوا في المجلس لمن أرادَ النبي ﷺ ليتساوى الناس بالأخذِ بالحظ منه.

﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾.

أي إذا قيل انهضوا - قوموا - فانهضوا. وهذا كما قال: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذٰلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحي مِنْكُمْ﴾[1]، وَقِيلَ أَيْضاً: ﴿وَإِذَا قِيل انْشُزُوا فانْشُزوا﴾ أي إذا قيل قوموا لصلاة أو قضاء حَقٍّ أو شهادَةٍ فانشُزُوا، ويجوز «انشُروا فانْشُرْوا، جميعاً يقرأ بهما ويرويان عن العرب نشر ينشرُ وينْشِزُ.

وقوله: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوْتُوا العِلْمَ دَرَجاتٍ ﴾.

والدليل على فضل أهل العلم ما روي عن النبي ﷺ أنه قال: عبادةُ العالم يَوْماً واحِداً تعدِلُ عِبَادَةَ العابد الجاهل أربعين سنةً.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾.

أي إذا خاليتم الرسول بالسر فقدموا قبل ذلك صدقة وافعلوا ذلك.

وقيل إن سبب ذلك أن الأغنياء كانوا يستخلون النبي ﷺ فَيُسَارُّونَه بما يريدونَ، وكان الفقراء لا يتمكنون من النبي ﷺ تمكنهم ففرض عليهم

---

(١) سورة الأحزاب /٥٣.

الصدقة قبل النجوى ليمتنعوا من ذلك، فروي أن عَلِيًّا رحمه اللَّه أراد أن يناجِيَ النبي [ﷺ] فتصدق بدينار باعه بعشرة دَرَاهم قبل مُنَاجَاتِه، ثم نسخ ذلك الزكاة فقال - عزّ وجل:

﴿أَأَشفَقْتُمْ أن تُقَدِّمُوا بين يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

أي أطيعوه في كل أَمْرٍ، ودخل في ذلك التَّفَسُّحُ في المجْلِسِ لتَقَارُب النَّاسِ في الدُّنوِ من النبي عليه السلام.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ منكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِب وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

هؤلاء المنافقون تولَّوْا اليهودَ، ومعنى قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الكَذِبِ﴾ يَدُلُّ على تفسيره قوله: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إنهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنكم وَلٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾(١) وقوله: ﴿يَومَ يَبْعَثُهُمُ اللَّه جميعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كما يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ يدل عليه قوله: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إلَّا أَنْ قَالُوا واللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ. انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا على أَنْفُسِهِمْ﴾(٢).

وقوله: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

معنى «استحوذ» في اللغة استولى، يقال: حُذْتُ الإِبِلَ وَحُزْتُهَا إذا استوليت عليها وجمعتها، وهذا مما خرج على أصله ومثله في الكلام أَجْوَدْتُ وأَطيبتُ، والأكثر أجدتُ وأَطَبتُ، إلَّا أنَّ استحوذ جاء على الأصل، لأنه لم يُقَلْ عَلَى حَاذَ لإنه إنما بني على استفعل في أول وهلة كما بني افتقر على افتعل وهو من الفقر ولم يُقَلْ منه فَقُرَ ولا استعمل بغير زيادة، ولم يقل: حاذ عليهم الشيطان ولو جاء استحاذ كان صواباً، ولكن استحوذ ههنا أجود لأنَ

---

(١) سورة التوبة /٥٦.

(٢) سورة الأنعام /٢٣، ٢٤.

الفعل في ذا المعنى لم يستعمل إلا بزيادة.

وقوله عزّ وجلّ :﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾.

قال أبو عبيدة: حزب الشيطان جند الشَيطان، والأصل في اللغة أن الحزب الجمع والجماعة، يقال منه: قد تحزب القوم إذا صاروا فِرَقاً، جماعةً كذا وجماعة كذا.

وقوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾.

قد فسرنا يحادون ومعناه يشاقُّونَ أي يصيرون في غير حَدِّ أولياء اللَّه، وفي غير شِقِّهِمْ،﴿أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾، أي أُولَئِكَ في المغلوبين.

وقوله:﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾.

أي قضى اللَّه قضاء ثابتاً، ومعنى غلبة الرُّسُل عَلَى نَوعين، مَنْ بُعِثَ بالحرب فغالب في الحربْ، ومن بعث منهم بغير حرب فهُو غالب بالحجة.

﴿إِنَّ اللَّه قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

أي مانع حزبه من أن يُذَلَّ لأنه قال جلّ وعلاّ:﴿أولئك في الأَذَلِّينَ﴾، والعزيز الذي لا يغلب وَلاَ يُقْهَرُ.

وقوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ إلى آخر القصة.

جاء في التفسير أن هذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بَلْتَعة، وكان النبي ﷺ عزم على قصد أهل مكة فكتب حاطب يشرح لهم القصَّةَ ويُنْذِرَهُمْ ليحرَّزوا فنزل الوحي على رسول اللَّه [ﷺ] فذكر حاطبُ لَمَّا وُبخَ بذلك أن له بمكة أهلاً وأنه لَيس لَهُ أَحَدٌ يكنفهم، وإنما فَعَلَ ذلك ليحاط أهله، فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن إيمان المؤمِنِ يَفْسُدُ بِمَوَدَّةِ الكفار بالمعاونة على المؤمنين، وأعلم اللَّه تعالى أنه من كان مؤمناً باللَّه واليوم الآخر لا يوالي مَنْ كَفَر، ولو كان أباه أو أُمَّهُ أو أخاه أَوْ أَحَداً مِنْ عَشِيرته.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾.

يعني الذين لا يوادّون من حَادَ اللَّهَ ورَسوله، ويوالون المؤمنين.

وقوله: ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

أي قواهم بنور الإيمانَ وبإحياء الإيمان، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِي به مَنْ نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

فكذلك: ﴿وأَيَّدهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾.

فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أن ذلك يوصلهم إلى الجنَّة فقال:

﴿وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فيها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ورَضُوا عنه. أُولئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾.

أي الذين لَا يُوادُّونَ من حاد اللَّه ورسوله ومن المؤمنين، وحزب اللَّه أي الداخلون[1] في الجمع الذي اصطفاه اللَّه وارتضاه.

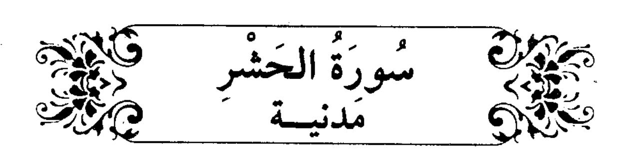
وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ حزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾.

«أَلَا» كلمة تنبيه، وتوكيد للقصَّةِ، والمفلحون المدركون البقاء في النعيم الدائم.

---

(١) سورة الشورى ٥٢.

(٢) في الأصل: الداخلين.



سُورَةُ الحَشْرِ
مَدنيــة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

افتتح اللّه السورة بذكر تقديسه وأن له أشياء تُبـرِّئُهُ من السَّـوءِ ومثل ذلـك قوله:﴿وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِه﴾.

وقـوله تعـالى:﴿هُوَ الَّـذِي أَخْرَجَ الَّـذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْـلِ الكِتَابِ﴾ـ الآية هَؤُلاَءِ بنـو النضير، كـان لهم عز ومنعـة مِنَ اليهود، فـظن النـاس أنهم لعـزهم وَمَنْعَتِهِمْ لا يخـرجون من ديـارِهِمْ، وظنَّ بنو النضيـر أنَّ حُصُـونَهُمْ تمنعهم من اللّه، أي من أمر اللّه ﴿فأتـاهُم اللّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُـوا وَقَـذَفَ في قلوبهم الرعب﴾.

كان بنو النضير لما دخل النبي عليه السـلام المدينـة عاقـدوه ألَّا يكونـوا عليـه ولا معه، فلمـا كان يـوم أحـد وظهـر المشـركـون على المسلمين نكثـوا ودخلهم الريب، وكان كعب بن الأشرف رئيساً لهم فخـرج في ستين رَجُلاً إلى مكة وعاقـد المشركين على التـظاهر على النبي عليـه السلام، فـأطلع اللّه نبيه عليه السلام على ذلك، فلما صار إلى المدينـة وَجَّهَ رسـول اللّه ﷺ محمد بن مسلمـة لِيَقْتُلَه، وكان محمـد بن مَسْلَمَـةَ رضيعـاً لكعب، فـاستَأْذَنَ محمـد بن مسلمة رسول اللّه [ﷺ] في أن ينال منه ليعتر كعب بن الأشرف، فجاءَهُ محمد

ومعه جماعة فاستنزله من منزله وأوهمه أنه قَدْ حُمِلَ عَلَيْهِ في أخذ الصَّدقَةِ مِنهُ فلما نزل أخذ محمد بن مَسْلَمَةً بناصيته وكَبَّر، فخرج أصحابه فقتلوه في مكانِه، وغَدَا رسول اللّه ﷺ غازياً بني النَّضِير فأناخ عليهم، وقيل إنه غزاهم على حمار مخطومٍ بليف، فكان المؤمِنُونَ يخربون من منازل بني النضير ليكون لهم أمكنة للقتال، وكان بنو النضير يخربون منازلهم ليَسُدُّوا بها أبْوابَ أزقتهم لِئَلاَّ يُبْقَى علي المؤمنين، فقذف اللّهُ في قلوبهم الرَّعْبَ ﴿يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومعنى إخرابها بأيدي المؤمنين أنهم عَرَّضُوهَا لِذَلك. ففارقوا رسول اللّه ﷺ على الجلاء من منازلهم وأن يحملوا ما استقلت به إِبِلُهُمْ ما خلا الفضة والذهب، فَجلوا إلى الشام وطائفة منهم جلت إلى خيبر وطائفة إلى الحيرة، وذلك قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكتابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الحَشْرِ﴾.

وهو أول حَشْرٍ حُشِرَ إلى الشَّامِ ـ ثم يحشر الخلق يوم القيامةِ إلى الشّامِ ولذلك قيل لأول الحشر. فجميع اليهود والنصارى يُجْلَوْنَ من جزيرة العَرَبِ.

وروي عن عمرَ أن النبي ﷺ قال: لأُخْرِجَنَّ اليهُودَ مِنْ جَزِيرَةِ العَرَبِ. قال الخليل: جزيرة العرب مَعْدِنُها وَمَسْكَنُها، وإنما قيل لها جَزِيرَةُ العَرَبِ لأن بحر الحبسِ وبحر فارس ودجلة والفرات قد أحاطت بها، فَهِيَ أَرْضُها ومَعْدِنُها. قال أبو عبيدة: جزيرة العرب من جَفْر أبي موسى إلى اليَمَنِ في الطول ومن رمل يَبْرِينَ إلى منقطع السماوة في العرض. وقال الأَصْمَعِيُّ إلى أقصى عَدَن أبْيَن إلى أطراف اليمن حتى تبلغ أطرافَ بَوادي الشّام.

وقوله تعالى:﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾.

أي ما قطعتم من نخلة ـ والنخل كله ما عدا البرني والعجوة يسميه أهل المدينة الألْوَانُ، وأصل لينه لِوْنَه فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فقيل لينة.

فـأنكر بنـو النضير قـطع النخل فـأعلم اللّه ـ عزّ وجـلّ ـ أن ذلك بـإذنه ـ القطع والترك جميعاً.

﴿وليُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾.

بأن يريهم أموالهم يتحكم فيها المسلمون كيف أحبوا.

وقـوله عـزّ وجلّ: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُـولِهِ مِنْهُمْ فَمَـا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾.

يعني ما أفاء اللّه على رسوله من بني النضيـر مما لم يـوجفوا عليـه خيلاً ولا ركـاباً ـ والـركاب الإبـلُ والوَجِيفُ دون التقـريب من السَّير، يقـال: وجف الفرس وأوجَفته، والمعنى أنه لا شيء لكم فيه إنما هو لرسول اللّه ﷺ خـالصاً يعمل فيه ما أحب، وكذلك كل ما فتح على الأئمـة مما لم يـوجف المسلمون عليه خيلاً ولا ركاباً.

وقوله: ﴿مَا أَفَاء اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ ولِلرَّسُول﴾.

معنى فلِلَّهِ أي له أن يأمركم فيه بما أحَبَّ: ﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾.

يعني ذوي قرابات النبي ﷺ لأنهم قد منعوا الصدقة فَجُعِـلَ لهم حَقٌّ في الفيء.

﴿وَالْيَتَامَى والمَسَاكِينِ وابْنِ السَّبِيلِ كَيْ يَكُونَ دُوَلَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾.

بَيَّنَ من المَسَـاكِينُ الذين لهم الحقُّ فقـال: ﴿الَّذِينَ أُخْـرِجُـوا مِنْ دِيَـارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾.

وقوله: ﴿والذين تَبَوَّأُوا الدَّارَ ﴾.

يعني الأنصار.

﴿والإيمَـانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾، يعني المهاجرين.

﴿يُحِبُّـونَ مَنْ هَـاجَـرَ إِلَيْهِمْ﴾، أي يحب الأنْصَارُ المُؤْمِنِينَ.

﴿وَلَايَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾.

أي لا يجد الأنصار في صدورهم حاجة ممَّا يُعْطَى المهاجرونَ.

وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

قال أبو إسحاق: ما أفاء اللَّه على رسوله من أهل القُرَى نحـو خيبر. ومـا أشْبَهَهَا، فالأمر عند أهل الحجاز في قسمة الفيء أنه يُفَـرَّقُ في هذه الأصْنَـافِ المسمَّاة على قَدْرِ ما يراه الإمام على التحري للصلاح في ذلك إن رأى الإمـام ذلك، وإن رأى أنَّ صِنفاً من الأصناف يحتاج فيـه إلى جميع الفيء صـرف فيه أو في هذه الأصنافِ عَلى قَدْرِ مَا يَرَى.

قوله: ﴿كَيْلَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾.

يقرأ بضم الدال وفتحهـا ـ فالـدُّولَةُ اسم الشيء الـذي يتداول، والـدَّوْلَةُ الفِعْلُ والانتقال من حـال إلى حالٍ. وقـرئت أيضاً. دُولَـةٌ ـ بالـرفع ـ فمن قـرأ «كَيْلَا يَكُونَ دُولَةٌ» فعلى أن يكون على مذهب التمام، ويجوز أن يكون «دولـة» اسمَ يكـونُ وخَبَرُهـا «بين الأغنياء»، والأكثـر ﴿كيـلا يكـونَ دولـةً بَيْنَ الأَغْنِيَـاءِ مِنْكُمْ﴾ على معنى كيلا يكون الفيء دولةٍ، أي متداولاً.

وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾.

أي من الفيء.

﴿وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ﴾ أي عن أخذه ﴿فَانْتَهُوا﴾.

قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يقولون رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا﴾.

أي مـا أفـاء اللَّه على رسـولـه من أهـل القُـرى فلله ولـرسـولـه ولهؤلاء

المسلمين وللذين يجيئون من بعدهم إلى يوم القيامة، ما أقاموا على محبة أصحاب رسول اللَّه عليه السلام.

ودليل ذلك قوله: ﴿والذين جاءوا من بعدهم﴾ في حال قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ. .﴾. الآية.

فمن يترحم على أصحاب رسول اللَّه ولم يكن في قلبه غِلٌّ لهم أجمعين فله حظٌّ فِي فَيْءِ المسلمين، ومن شَتَمُهُمْ ولم يترحم عَلَيهم أو كان في قَلْبِهِ غِلٌّ لَهُمْ فما جعل اللَّه حقاً في سبي المسلمين.

فهذا نصٌّ فِي الكِتَابِ بَيِّنٌ.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ﴾.

هُمْ إِخْوَانُهُمْ يَضُمُّهُمْ الكُفْرُ.

﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أحداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ، واللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُم لَكَاذِبُونَ﴾.

وقد بَانَ ذلك في أمر بني النَّضِير الذين عاقدهم المنافقون لأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم فلم يخرج معهم المنافقون، وقُوتِلُوا فلم ينصروهم. فأظهر اللَّه عزّ وجلّ كَذِبَهُمْ.

فإن قال قائل: ما وجه قوله: ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾.

قال أهل اللغة في هذا قولين: قالوا معناه أنهم لو تَعَاطَوْا نَصْرَهُمْ، أي ولئن نَصَرهُم مَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ لَيُوَلُّنَ الأدبار.

وقوله: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرىً مُحَصَّنَةٍ أو مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾.

وقـرئت أو من وراء جدار ـ على الـوَاحِد ـ وقـرئت بتسكين الدال. فمن قـرأ جُدُر فهـو جمع جـدار وجُدُرٍ مثـل حمار وَحُمُـرٍ، ومن قـرأ بتسكين الـدال حذف الضمة لِثِقَلِهَا كما قالوا صُحْفٌ وَصُحُفٌ. ومن قـرأ جِدَار فهـو الوَاحِـدُ. فأعلم اللَّه عزّ وجلّ أنهم إذا اجتمعوا على قتالِكم لما قذف اللَّه في قلوبهم مِنَ الرُّعبِ لا يبرزون لحربكم إنما يقاتلون متحصنين بالقُرى والجُدْرانِ.

وقوله:﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾.

أي مختلفون لا تستوي قلوبهم ولا يتعـاونون بِنيــات مُجْتَمِعَةَ لأن اللَّه ـ ـعزّ وجلّ ـ ناصر حزبه وخاذِلُ أعدائِه.

وقـوله: ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَـرِيباً ذَاقُـوا وَبَالَ أَمْـرِهِمْ وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

مثل ما نال أهل بَدْرٍ.

وقوله عزّ وجلّ :﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّـا كَفَرَ قَـالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ﴾.

أي مثل المنافقين في غـرورهم لبني النَّضِير وَقَـوْلِهِم لَهُمْ: لَئن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم للنصرنكم ـ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمـا كفر قـال إني بريء منـك، وهو ـ واللَّه أعلم ـ يـدل عليـه قولـه: ﴿وإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْـطَانُ أَعْمَـالَهُمْ وقـال لا غَـالِبَ لَكُمُ اليومَ مِنَ الناسِ وإني جَارٌ لَكَمْ، فلما تَرَاءَتِ الفِئَتَانِ نَكَصَ على عَقِبَيْهِ، وقال إني بَرِيءٌ منكم﴾[1].

فكذلك المنافقون، لَمَّا نَزَلَ ببني النَّضِيرِ ما نزل تبرأوا منهم.

وقـد جاء في التَّفسير أن عابـداً كان يقـال له بَـرْصِيصَا كـان يُدَاوِي مِنَ الجُنُونِ فداوى امرأة فأعَجَبته فأغـواه الشيطان حتى وَقَـعَ بها ثم قتلهـا ـ ثم تبرأ

---

(١) سورة الأنفال /٤٨.

منه الشيطان، وفي الحديث طُولٌ ولكن هذا معناه.

وقوله: ﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا﴾.

وقرأ عبد اللّه بن مسعود أنهما في النـار خَالِـدَان فِيهَا، وَهُـوَ في العربيَّـةِ جائزٌ إلّا أنـه خلاف المصحف، فمن قَـالَ خَالِـدَيْن فيها فنصب على الحـال، ومن قرأ خالدان فهو خبـر إن. والقراءة فَكَـانَ عَاقِبَتُهُمَـا على اسم كانَ ويكـون خبر كانَ أنهما في النار على معنى فكان عاقبتهما كَوْنَهُمـا في النَّارِ ويقـرأ فكان عاقِبَتُهُمَا والنصب أحسَنُ. ويكون اسم كان أَنَّهُمَا.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾.

أي ليوم القيامَةِ، وقُرِّبَ على الناسِ فجعل كأنه يأتي غَداً.

وأصل غَدٍ غَدْوٌ إلا أنه لم يأت في القرآن إلاَّ بحذف الواو، وقد تُكُلِّمَ به بحذف الواو، وجاء في الشِّعْر بإثبات الواوِ وحَذْفِها، قال الشاعر في إثباتها[1]:

وما النَّاس إلا كـالـديـار وأهلهـا   بهـا يـوم حلوهـا وغَـدْواً بَـلاَقِـعُ

وقال آخر[2]:

لا تَقْلُوَاهَـا وادْلُـوَاهَـا دَلْـواً   إن مَـعَ اليَـوَم أخـاه غَـدْواً

وقوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾.

نسوا اللّه تركوا ذكره وما أمرهم به فترك اللّه ذكرهم بالرحمة والتوفيق.

وقوله: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَه خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾.

---

(١) هو لبيد في رثاء أخيه من عينيته التي أولها:

بلينا وما تبلي النجوم الطوالع. وهي في الديوان، وجزء منها به. هذا البيت في ترجمة.

لبيد في مختار الأغاني جـ ٦ / ١٣٩.

(٢) يقال: دلا الناقة يدلوها إذا ساقها برفق ـ وقلاها يقولها ساقها بشده وعنف ـ البيت في اللسان (دلا).

أعلم اللَّه عزّ وجلّ أنِ من شأن القرآن وعَظَمَتِهِ وَبَيانِه أنه لو جُعِلَ في الجبل تمييز كما جعل فيكم وأنزل عليه القرآن لخشع وتصدع من خشية اللَّه ومعنى خشع تطأطأ وخضع، ومعنى تصدَّع تشقَّقَ.

وجائز أن يكون هذا عَلَى المَثَلِ لقوله: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾ كما قَالَ ـ سبحانه ـ :﴿لقد جئتم شيئاً إدًّا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًّا﴾.

وقوله:﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ﴾.

هذا رد على أول السورة، على قوله:﴿سَبَّحَ لِلَّه مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وهو العزيزُ الحكيم﴾. ﴿هو اللَّهُ الذي لا إله إلاّ هو﴾.

قوله: ﴿المَلِكُ القُدُّوسُ﴾.

والقدوس الطاهر ومن هذا قيل: بيت المقدس أي بيت المكان الذي يتطهر فيه من الذُّنُوبِ.

وقوله: ﴿السَّلَامُ﴾.

اسم من أسماء اللَّه عزّ وجلّ، وقيل السلام الذي قد سَلِمَ الخلقُ من ظُلْمِهِ.

﴿المُؤْمِنُ﴾.

الذي وَحَّد نَفْسَهُ بقوله:﴿شَهِدَ اللَّه أنه لا إله إلا هو والملائكة﴾، وقيل المؤمِنُ الذي أمِنَ الخلقُ من ظُلْمِه.

وقوله: ﴿العَزِيزُ﴾.

أي الممتنِعُ الذي لا يغلبه شيء.

﴿المُهَيْمِنُ﴾.

جاء في التفسير أنه الشهيدُ، وجاء في التَّفسِّير أنه الأمين، وزعم بَعْضُ

أهل اللغة أن الهاء بدل من الهمزة وأن أصله المؤيْمِنُ، كما قالوا: إياك وهِيَّاكَ، والتفسير يشهد لهذا القول لأنه جاء أنه الأمِينُ، وجاء أنه الشَّهِيدُ، وتأويل الشهيد الأمين في شهادته.

وقوله: ﴿الجَبَّار﴾.

تأويله الذي جبر الخلق على ما أراده من أمْرِه.

وقوله: ﴿المُتَكَبِّرُ﴾.

الذي تكبر عن ظلم عِبَادِه.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

تأويله تنزيه اللَّه عن شركِهِمْ.

قوله: ﴿هُوَ اللَّهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ﴾.

وقد رويت رواية لا ينبغي أن تُقْرَأ، رويت البارِئُ المصورُ بالنّصب معناه الذي برأ آدم وصَوَّرَهُ.

وقوله: ﴿لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى﴾.

جاء في التفسير أنها تسعة وتِسْعُون اسماً، من أحصاها دَخَل الجَنَّةَ وجاء في التفسير أن اسم اللَّه الأعظم اللَّه، ونحن نبينُ هذه الأسماء واشتقاق ما ينبغي أن يبين منها إن شاء اللَّه.

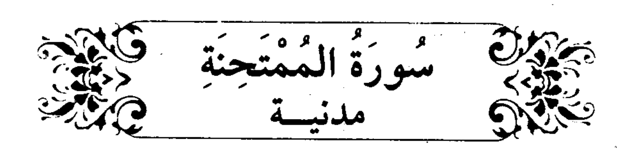
روى أبو هريرة الدوسي عن النبي عليه السلام قال إن للَّه مائة اسم غير واحِدٍ من أحصاها دخل الجنة، وهو اللَّه الواحد الرحمن الرحيم الأحَدُ الصَّمَدُ الفرد السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العَلِيُّ الكبير الغني الكريم الولي الحميد العليم اللطيف السميع البصير الودود الشكور. الظاهر البَاطِنُ الأول الآخر المبدي البديع الملك القدوس الذَّارِئُ الفَاصِلُ الغَفُورُ المجيد الحليم الحفيظ الشهيد الرَّبُّ

القدير التَّوَّاب الحافظ الكفيل القريبُ المجيب العَظيمُ الجليل العَفُوّ الصَّفُوح الحق المبين المعز المذل القوِيُّ الشديد الحنَّان المنَّان الفتّاح الرؤوف القابض الباسط الباعثُ الوَارِث الدَّيَانُ الفاضل الرقيب الحسيب المتين الوكيل الزكي الطاهر المحسن المجمل المبارك السُّبُّوح الحكيم البر الرَزَّاق الهادي المولى النصير الأعلى الأكبر الوهاب الجواد الوفيّ الواسع الخلَّاق الوِتْر.

جاء في التفسير أن اسم اللَّه الأعظم اللَّه، قال سيبويه: سألت الخليل عن هذا الاسم فقال: الأصل فيه إله فأدخلت الألف واللام بدلاً من الهمزة، وقال مرة أُخْرَى: الأصل لَاهْ وأُدْخِلَتِ الألف واللام لَازِمَةً. وأما الرحمن الرحيم فالرحمن اسم اللَّه خاصة لا يقال لغير اللَّه رحمن، ومعناه المبالغ في الرَّحَمَةِ وأرحم الراحمين - وَفَعْلانُ من بناء المُبَالَغَةِ، تقول للشديد الامتلاء ملآنُ وللشديد الشبع شبعَانُ، والرحيم اسم الفاعِلِ من رحم فَهُوَ رَحِيمٌ، وهو أيضاً للمبالغة والأحدُ أصله الوَحَدُ بمعنى الواحد، وهو الواحد الذي ليس كمثله شيء. والصَّمَدُ السيد الذي صَمَدَ له كل شيء، أي قصد قَصْدَهُ، وتأويل صمود كل شيء للَّه أن في كل شيء أثر صنعة اللَّه، السلام الذي سلم الخلق من ظلمه، وقد فَسَّرْنَا المؤمِن المهَيْمِن، وفسرنا الجبار المتكبر. والباريء الخالق، تقول برأ اللَّه الخلق يبرؤهم أي خلقهم، والقيُّوم المُبَالِغُ في القيام بكل ما خَلَقَ، وما أراد، والولي المتولي للمؤمنين اللطيف للخلق من حيث لا يعلمون ولا يقدرون، والوَدُودُ المحب الشديد المحبَّةِ، الشكور الذي يرجع الخيرعنده، الظاهر الباطن الذي يعلم مَا ظَهَرَ وَمَا بَطَن، المبدئ الذي ابتدأ كل شيء من غير شيء، والبديع الذي ابتدع الخلق على غير مثالٍ، القدُّوس قد رويت القَدُّوس بفتح القاف، جاء في التفسير أنه المبارك، ومن ذلك أرض مقدَّسَةٌ مباركة، وقيل الطاهر أيضاً. والمذرئ - مهموز - الذي ذرأ الخلق أي خلقهم، والفاصل الذي فصل بين الحَقِّ والباطل، والغفور الذي

يغفر الذنوب، وتأويل الغفران في اللغة التغطيةُ على الشيء ومن ذلك المِغْفَرُ ما غطِّيَ به الرأس. المجيد الجميل الفعال، والشهيد الذي لا يغيب عنه شيء، والرَّبُّ مالك كل شيء والصفوح المتجاوز عَنِ الذُّنُوبِ يصفح عنها، الحَنَّانُ ذو الرحمة والتعطف المَنَّان الكثير المَنِّ على عباده بمُظَاهرة النعم، الفتاح الحاكم، الدَّيَّانُ المجازي، الرقيب الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء، المتين الشديد القوة على أَمْرِه، الوكيل الذي يوكل بالقيام بجميع ما خلق، والزكي الكثير الخير السُبُّوح الذي بين عن كل سِرٍّ، الحليم الذي لا يعجل بالعقوبة، وكان الحلم على هذا تأخير العقوبة.





سُورَةُ المُمْتَحِنَة
مدنيــة

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُـوا لَا تَتَّخِذُوا عَـدُوِّي وَعَدُوَكُمْ أَوْلِيَـاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بالمودَّةِ﴾.

قيـل المعنى تُلقُـونَ إليهم المـودَّةَ، والمعنى - واللَّه أعلم - يلقـون إليهم أخبار النبي عليه السلام وسِرَّهُ بالمودَّةِ التي بينكُمْ وبينهم، ودليـل هذا القـول: تُسِرَّون إِلَيْهِمْ ما يستره النبي عليه السلام بالمودَّة.

ويروى أنها نـزلت في حاطب بن أبي بلتعـة، وكان كتب إلى أهـل مكة يتنصَّحُ لهم، فكتب إليهم أن رسول اللَّه يريد أن يغزوكم فخذوا حذركم فأطلع اللَّه نبيه على ذلك، وكان كتب إليهم كتاباً ووجه بـه مع امـرأةٍ يقال إنهـا كانت مولاة بني هاشم، فوجه رسول اللَّه ﷺ بعَلِيٍّ والزبَيْـرِ خلفَها فلحقـاها فسـألاها عن الكتاب فأنكرت، ففتشا مـا معها فلم يجـدا شيئاً، فقـال علي رضوان اللَّه عليـه: إن رسول اللَّه ﷺ لم يَكـذِبْنا فـأقسم علي عليهـا لتخـرجن الكتـابَ أو ليضربنها بالسيف، فقالت لهما: وَلِّيَا وُجُوهكما وأخرجت الكتابَ من قـرن من قـرون شعرهـا، فجاء بـالكتاب إلى النبي عليـه السلام فعـرضـه على حـاطب فاعترف به وقال إن لي بمكـة أهلاً ومـالاً فأردت أنِ أتقـرب مِنْهُـمْ، ولَنْ يرد اللَّه بأسه عنهم، فأنزل اللَّه عزّ وجلّ:﴿يا أَيُّها الذين آمنوا لا تتخـذوا عدوي وعدوكم﴾ الآية إلى آخر القصة.

وأما قوله: ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً في سَبِيلِي وابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾.

هـذا شرط جـوابـه مُتَقَـدِّمٌ. المعنى إن كنتم خـرجتم جهـاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخـذوا عدوي وعـدوكم أولياء، وجهـاداً وابتغاء منصـوبان لأنهمـا مفعولان لهمـا. المعنى إن كنتم خرجتم لجهـاد وابتغاء مـرضـاتي فـلا تتخـذوا عدوي وعـدوكم أوليـاء. ثم أعلمهم تعـالى أنـه ليس ينفعهم التقـرب إليهم بنَقْل أخبار النبي عليه السلام فقال:

﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾.

معنى يثقفوكم يلقَوْكم.

﴿وَيَبْسطُو إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بالسُّوءِ﴾.

ثم أعلمهم أن أهلهم وأولاَدَهم لا ينفعُـونهم شيئاً في القيـامةِ فقـال: ﴿لن تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ يَفْصِلُ بيْنَكُمْ﴾..

قرئت «يفصل» على أربعـة أوجـه. يَفْصِـلُ بينَكُمْ على مَعْنَى يفصـل اللَّه بينكم، ويُفْصَـــلُ بينكم على مــا لـم يسمَّ فــاعله، والمعنـى راجــع إلى الـلَّه عزّ وجلّ، ويُفَصَّلَ بَيْنَكُمْ - بتشديـد الصاد وفتحهـا وضم الياء على مـا لـم يسم فـاعله، وقرئت يفصِّـلْ بينكم، ويجوز نَفْصِّـل بينكم ونُفَصِّل بينكم - بـالنـون، فهذه سِتَّةُ أوجُهٍ.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾.

ويجوز أسوة بضم الهَمْزَةِ.

﴿في إِبْراهِيمَ والَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاءَ مِنْكُمْ ومِمَّا تَعْبُدون مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

فأعلم اللَّه - عزّ وجلّ - أن أصحاب إبراهيم صلوات اللَّه عليه تَبَـرَّأُوا من قومهم وعَادَوْهُمْ، فأمِرَ أصحاب النبي عليه السلام أن يتأسَّوْا بهم وبقولهم.

وقوله: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾.

فإن ذلك عن موعدة وعدها إياه، فلما تبين له إقامَتُهُ على الكفر تبرأ منه.

فأما ما يجوز في «بُـرَءآءُ منكم» فأربعة أوجه، أجودُها بُـرَءَاءُ على فعلاء، مثل ظريف وظرفاء، وشريك وشركاء، وكذلك بري. وبُرَءَاءُ، ويجوز بُرَاء منكم وبِرَآءُ منكم جميعاً بالمَدِّ فمن قال بِراء بالمد فهو بمنزلة ظريف وظراف، ومن قال بُرَاءُ بالضم - أبْدَلَ الضَمَ من الكسرة كما قالوا رُخْلَةَ ورِخَال[1] وقال بعضهم: رُخَال بضم الراء وقالوا: شاة رُبًّى وغَنَمٌ رُبَابٌ ورِبَابٌ - بضم الراء وكسرها - وهي الحديثة النتاج، أي الحديثة الولادة.

ويجوز بَرَاء منكم بفتح الباء، لأن العَرَبَ تقول: أنا البراء مِنْكَ ويقول الاثنان والثلاثة: نحن البراء منك، وكذلك تقول المرأةُ: أنا البراء منك. فلا تقرأ من هذه الأوجه إلا بما قرأ به من تُوْجَد عنه القِراءةُ.

وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

معناه لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على حق فَيَفْتَتِنُوا بذَلِكَ.

وقوله: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾.

«عسى» واجبة من اللَّه. جاء في التفسير أنه يعني بهذا أن رسول اللَّه ﷺ تَزَوَّجَ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فهذه هي المودَّة وقيل إنه يعني به من سلم مِنهُمْ فيكون بينكم وبينهم مودَّة.

وقوله: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾.

«أن» في موضع جر بدل من «الَّذِين»، المعنى لا ينهاكم أن تبروا الَّذين لم يقاتلوكم في الدِّينِ، وهذا يدل على أن المعنى: لا ينهاكم اللَّه عن بر الذين

(١) في القاموس: الرِّخل. بالكسر وبهاء وككتف، الأنثى من الضأن ج أرخل ورِخال ويضم.

بينكم وبينهم عَهْدٌ ودليل ذلك قوله: ﴿وتُقْسِطُوا إلَيْهِمْ﴾ أي وتعدلوا فيما بينكم وبينهم، من الوفاء بالعهد، يقال أقسط الرجل فهو مقسط إذا عَدَل، وقسط فهو قاسط إذا جار، وقيل إنه يعني به النساء والصبيانُ.

وقوله: ﴿إنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنْ الَّـذِينَ قَاتَلوكُمْ فِي الـدِّينِ وأَخْرجُـوكُمْ مِنْ دِيَاركُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إخْرَاجِكُم أَنْ تَوَلَّوْهُمْ﴾.

﴿ظاهروا عَلَى إخرَاجِكم﴾ أي عاونوا على إخراجكم، ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمُ﴾ «أن» في موضع جر أيضاً على البدل، المعنى إنَّمَا ينهاكم اللَّه عن أن تتولوا هؤلاء الـذين قاتلوكم في الـدين لأن مُكَاتَبَتُهم بـإظهـار مـا أسـره النبي عليـه السـلام مُوالاةٌ.

وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّها الذين آمنوا إذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ﴾.

موضع «مهاجرات» نصب على الحال، وقيل المؤمنات وإن لم يُعْرَفْنَ بالإيمانِ وَقَبْلَ أن يَصِلُوا إلى النبي عليه السلام، وإنما سمين بذلك لأن تقديرهُنَّ الإيمان.

﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾.

معنـاه اختبروهُنَّ. وهـذه نـزلت بسبب عهـد الحـديبيـة الـذي كـان بين النبي ﷺ وبين مَنْ عَـاهَدَهُ بمكـة من خـزاعـة وغيـرهم، وكـان عليـه السـلام عاهدهم على أنـه من جَاءَ منهم إليـه ردَّه إليهم، ومن صار من عنـده إلَيْهِمْ لم يردوه إليه، فأعلم اللَّه ـ جل وعزَّ ـ أَنَّ من أتى من المؤمِنَاتِ ممن يريد الدخول في الإسـلام فلا يـرجعن إلى الكُفَّـار، فـذلـك قـولـه: ﴿فَامْتَحِنُوهُـنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾.

فأعلم عزّ وجلّ ـ أن إظهار الإيمَانِ يدخُلُ في جملة الإسلام، واللَّه عالم

بما في القلوب، وكانت المحنة إذَا جَاءَتِ المرْأةُ المهاجِرَةُ أن تحلَّفَ باللَّه أنه ما جاء بها غَيرَةٌ على زوجها، ولا جاءت إلا مُحِبَّةً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وللرَّغْبَةِ في الإسلام فَهذِهِ المِحنَةُ.

وقوله تعالى: ﴿فَلاَ تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الكُفَّارِ﴾.

أي لا تردوهُنَّ، يقال: رجع فلانٌ ورجعته.

وقوله: ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾.

أي إنَّ المؤمنات لا يَحْلِلْنَ للكُفَّارَ ولا الكفارُ يحلون للمؤمنات وآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا.

فكان الزوج يُعْطَى مَهْرَ امرأته التي آمنت، وكان يُؤْخَذُ مِنْهُمْ مَهْرُ من مضى إليهم من نساء المؤمنين مِمَّن تلحق بزوجها إذا رغبت في الكُفْرِ. فأقامَتْ عَلَيْه.

﴿وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي وَلاَ إِثْمَ عليكم.

﴿أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ أي أن تَزَوَّجوهُنَّ.

﴿إذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

وهذا دليل على أن التَّزْوِيجَ لاَ بُدَّ فيه مِنْ مَهْرٍ.

﴿وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوافِرِ﴾.

أي إذا كفرن فقد زَالَتِ العِصمَةُ بين المشركةِ والمؤمِنِ، أي قد أنبَتَّ عَقْدُ حبل النكاح، وأصل العصمة الحبل، وكلُّ ما أَمْسَك شيئاً فقد عَصَمَهُ، وقُرِئَت: وَلاَ تُمْسِكُوا ولا تَمسَّكوا، والأصل تَتمسَّكُوا من قَوْلِك تَمَسَّكْتُ بالشَّيءِ إِذَا أنتَ لَمْ تُخْله من يَدِك أو إرادتِكَ، فحذفت إحدى التاءين، وقُرِئَتْ تُمَسِّكُوا - بضم التاء والتشديد من قَوْلِكَ مَسَّكَ يُمَسِّكُ، وقرئت تُمْسِكُوا بضم التاء وتَخْفِيفِ السِّين على معنى أمْسَكَ يُمْسِكُ.

وقوله: ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾.

على فاعلتم، وقرئت فعقَبْتُمْ بغير ألف وتخفيف القاف، وجاء في التفسير فَغَنِمْتُمْ، وتأويله في اللغة كانت العقبى لكم، أي كانت العقبى والغلبة لكم حتى غنمتم. وعَقِبْتُم أجْوَدُها في اللُّغَةِ، وفَعَقَبتُمْ بالتخفيف جَيِّدٌ في اللغة أَيْضاً، أي صارت لكم عقبى الغلبة، إلَّا أنَّهُ بالتشديد أبلغ.

ومعنى ﴿فعاقبتم﴾ أصبتموهم في القتال بعقوبة حتى غنمتم.

أي إنْ مَضَتْ امرأة منكم إلى من لا عهد بينكم وبينه.

﴿فآتوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾.

أي مثل ما أنفقوا في مُهُورِهِنَّ، وكذلك إنْ مَضَتْ إلى من بينكم وبينهم عَهْدٌ، فنكثَ في اعطاء المَهْرِ فالذي ذهبت زوجَتُهُ كَانَ يعْطَى من الغنيمة المَهْرَ، فلا ينقص شيء من حقه، يعطى حَقَّهُ كمَلاً بعد اخراج مهور النساء، فمن ثم دفع عمر بن الخطاب رحمه اللّه فيما رَوَوْا مهر أم أيمن[1].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها النبيُّ إذَا جَاءَكَ المُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَلَّا يُشْرِكْنَ باللَّه شيئاً﴾ إلى قوله: ﴿ولا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾، أي لا يأتين بِوَلَدٍ ينسبنه إلى الزوج، فإن ذلك بهتان وَفِريةٌ، ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾.

قيل لا يعصينَك في أمر في النوح، وقيل في تمزيق الثياب وخمش الوجوه ومحادَثَةِ الرجال. والجملة أن المعنَى لاَ يُعْصِينَك في جميع ما تأمُرُهُنَّ به بالمعروف.

---

(١) لا تبدو قصة أم أيمن منطبقة مع هذا، فقد كان الرجل من الأنصار يجعل للنبي ﷺ - النخلات حتى فتحت قريظة والنضير فجعل يرد بعد ذلك، وكان فيما رده ما كان قد أعطاه أم أيمن فجعلت تقول: كلا، فأعطاها النبي حسبته عشرة أمثاله أو قريباً منها.

وروي أن النبي عليه السلام جلس على الصفا، وجلس عمر رحمه الله دُونَهُ، فكن يبايعن النبي ﷺ على ما تَضَمَّنَتْه الآية، ويمسحن أيدِيَهُنَّ بِيَدِ عُمرَ. وقيل كن يمسحن بأيديهن من وراء ثوبٍ.

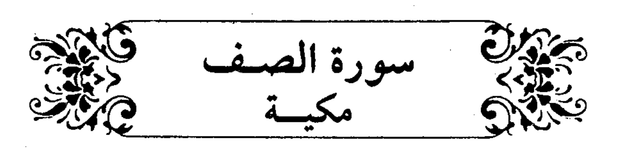
وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرةِ﴾.

يعني به اليهودُ.

﴿كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ القُبُورِ﴾.

أي كما يئس الكفارُ الذين لَا يوقنون بالبعث من موتاهم أن يُبْعَثُوا، فقد يئس اليهود والذين عاقدوا النبي [ﷺ] من أن يكون لهم في الآخرة حظ، وقيل: ﴿قَد يَئِسُوا من الآخرة كَمَا يَئِسَ الكُفَّارُ من أصحاب القُبُورِ﴾، أي من الذين في القبور، يعلمون أنهم لا حَظَّ لهم فِي الآخِرةِ.





بسم اللّه الرحمن الرحيم

﴿[سَبَّحَ لِلَّهِ مَا في السَّمٰواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعزِيزُ الحكِيمُ]﴾.

قد فسرنا ما في قوله: ﴿سَبَّحَ للَّهِ﴾.

قوله: ﴿يَا أَيُّهاالَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾.

الأصل «لما» فحذفت الألف لأن ما واللام كالشيء الواحد، فكثر استعمال «ما» واللام في الاستفهام، فإذا وقفت عليها قلت: لمه ولا يوقف عليها في القرآن بها لئلا يخالف المصحفُ، وينبغي للقارىء أَنْ يَصِلَها.

وهذا قيل لهم لأنهم قالوا: لو علمنا مَا أَحَبُّ الأعمال إلى اللّه ـ عزّ وجلّ ـ لأصبناه ولو كان فيه ذَهَابُ أنفسنا وأَمْوَالِنَا فأنزل اللَّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إلى قوله: ﴿وتُجَاهِدُونَ في سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالكم وأَنْفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لكم﴾.

فلما كانَ يومُ أُحُدٍ تولَّى من تَوَلَّى عن النبي ﷺ حتى كسرت رَبَاعيته وَشُجَّ في وَجْهِهِ أنزل اللّه ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لِـمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُون. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تقولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ.

﴿أَنْ تَقُولُوا﴾ في موضع رفع، و ﴿مَقْتاً﴾ نصبٌ على التمييز، المعنى كَبُرَ قولكم ما لا تَفعلون مَقْتاً عند اللّه، ثم أعلم اللّه ـ عزّ وجلّ ـ ما الذي يحبه فقال:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.

أي بنيانٌ لاصق بعضُه بِبَعْضٍ لا يغادر بَعْضُه بَعْضاً.

فأعلم اللَّه ـ عزّوجلّ ـ أنه يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مَكَانَهُ كَثُبُوتِ البناء المَرْصُوصِ. ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون عني أن تستوي نِياتُهُمْ في حَرْبِ عَدُوِّهِمْ حتى يكونوا في اجتماع الكلمةِ ومُوَالاَةِ بعضهم بعضاً كالبنيانِ المرصوص.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾.

قد بيَّنَّا في سورة الأَحْزاب ما كان آذوه به.

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾.

أي عَدَلُوا عنِ الحقِّ وانصرفوا عنه فأضلهم اللَّه وَصَرَفَ قُلُوبَهُمْ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الفَاسِقِينَ﴾.

معناه لا يهدي من سبق في علمه أَنَّهُ فَاسِقٌ.

وقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

موضع ﴿إذ قال عِيسى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ و﴿إذ قال موسى﴾ جميعاً نصب، المعنى اذكر إذ قال موسى، واذكر إذ قال عيسى ابنُ مريم، أي اذْكر لقومِكَ وأُمَّتِكَ قَصَّةَ مُوسَى وعيسى وما كان عاقبة من آمَنَ بِهِمَا وعاقبة من كفر وآذى الأنبياءَ.

وقولُه: ﴿لِلْحَوَارِيِّينَ﴾.

قيل إن الحواريين سموا بذلك لبياض ثيابِهِمْ، وقيل كانوا قصَّارِينَ، والحَوارِيُّونَ خُلْصَانُ الأَنْبِيَاءِ وصَفْوَتُهُمْ، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ:

الزبيـرُ ابنُ عَمَّتِي وحَوَارِيّـي مِنْ أُمَّتِي. وأصحـاب رسـول اللَّه ﷺ حـواريُّـون. وتأويل الحوارِيين في اللغة الذين أخلَصُوا ونُقُّوا من كُلِّ عَيْبٍ، وكذلك الـدقيق الحوَّارَى من هذا، إنمـا سُمِّيَ لأَنه يُنَقَّى من لُبَـابِ البُرِّ وخـالِصِه. وتـأويله في الناس أنه الذي إذَا رُجِعَ في اختياره مَرَّةً بعد مَرَّةٍ وُجِدَ نقياً مِنَ العُيُوب. فأصل التحوير في اللغة من حَارَ يحورُ، وهو الرجوع والترجيعُ.

فهـذا تأويله ـ واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إلى اللَّهِ﴾.

أي من أَنْصَـارِي مع اللَّه، وقـال قوم مَنْ أَنْصَـارِي إلى نَصْرِ اللَّهِ، وقـال الشاعر[1]:

وَلُـــوحٌ ذراعين في بـــركـــة إلـى جؤجـؤ رهـلِ المَـنْكِـبِ

المعنى الكاهل مع جؤجؤ رهل الْمنْكِبِ.

وقوله: ﴿يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ﴾.

وأكثر القراءة كونوا أنصـارَ اللَّهِ، وهو الاختيـار لقولهم نحن أَنْصَـارُ اللَّه، لأن الآيتين في جـواب كونـوا أنصاراً للَّه، نحن أَنْصَـارُ اللَّهِ، ويجوز أن يكـون «نحن أنصار اللَّه» جواباً لذلك.

وقرئت ﴿واللَّه مُتِمٌّ نُورَهُ﴾ ـ ﴿مُتِمُّ نُورِهِ﴾ وكلاهما جَيِّدٌ.

---

(١) يصف فرساً ـ يريد له ذراعان مستقيمان كأنهما لوحان ـ والجؤجؤ عـظام الصدر، والصـدر نفسه ـ والبركة هي ثغـرة نحر الفـرس، والرهـل. المنتفخ الممتـلئ باللحم، ولكنـه لا يكون متمـاسكا ـ والمراد هنا مع جؤجؤ وهومحل الشاهد والبيت في اللسان والتـاج (زفر) وفي التـاج ولوجـا بالجيم. وأكثر المفسرين يقدرون في الآية محذوفاً ـ أي متجها الى اللَّه.

وقوله عزّ وجلّ: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾.

مَعْنَى ﴿أَيَّدْنَا﴾ قَوَّيْنَا، واشتقاقه من الأَيْدِ، والأَيْدُ القُوَّةُ.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طيبةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

هذا جواب ﴿تؤمنون باللَّه وَرَسُولِه وتُجَاهِدُونَ﴾ لأن معناه معنى الأَمْرِ، المعنى آمنوا باللَّه ورسوله وجاهدوا في سبيل اللَّه بأموالكم وأنفسكم يغفر لكم ذنوبكم. أي إن فعلتم ذلك يغفر لكم.

والدليل على ذلك قراءة عَبْدُ اللَّه بن مسعودٍ: آمِنُوا باللَّهِ وَرَسُولِهِ، وقد غلِطَ بعض النحويين فقال: هذا جَوابُ «هل»، وهذا غلط بيِّن، ليس إذا دلهم النبي على ما ينفعهم غفر الله لهم، إنما يغفر اللَّه لهم إذا آمنوا وجاهدوا، فإنما هو جواب تُؤْمِنُونَ باللَّه ورَسُولِه وتجاهدون يغفر لكم. فأما جواب الاستفهام المجزوم فكقَولِكَ هل جئتني بشيء أعطكَ مثله. المعنى لو كنت جئتني أعطيتك، وَإِنْ جئتني أعْطَيْتُكَ، وكذلك «أين بيتك أزُرْكَ».

وقوله: ﴿فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾.

أي في جنات إقامة وخلودٍ، يقال عَدَنَ بالمكان إذَا أقام به.

وقوله: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

المعنى ولكم تجارة أخرى تحبونها وهي نصر من اللَّه وفتح قريب. وإن شئت كان رفعاً على البَدَلِ من أُخْرَى، المعنى يُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ ولكُمْ نَصْرٌ من اللَّه وفتح قريب.

وقوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾.

«مصدقاً» منصوب على الحال. أي إني رسول اللَّه إليكم في حال

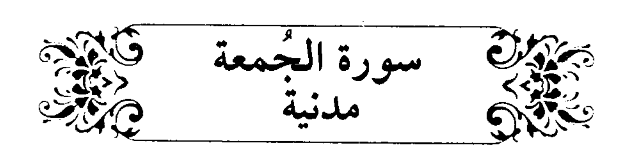
تصديقٍ لما تَقَدَّمَني من التوراة وفي حال تبشير برسول ﴿يأْتِي مِنْ بَعْدِي اسمُه أَحَمدُ﴾.

قُـرِئَتْ بفتح اليـاء ـ مِنْ بَعْدِيَ ـ. وبـإسـكان اليـاء، وَحَـذْفِهـا من اللفظ لـلالتقاء السـاكنين، وأَما في الكتـاب فهي ثـابتـة. من بَعْـدي اسمُـه أحمـد. والاختيار عند سيبويه والخليل تحريك هذه الياء بالفتح، فأما من قرأ يَغْفِـر لَّكُمْ ـ بإدغام الراء في اللام ـ فغير جائز في القراءة عنـد الخليل وسيبـويه، لأنـه لا تدغَمُ الراء في اللام في قولهما. وقد رُوِيَتْ عن إمام عَظِيم الشأن في القِرَاءةِ، وهُوَ أبـو عمرو بن العـلاء، ولا أَحْسَبُه قـرأ بها إلاَّ وقـد سمعها عـن العَرَب. زَعم سيبويه والخليل وجميع البصريين ـ مَا خَـلاَ أَبا عمـرو ان اللاَّمَ تُـدْغَمُ في الرَّاءِ، وأن الرَّاءَ لا تُدغَمُ في اللاَّمِ. وحجة الذين قـالوا ان الـراء لا تدغم في اللام أن الراء حرف مكرر قويٌّ فَإِذَا أدغمت الراء في اللام ذهب التكـرير منهـا، وَدَلِيلُهُمْ على أَن لَهَا فضلة عَلَى غَيْرِهَـا في التمكن أَنَكَ لَا تُميـلُ ما كـان على مثال فاعل إذا كان في أَوله حَرْفٌ مِنْ حُرُوف الإطباقِ أَو المُسْتَعْلِيَةِ، وهي سبعة أَحْرُفٍ منها أَربعـة مطبقـة وهي الصَّادُ والضَّـادُ والطَّاءُ والـظاء، وثلاثـة مستعلية وهي: الخَاءُ والغَيْنُ والقاف.

لا تقول: هذا صالح، بإمالـة الصَّادِ، إلى الكسـر ـ فإن كـان في مَوْضـع اللاَّم رَاءٌ جاز الكسر، تقول: هـذا صَارِمٌ. ولا تقـول: مَرَرْتُ بضَـابَطٍ ـ بإمـالة الضَّـادِ ـ ولكن تقول: مَـررت بضارِبٍ، فَتُسهِّـلَ الراءَ المكسُـورَةُ كَسْرَةَ الصـاد والضَّادِ المطبقتين.

وهذا الباب انفرَد به البَصْـرِيُّونَ في النحـو وليس للكوفيين ولا المـدنيين فيه شيء، وهو باب الإمالةِ.





سورة الجُمعة
مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿الملكِ القُدُّوسِ﴾.

بضم القاف القراءة، وقد رُوِيَتْ القَدُوس بفتح القاف، وهي قليلة، ومعنى القدوس المبارَكُ وقيل الطاهِرُ أيضاً.

وقوله:﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ﴾.

﴿الأُمِّيِّينَ﴾ الذين لا يكتبون، الذين هم على ما خُلِقَت عليه الأُمَّةُ قبل تعلم الكتاب، والكتَابُ لا يكون الا بتعَلُّمٍ. وقولهم في الذي لا يعرف الكلام ولا القراءة: هو يقرأ بالسَّليقيَّة، أَي لم يتعلم القرآن مُعْرَباً إنما يقرأ على ما سمع الكلام على سَلِيقَتِهِ.

والسَّلِيقَةُ والطبيعةُ والنحيبَةُ والسَّجيَّةُ والسَرجُوجَةُ، مَعْنَاهُ كله الطبيعةُ.

وقيل أول ما بدأ الكتاب في العرب بَدَا مِنْ أَهْل الطائِفِ، وذكر أَهل الطائف أنهم تعلَّمُوا الكتابة من أَهل الحِيرَةِ، وذكر أَهلُ الحيرَةِ أَنهم تعلموا الكتابة من أَهل الأنبار.

وقوله عز وجل: ﴿وآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

﴿آخرين﴾ في مَوْضِع جَرٍّ، المعنى هو الذي بعث في الاميين رسولاً مِنْهُمْ

وبَعَثَ في الـذين لم يلحقـوا بهم، أي في آخـرين منهم لَمَّـا يَـلْحَقـوا بِهِمَ، فالنبي عليه السلام مبعوث إلى من شاهده وإلى كل من كان بَعْدَهُمْ من العرب والعجم.

ويجوز أن يكون ﴿وآخرين﴾ في موضع نصب على معنى يعلمهم الكتاب والحكمة ويُعَلِّمُ آخرين منهم لما يلحقوا بِهِمْ.

وقوله: ﴿مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التَّـورَاةَ ثمَّ لم يَحْمِلُوهَا كَمَثَـلِ الحِمَارِ يَحْمِـلُ أَسْفاراً﴾.

الأسفار الكُتُب الكبار، واحدها سِفْر، فأعلم اللَّه ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن اليَهـودَ مَثَلُهُمْ في تركهم استعمال التـوراة والايمان بـالنبي عليه السـلام الذي يجـدونه مكتوباً عندهم فيها كمثل الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً. ثم قال:

﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

ومعنى ﴿بئس مثل القوم﴾ المثل الذي ضَرَبْنَاهُ لَهُمْ. وقرأ أبو عَمْرٍو كمثل الحِمَارِ ـ بكسر الألف ـ وهذه الإمالة أَعْنِي كسر الراء كثير في كَلَامِ العَرَبِ.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

معناه أَنه لا يهدي من سبق في علمه أنه يكون ظَالِماً.

وقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾.

وذلك لأنهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُه﴾ فقيل لهم: إنْ كِنتُمْ تزعمون فَتَمَنَّوا المَوْتَ.

أي فإن اللَّه سَيُمِيتُكُمْ. وَأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أَنهم لا يَتَمَنَّوْنَهُ، لأنهم قد عَلِمُوا أن النبي عليه السلام حَقٌّ وأَنهم إن تَمَنَّوهُ مَاتُوا، فلم يَتَمَنَّوْهُ.

فهذه من أدل آيات النبي ﷺ.

ثم أعلم عز وجل أنهم إنْ لم يَتمنَّـوا الموت وَلَمْ يَمُـوتُوا فِي وَقْتِهِمْ أنهم يموتون لاَ مَحالةَ فقال:

﴿قُلْ إِنَّ المَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ﴾.

ودخلت الفـاء في خبـر إن، ولا يجـوز إنَّ زَيْـداً فمنــطَلِقٌ، لأن ﴿الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْه فَـإِنَّهُ مُلاَقِيكُمْ﴾ فيه معنى الشـرط والجزاء، ويجوز أَن يكـونَ تَمَامُ الكَلاَمِ: «قل إن الموت الَّذِي تَفِـرُّونَ مِنْهُ» كَـأَنَّه قيـلَ: إنْ فَرَرْتُم من أَي مـوتٍ كانَ مِنْ قَتْلٍ أو غيره فإنه مُلاَقِيكُمْ، ويكون «فإنَّهُ» استئنافٌ، بعد الخبر الأول.

وقوله: ﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا إذا نُودِيَ للصلاة مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ﴾.

وقرئت الجُمْعَة - بإسكان الميم - ويجوز في اللغة الجمَعَـة - بفتح الميم - ولا ينبغي أن يقرأ بها إلاَّ أن تثبت بهـا روايةٌ عن إمـام من القُرَّاء،. فمن قـرأ الجُمْعَـة فهـو تخفيف الجُمُعَـةِ، لثقَـلِ الضَمَّتَيْنِ، ومن قـال في غيـر القــراءة الجُمَعَـةِ، فمعناه التي تجمـع النَّاسَ، كمـا تقـول رجـل لُعَنَـة، أَيْ يُكْثِـرُ لَعْنَ الناس، ورَجُلٌ ضُحَكَةٌ، يكثر الضَّحِكَ.

وقوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

معنـاه فاقصـدوا إلى ذكر اللَّه، وليس معنـاه العـدو. وقـرأ ابن مَسْعـودٍ: «فَـامْضُوا إلى ذِكْـرِ اللَّهِ» وقال: لـو كانت فـاسْعَـوْا لَسَعَيْتُ حتى يسقط رِدَائي، وكـذلك قـرأ أُبَيٌّ بن كَعْبٍ: «فَامْضُـوا»، وَقَـدْ رويت عن عمـر بن الخـطاب. ولكن اتباع المصحف أولى، ولو كانت عند عمر «فامضوا» لا غير، لغيـرها في المصحف.

والـدليـل على ان معنى السَّعْيِ التصـرف في كـل عمـل قـول اللَّه عـز

وجل :﴿وَأَنْ لَيْسَ للإِنْسَانِ إلاَّ مَا سَعَى وأَن سَعْيَـهُ سَوْفَ يُـرَى﴾ فلا اختـلاف في أَن معناه: وأن ليس للانسان إلا ما عمل.

وقوله عز وجل: ﴿وَذَرُوا البَيْعَ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

فالبيع من وقت الزوال في يوم الجُمَعَةِ إلى انقضاء الصلاةِ كالمحرَّمِ.

وقوله :﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ فَانْتَشِرُوا في الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾.

هـذا معنـاه الإِبـاحـة، ليس معنـاه إذا انقضت الصـلاة وجب أن يَتْجـر الانْسـانُ كما قـال:﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْـطَادُوا﴾فليس على من حَلّ من إحـرام أن يصطادَ إنما هو مباح له، مثل ذلـك قولـه في الكلام: إذَا حَضَـرتني فلا تنـطق وَإذا غبت عني فتكلم بما شئت، إنّما معناه الإِباحة.

وقوله: ﴿فَتَمَنَّوُا الموتَ﴾ بضم الواو لسكونها وسكون اللام. وَاخْتِير الضَّمُّ مع الواو، لأن الواو ههنا أصل حركتها الرفع، لأنها تنوب عن اسماء مرفوعـة، وقد قرئت فتمنَّوِ الموت بكسر الواو لالتقاء الساكنين، إذا التقيا من كلمتين كسر الأول منهما كما تقول: قَلِ الحقَّ فتكسر اللام لسكون لام الحق.

وقوله:﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إلَيْهَا﴾.

ولـم يقل إليهما، ويجوز من الكلام، وإذا رأو تجارة أو لهواً انفضوا إليه انفضوا إليها، وانفضوا إليهما فحذف خبر أحدهما لأن الخبر الثاني يدل على الخبر المحذوف والمعنى إذا، رأوا تجارة انفضوا إليها أَوْ لهواً انفضوا إليه.

وروي أن النبي ﷺ كان في خطبتِهِ فجاءت إبل لدحية بن خليفة الكلبي وعليها زيت فانفضوا ينظرون إليها وتركوا النبي ﷺ يخطب، وبقي النبي عليـه السـلام مع اثني عشـر رجلاً، فقـال رسـول اللَّه ﷺ: لـو لحق آخـرُهُـمْ أَوَّلَهُمْ لالتهب الوادي نَاراً. فـأَعلم اللَّه عز وجـل أَن ما عنـد اللَّه خيرٌ من اللهـو ومن

التجـارة، وأَعلم النبي عليـه السـلام غليظ مـا في التـولي عن الإمـام إذا كـان يخطب يوم الجمعة.

واللَّهوُ هَهنا قِيلَ الطَّبْلُ، وهو ـ واللَّه أَعلم ـ كل ما يُلْهَى بِهِ.

﴿واللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

أَي ليس يفـوتهم من أَرْزَاقِهم لتخلفهم عن النظـر إلى الميـرة شيءٌ مِنْ رِزْقٍ ولا بتركهم البيعَ في وقت الصلاة والخطبة.



سُورَةُ المُنَافِقِينَ[1]
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ. واللَّهُ يَعْلَمُ إنَّكَ لَرَسُولُه. واللَّهُ يَشْهَدُ إنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.

أَكْذَبَهُمْ فيما تَعتقده قُلُوبُهُمْ، وفي أنهم يحلفون باللَّه إنهم لمنكم، ويحلفون باللَّه ما قالوا، ولقد قالوا كلمة الكفر.

وقوله : ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانهُمْ جُنَّةً﴾.

أي سُتْرةً يستترون بها منه، ودليل ذلك أَنَّهُم حَلَفُوا على ما وصفنا. وقد قرئت: ﴿اتَّخَذُوا إيمَانَهُم﴾ بكسر الهمزة ـ أي إظْهَارَهُم الإيمَانَ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

وقوله : ﴿فَطُبِعَ علَى قُلُوبِهِمْ﴾.

وقرئت فَطَبَع على قُلُوبِهِم. ورويت فطبع اللَّه على قُلُوبِهم. والقراءة المعروفة المجمع عليها ههنا فُطُبِعَ، على مالم يسم فاعله. ويجوز في العربيَّةِ فطبعْ عَّلى قُلوبُهِمْ على إدغام العين في العين لأنهما من مخرج واحد، ولاجتماع الحركات لأنه يجتمع سِتُّ حَرَكاتٍ، ومن ترك الإدغام فلأن الحرفين

---

(1) هكذا بالأصل ـ والأولى أن تكون «المنافقون» على الحكاية.

من كلمتين وان العين من الحلق وحروف الإدغام في حروف الفم أكثر منها في حروف الحلق نحو مدَّ وشَدَّ وقَرَّوَرَدَّ وأكثر مِنْ بَابِ دَعَّهُ يُدعُّه.

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾.

كَأنه وصفهم بتمام الصُّوَرِ وَحُسْنِ الإبَانة، ثم أعلم أنهم في تركهم التَّفهُّمَ والاستبصار بمنزلة الخشب فقال: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾.

ويقرأ خُشْبٌ مُسَنَّدة بإسْكانِ الشِّين. فمن قرأ بإسكان الشين فهو بمنزلة بَدَنةٍ وَبُدْنٍ، ومن قال خُشُب - بضم الشين - فهو بمنزلة ثَمَرَة وَثُمُر. ويجوز خَشَبٌ مَسَنَّدةٌ، فلا تقرأ بها إلا أن تثبت بها رواية، وخشبةٌ وخَشَبٌ مثل شجرة وشَجَر.

وقوله: ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحةٍ عَلَيْهِمْ﴾.

وصفهم اللَّه تَعَالى بِالجُبْنِ، ويكون أمر كل من خاطب النبي عليه السلام فإنَّمَا يخاطبه في أمرهم بكشف نِفَاقِهِمْ.

وقوله: ﴿هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾.

أَي هم العدو الأدنى، فاحذرهم لأنهم كانوا أَعداء النبي ﷺ، ويظهرون أَنَّهم مَعَهُ.

وقوله - عز وجل -: ﴿قَاتَلَهُم اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.

ومعنى ﴿أَنى يؤفكون﴾ من أين يصرفون عن الحق إلى الباطل..

قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾.

قرأ أَبو عمرٍو يَسْتَغْفِر لَّكُمْ - بإدغام الراء في اللام - وهي عند سيبويه لا تجوز، وقد بينا ذلك في سورة الصف.

وقوله: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾.

على فَعَّلُوا، وَقُرِئَتْ ﴿لَوَوْا رُءُوسَهُمْ﴾ بالتخفيف. وهذه قيل إنها نزلت في عبد اللّه بن أُبَيٍّ.

وقوله: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا﴾.

هذه أيضاً نزلت في عبد اللّه بن أُبَيّ. وذلك أنه قال لقوم ينفقون على بعض من مع رسول اللّه: لا تنفقوا عليهم حتى ينفَضُّوا عنه.

﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَلَكِنَّ المُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

أَي ان اللّه يرزقهم وهو رازقهم في حال إنفاق هؤلاء عليهم.

وقوله عز وجل: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ﴾.

يعنون أَيضاً عبد اللّه بنَ أُبيّ. فأعلم اللّه أنه مظهر دينه على الدين كله ومعز رسوله ومن معه من المؤمنين فقال: ﴿ولِلَّهِ العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وللمؤمنين﴾.

وقوله عز وجل: ﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾.

حَضَّهم[1] اللّه على إدامة الذِكر له وأن لا يضنوا بأموالهم فقال: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ﴾.

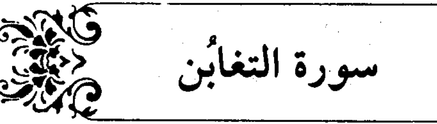
أي من قبل أن يُعاين ما يعلم معه أَنَّه مَيِّتٌ.

﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

---

(١) أي حَضهم.

وقرئت ﴿فأصَّدقَ﴾ وَأَكونَ من الصالحين. فجاء في التفسير أنهُ ما قَصرَّ أَحدٌ في الزكاة أو في الحج الا سأل الكرَّة. فمن قال فاصَّدق وأكن من الصالحين، فاصَّدَّق جواب لولا أَخَّرتني، ومعناه هلا أَخَّرْتَني، وجزم «وَأَكُنْ» على موضع فأصَّدق، لأنه على معنى إن أَخرتني أُصَّدَّق وأكن من الصالحين، ومن قرأ وأكونَ فهو على لفظ فأَصَّدَّق وَأَكونَ.



سورة التغابُن

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

مكية ما خلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي من آخرها قوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ...﴾ إلى آخرها، وقيل إن الصحيح أنها مدنية كلها.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾.

خلقكم في بطون أمهاتكم كفَّاراً ومؤمنين، وجاء في التفسير أن يحيى عليه السلام خلق في بطن أُمِّه مؤمناً، وخلق فرعون في بطن أمه كافراً، ودليل ما في التفسير قوله عز وجل: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾[1] فأعلم اللَّه تعالى أنه مخلوق كذلك، وجائز أن يكون ﴿خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ أي مؤمن بأن اللَّه خلقه وكافرٌ بأن اللَّه خلقه. ودليل ذلك [قوله سبحانه]: ﴿قُتِلَ الإنسانُ ما أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شيءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ [فَقَدَّرَهُ]﴾، وقال: ﴿أَكَفَرْتَ بالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[2].

وقوله: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾.

ويقرأ «صِوَرَكم» بكسر الصَّادِ، وصُورَةٌ يجمع صُوَراً مثل غُرْفَةَ وَغُرَف، ورُشْوَة ورُشًى، ويجمع أيضاً صِوَر مثل رِشوة وَرِشًى وفُعَل وفِعَل أختان، قالوا

---

(١) سورة آل عمران / ٣٩.

(٢) سورة الكهف / ٣٧.

حُلًى وحِلًى، ولِحىً وَلُحىً جمع لحية. ومعنى أَحْسَنَ صُورَكم خلقكم أحسن الحَيَوَانِ كُلِّه، والدليل على ذلك أن الانسان لا يُسَرُّ بأن يكون صورته على غير صورة الآدميين، فالانسان أحسن الحيوان، وقيل أيضاً فأحسن صوركم من أَرَادَ اللَّه أَن يكون أبيض كان أبيض، ومن أراد أن يكـون أَسودَ كـان أَسْوَدَ ومن أَراد أَن يكون دَمِيماً كان دَمِيماً أَو تاماً كان تامًّا. فأحسن ذلك ـ عز وجل ـ وأتى من كل صورةٍ بكل صنف على إرادته.

وقـوله: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّـذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْـلُ فَذَاقُـوا وَبَـالَ أَمْـرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أي وذاقوا في الدنيـا عظيم السـطوات ولهم في الآخرة عَـذَابٌ أليم، ثم أعلم اللَّه عـز وجل بِمَ نَـزَلَ بِهِمْ ذَلِكَ فقال: ﴿ذَلِكَ بِـأَنَّهُ كَـانَتْ تَـأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بالبَيِّنَاتِ فَقَالُوا: أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا﴾.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنه نزل بهم العذاب في الدنيا وأنه ينزلُ بِهِمْ في الآخرة بكفرهم.

وقوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ والنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾.

أي وبالقرآن الذي هو نُورٌ وكتاب مُبِينٌ.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ مَنْصُوبٌ بقوله ﴿لَتُبْعَثُنَّ ثم لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ بما عملتم يوم الجمع، ويوم التغابن يومَ يغبن أَهلُ الجنة أهلَ النارِ، ويغبن من ارتفعت منزلته في الجنة من كان في دُونِ مَنْزِلَتِه. وضرب ذلك مثلاً للشِّراءِ والبيعِ كما قال: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَـارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم. تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[1] وقال في موضع آخر: ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾[2]. وذلك في الَّذِينَ اشْتَروا الضلالة بالهدى.

---

(١) سورة الصف / ١٠ ـ ١١.

(٢) سورة البقرة / ١٦.

وقوله: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إلَّا بِإذْنِ اللَّهِ﴾.

معناه إلَّا بِأَمر اللَّه، وقيل أَيضاً إلا بعلم اللَّه.

وقوله: ﴿وَمَنْ يُّؤمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾.

وَيُسَلِّم في وقت المصيبة لأمر اللَّه يهد قلبه يجعله مهتدياً، وقُرِئت يَهْدَ قلبه، تَأويل هَدَأَ قَلْبُه يهدأ إذا سكن، ويكون على طرح الهمزة، ويكون في الرفع يَهْدَا قلبه ـ غير مهموز ـ وفي الجزم: مَنْ يُّؤمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ قَلْبُهُ، بطرح الألف للجزم، ويكون التأويل إذا سَلَّمَ لأمر اللَّه سَكَنَ قَلْبُه.

وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

هذه رخصة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾[1].

وقوله: ﴿وَأَنْفِقُوا خَيراً لأَنْفُسِكُمْ﴾ أَي قدموا خَيراً لأنفسكم من أُموالكم.

﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ﴾، ويجوز ومن يُوَقَّ شُحَّ نَفْسِهِ، ولا أُعلم أحداً قرأ بها فلا تقرأَنَّ بها إلَّا أن تثبت رواية في قراءتها.

﴿فَأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾، معناه الظافرون بالفَوْزِ والخَيْرِ.

قوله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

جاء في التفسير أن النبي ﷺ لَمَّا أمر بالهجرة مِنْ مَكَّةَ إلى المدينة أَرَادَ قَومٌ الهِجْرَةَ فقال لهم أَزْوَاجُهُم وأَوْلَادُهُمْ: قد صبرنا لكم على مفارقة الدين، ولا نصبر لكم على مفارقتكم ومفارقة الأموال والمساكن فأعلم اللَّه تعالى أن من كان بهذه الصورة فهو عَدُوٌّ، وإن كان وَلَداً أو كانت زوجة. ثم أمر عز وجل بالعَفْو والصَّفْح فقال:

﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فِإنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

---

(١) سورة آل عمران /١٠٢.

ثم أَعلم أن الأموال والأولاد مما يفتتن به فقال:

﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ ما اسْتَطَعْتُمْ﴾.

أي ما أمكنكم الجهاد والهجرة مع النبي ﷺ فَلَا يَفْتننكُمْ الميلُ إلى الأموال والأَوْلَادِ عن ذلك.

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِر لَكُمْ﴾.

فَاقترض عز وجل مما رزق وأعطى تفضلاً وامتحاناً.

﴿واللَّه شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

يَشْكُر لكم ما عملتم ويَحْلُمُ عنكم عند استِحقَاقِكُمُ العُقُوبَةَ على ذُنُوبِكُمْ.

﴿عَالِمُ الغَيْبِ والشَّهادَةِ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾.

يعلم ما تُكِنُّه الصُّدورُ مما لا تعلمه الحفظة، ويعلم ما تسقط من وَرَقَةٍ وما قَطر مِنْ قَطْرِ المَطَر.

سُورَةُ الطَّلَاقِ
مَدَنِيَّة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾.

هـذا خطاب للنبي عليـه السلام والمؤمنـون داخلون معه في الخـطاب، ومعنـاه إن أردتم الطلاق كمـا قال: ﴿إِذَا قُمْتُـمْ إلى الصَّـلَاةِ﴾ معنـاه إذا أَرَدْتُم القيام إِلَى الصَّلاة.

وقوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا العِدَّةَ﴾.

فطلاق السنة المجْتَمَعُ عَلَيْه في قول مَالِكٍ أَن يطلق الرجل امْرَأته طَـاهِراً من غيـر جماعٍ تـطليقة واحـدة، ثم يتركهـا إذا أراد المقام على فـراقها ثَـلَاثَ حِيَضٍ، فـإذا طعنت في الحيضة الثـالثـة فـلا يملك رجعتهـا، ولكن إن شـاء وشاءت أن يجددا نكاحاً جَـدِيداً كـان ذلك لهمـا لأن معنى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْـدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾، أَي بعد الطلاق الواحد[1]. فإذا طلقها ثلاثاً في وقت واحد فلا معنى في قوله: ﴿لَعَلَّ اللَّه يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾، وإنما تفسيره الرجعة، أعني إذا وقع الثلاث في وقت واحدٍ، وهذا قول مالك ـ رحمه اللَّه!، وقال أهل العراق إن طلقها طاهراً من غير جماع ثم أوقع عند كـل حيضة تـطليقة فهـو أيضاً عنـدهم طلاق السنة، وإن فعل ما قال مالك فهو عندهم سنَّةٌ أَيْضاً. وقال الشافعي إذا طلقها طَاهِراً من غير جماع فهو مطلق للسنة أيضاً طلق واحدة أَو ثلاثاً، وهذا يسقط معـه إذا كان ثلاثاً.

---

(١) في الأصل: الواحدة.

قوله: ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً﴾.

وقد جاء التشديد فيمن تعدى طلاق السنة، فقال: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ﴾، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾. يعني بحدود اللَّه حدود طلاق السنة وما ذَكَرَ مع الطلاق.

وقوله: ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾.

ويقرأ مُبَيَّنَة. فجعل للمطلقات السكنى، وقيل إن خروجهن من بُيُوتِهِنَّ فاحشة، وقيل الفاحشة المبينة الزنا. ودليل هذا القول قوله: ﴿وَاللَّاتي يأتين الفاحشة من نسائكم﴾، يعني الزنا. وقيل أيضاً: إلا أن يأتين بفاحشة مبينة زنا أو سَرقٌ أو شربُ خَمْرٌ، وقيل كل ما يجب فيه الحد فهو فاحشة.

قوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾.

معناه يجعل له مخرجاً من الحرام إلى الحلال، وقيل أيضاً من النار إلى الجنَّة وَيَرْزُقْه مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ مَعْنَاهُ - وَٱللَّهُ أَعْلَمُ - أنه إذا اتَّقى اللَّهَ وآثَرَ الحلال والصبر على أهله إن كان ذَا ضَيْقَةٍ فتح اللَّ عليه ورزقه من حيث لا يحتسب، وجائز أن يكون إذا اتقى اللَّه في طلاقه، وآثر ما عند اللَّه وجرى في ذلك على السُّنَّةِ رزقه اللَّه أهلاً بَدَل أهله.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَالِغٌ أَمْرِه﴾.

وتقرأ ﴿بالغُ أَمْرِه﴾، أي إن اللَّه بالغ ما يُرِيدُ. وقرئت إنَّ اللَّهَ بَالِغٌ أَمْرُهُ، على رفع الأمر بِبَالِغ، أَي إنَّ اللَّه يبلغ أَمره وينفذ.

وقوله عز وجل: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾.

وقَدَراً، أي ميقاتاً وأَجلاً.

وقوله: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾.

قيل في بعض التفسير إنهم سألوا فقالوا: قد عرفنا عِدَّةَ التي تحيض، فما عِدَّةُ التي لا تحيض والتي لم تحض، فقيل إن ارتبتم، أي إذا ارتبتم فعدتهن ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ. والذي يذهب إليه مالك، واللغةُ تدل عليه أن معناه إن ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها الحيض وكانت ممن يحيض مثلها فعدتها ثلاثة أشهُرٍ، وذلك بعد أن تترك تسعة أشْهُرٍ بمقدار الحمل، ثم تعتد بعد ذلك ثلاثة أشهر، فإن حاضت في هذه الثلاثة الأشْهُرِ تمت ثلاث حِيَضٍ. وجائز أن يتأخر هذا الحيض فيكون كلما قاربت أن تخرج من الثلاثة حاضت، فهذا مذهب مالك وهو الذي يروى عن عمر رحمه اللَّه.

وقال أهل العراق تترك ولو بلغت في ذلك أكثر من ثلاثين سنةً ولو بلغت إلى السبعين، يعنون حتَّى تبلغ مبلغ من لا يحيض، وقالوا: ولو شاء اللَّه لابتلاها بأكثر من ذلك، وكذلك في قوله: ﴿واللَّائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ معناه عند مالك معناه إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر، واليائسة عند مالك وغيره بإجماع التي قد يئست من المحيض فلا ارتياب في أمرها أنها لا تحيض تعتد ثلاثة أشهر، ولم يأتِ في القرآن النّصُّ عَلَى ذلك، ولكن في القرآن دليل عليه وأنا أبَينه إن شاء اللَّه.

فأما الصغيرة التي لا يُوطأ مثلها فإن دخل بها ووطئها مكانَهُ فإنما عقرها[1]، ولا عِدَّةَ عند مالك عليها، إلا أن يكون مثلها يَسْتقيم أَن يُوطَأَ وإنما هي عنده في عداد من لم يُدخَلْ بها. والذي في القرآن يدل على ان اليائسة التي لا يُرتاب فيها يجب أن تعتد ثلاثة أشهر لقوله: ﴿واللائي يَئِسْنَ مِنَ المَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاَثَةُ أَشْهُرٍ واللَّائي لَمْ يَحِضْنَ﴾ فمعناه واللائي لَا يَحِضْنَ فعدتهن ثلاثة أَشْهُرٍ، فقياس اللائي لا يحضن قياس اللائي لم يحضن[2]

(١) في الأصل إنما.

(٢) قياس اللاتي انقطع حيضها قياس من لم تصل سنّ الحيض.

فلم يحتج إلى ذكر ذكل. وإذا كان عدة المرتاب بها ثلاثة أشهر فالتي لا يرتاب بها أولى بذلك.

قوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

معناه أجلهن في الانقطاع فيما بينهن وبين الأزواج أن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ.

وقوله: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُم﴾.

ويقرأ من وِجْدِكم، يقالُ وَجَدْتُ في المال وُجْداً، أَي صرت ذا مالٍ، وَوجداً وَجِدَةً، وَوَجَدْتُ الضَّالَّةَ وِجْدَاناً وَوَجَدْتُ على فلانٍ وَجْداً، ووجَدْت عليه مَوْجِدَةً.

فأوجب اللّه تعالى السُّكْنَى حتى تنقضِيَ العِدَّةُ. والسكنى والنفقة على الزوج إذا طلق طلاق السنة إلى أن تأتي ثلاث حِيَضٍ، فإذا أَبَتَّ الطلاقَ قبل انقضاء العِدَّةِ فعليه النفقة والسكنى في قول أهل العراق، وعليه السكنى في مذهب مالك والشافعي، فأما الحاملِ فعليه النفقة لها، وذا في القرآن نصٌّ بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾.

وقوله: ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾.

أي فأعطوهن أُجْرَةَ رِضَاعهن.

﴿وَأْتَمِرُوا بينكم بِمَعْرُوفٍ﴾.

قيل في التفسير إنه الكسوةُ والدِّثَارُ، والمعروف ـ واللّه أعلم ـ أن لا يقصِّرُ الرجلُ في نفقة المرضع التي ترضع ولَدَه إذا كانت هي والدتَه لأن الوالدَةَ أَرأف بولدها من غيرها به، فلا تقصُرُ في رضاعه والقيام بشأنه، فحق كل واحد منهما أن يأتمر في الولد بمعروف.

﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرضِعُ له أُخْرَى﴾.

معناه فليرضع الوالد غير والِدَةِ الصَّبِيِّ، وهذا خبر في مَعْنى الأمْرِ لأن لفظ... ﴿فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى﴾ لفظ الخبر ومعناه فليرضع، ومثله في لفظ الخبر ومعنى الأمر قوله: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾، معناه ولْيُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ.

قوله: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ من سَعَتِهِ﴾.

أَمَرَ أهل التوسِعَةِ أن يُوَسِّعوا على نسائهم المرْضِعَاتِ أَوْلَادَهُنَّ على قدر سَعتِهِنَّ.

﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْه رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتاهُ اللَّهُ﴾.

أي من كان رزقه بمقدار القوت فلينفق على قدر ذلك، كما قال: ﴿عَلَى المُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى المُقْتِرِ قَدَرُه﴾.

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إلَّا مَا آتَاهَا﴾ أي إلا ما أعطاها.

وقوله عز وجل: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾.

أعلم اللَّه المؤمنين أنهم وَإن كانوا في حالٍ ضَيِّقَةٍ، وقيل كان الغالب على أكثرهم في ذلك الوقت في عهد رسول اللَّه الفقرُ والفاقةُ فأعلمهم عز وجل أنه سَيُوسِرُ المسلمون ـ ففتح اللَّه عليهم بعد ذلك وجعل يُسراً بعد عُسْرٍ.

وقوله عز وجل: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُكْراً﴾.

أي عجلنا لها العذاب، وَمَعناه: عتا أهلها فحاسبنا أهلها وَعَذَّبْنَاهُم.

وقوله: ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾.

أَي ثِقْلَ عاقبةَ أَمرها.

﴿وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْراً﴾ يعني في الآخرة وهو قوله:

﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾.

يعني بعد ذلك الذي نزل بِهِم في الدنيا.

ثم وعظ اللّه هذه الأُمَّةَ في تصديق النبي عليه السلام، واتباع أَمْره وأعلم أنه قد بعث رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور فقال:

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

ومعنى أولي الألباب أصحاب العقول، وواحد أولي الألباب ذُو لُبٍّ أي ذو عَقْلٍ.

﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً، رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾.

﴿رَسُولاً﴾ مَنْصُوبٌ على ثلاثَةِ أَوْجُهٍ، أَجْوَدُهَا أن يكون قَوله: ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْراً﴾ دليلاً على إضمار أَرْسَلَ رَسُولاً يتلو عليكم، ويجوز أن يكون يعني بقوله ﴿رسولاً﴾ النبي عليه السلام، ويكون ﴿رَسُولاً﴾، منصوباً بقوله ﴿ذِكراً﴾. يكون المعنى قد أنزل اللّه اليكم ذِكراً رَسُولاً ذَا ذِكْرٍ رسولاً يتلو، ويكون رسولاً بَدَلاً مِنْ ذِكرٍ، ويكون يعنى به جبريل عليه السلام. ويكون دليل هذا القول قوله يعنى به جبريل عليه السلام: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك﴾.

ومعنى: ﴿مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ﴾: من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان لأن أدلة الكِفر مظلمَة غَير بَيِّنَةٍ، وأدلة الاسلام واضحة بينَةٌ.

قوله: ﴿ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾.

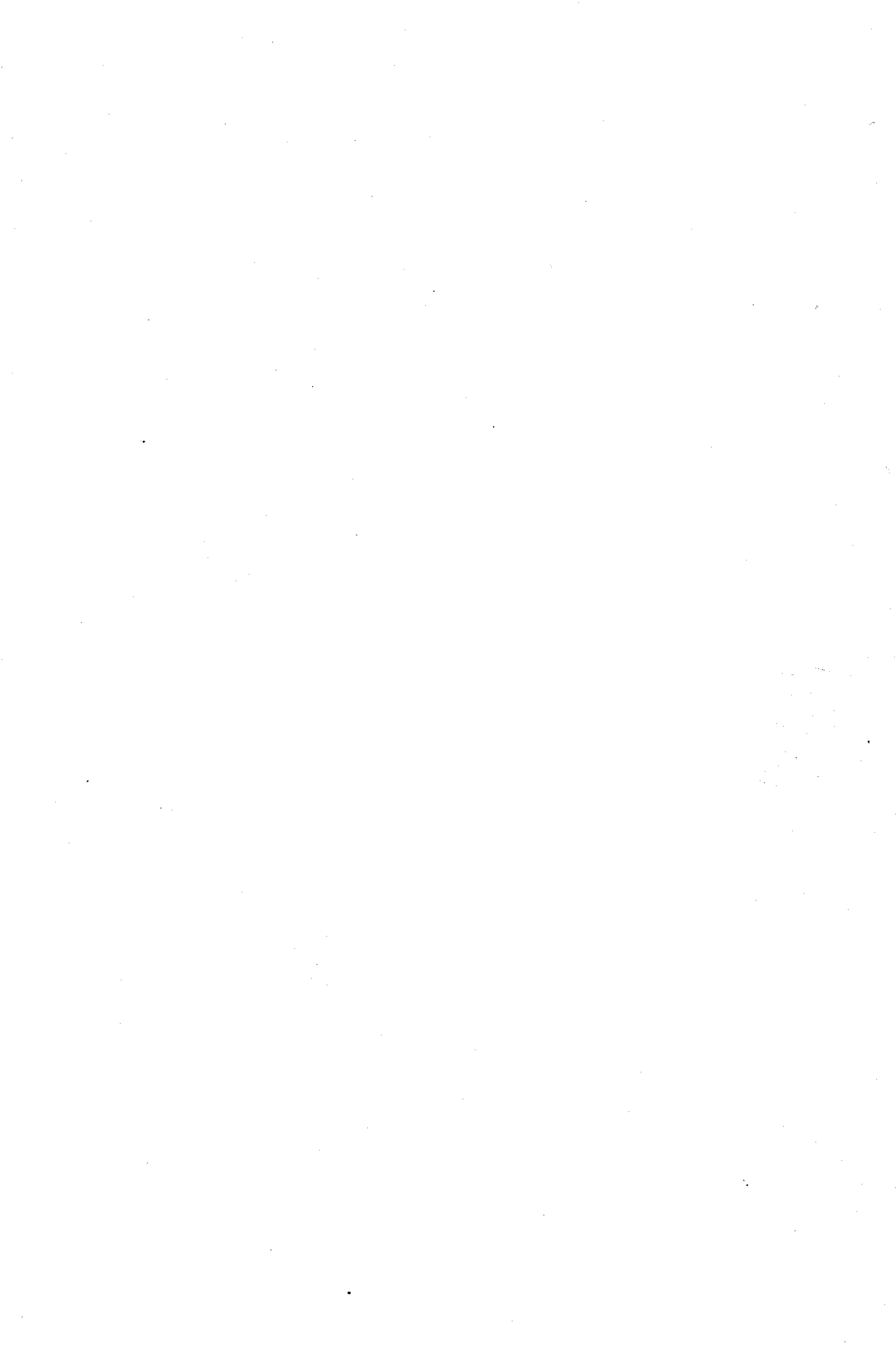
أي رزقه اللّه الجنة التي لا ينقطع نعيمها ولا يزول. ثم ذكر - جل وعز - ما يدل على توحيده فقال:

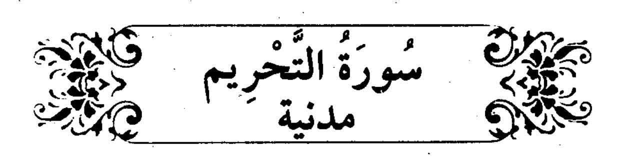
﴿اللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمٰوَاتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾.

ففي كل سماء وكل أرض خلق من خَلْقِه، وأمرٌ نافِذٌ مِن أَمْرِهِ.

وقوله عز وجلَّ: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيءٍ عِلْماً﴾.

﴿عِلْماً﴾ منصوب على المَصدر المؤكد، لأنَ معنى قوله: ﴿وأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِ شَيْءٍ عِلْماً﴾، أي قد علم كل شيء علماً، ومثله: ﴿وَتَرَى الجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ثم قال: ﴿صُنْعَ اللَّهِ﴾ مُؤَكِدًا، لأن معنى قوله: صنع اللَّه صنع اللَّه الجبالَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ.





سُورَةُ التَّحْرِيم
مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿يَاأَيُّها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ واللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

أَي وقد غفر اللّه لك ذلك التحريم. وجاء في التفسير أن النبي ﷺ، شرب عسلاً عند زينب بنت جحش فأجمعت عائشة وحفصة على أن يقولا له: إنَّا نَشَمُّ مِنك رِيحَ المغافير، والمغافير صمغ متغير الرائحة، وقيل في التفسير أنه بَقْلَةٌ، فلما صار إلى كل واحدة منهما قالت له: إني أَشَمُّ منك ريح المغافير فحرم النبيُ - عليه السلام - على نفسه شرب العسل، وقيل إنه حلف على ذلك.

وجاء في التفسير - وهو الأكثر - أن النبي - عليه السلام - خلا في يوم لعائشة مع جاريته أم إبراهيم، وكان يقال لها مارية القبطية فوقفت حفصة على ذلك، فقال لها رسول اللّه ﷺ لا تُعْلِمِي عَائِشَةَ ذلك، فقالت له لَسْتُ أَفعل، وحَرَّمَ مَارِية على نفسه، وقيل إنه حلف مع ذلك أيضاً، فأعلمت حفصة عائشة الخبر واستكتمتها إيَّاه، فأطلع اللّه نبيّه على ذلك فقال اللّه عز وجل: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً﴾. يعني حفصة.

موضع «إذ» نِصْبٌ، كأنه قال: واذكر إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً يعني حفصة،﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ﴾، أي فلما خَبَّرت به عائشة.

﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾.

وقُرِئَتْ عَرَفَ بعضه بتخفيف الراء. وأعلم اللَّه أن التحريم على هذا التفسير لا يحرّم. فقال لنبيه عليه السلام: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾.

فلم يجعل اللَّه لنبيه أن يُحَرِّمَ الا ما حَرَّمَ اللَّه، فعلى هذين التفسيرين ليس لأحد أن يحرم ما أحل اللَّه، فقال اللَّه: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾.

يعني الكفارة، لأنه قد روي أنه مع ذلك التحريم حَلَفَ، وقال قومٌ إن الكفارةَ كفارةُ التحريم.

فَأَمَّا ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾. فتأويله أنه عرف بعضه حفصة، ﴿وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾ جاء في التفسير أنه لما حرم مارية أخبر حفصة أنه يملك من بعده أبو بكر وعمر، فعرفها بعض ما أفشت من الخبر، وأعرض عن بعض، فإن النبي ﷺ قد عرف كل ما كان أَسَرّه، والإعراض لا يكون إلاّ عما يعرف.

وتأويل هذا في اللغة حَسَنٌ بَيّنٌ، معنى ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ جازى عليه، كما تقول لمن تتوعَّدُهُ: قَدْ عَلِمْتُ مَا عَمِلْتَ وَقَد عَرَفْتُ ما صَنَعْتَ، وتأويله فسأجازيك عليه، لا أنك تقصد إلى أنك قد علمت فقط، ومثله قول اللَّه عز وجل: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾، فتأويله يعلمه اللَّه ويجازي عليه، فإن اللَّه يعلم كل ما يُفعَل، ومثله قوله [تعالى]: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِم فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾[1] واللَّه يعلم ما في قلوب الخلق أجمعين، ومثله قوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾، ليس الفائدة أنه يرى ما عمل، إنما يرى جزاء مَا عَمِلَ، فقيل إن النبي ﷺ طلق حفصة تطليقة واحدةً فكان ذلك جزاءها عنده.

---

(١) سورة النساء /٦٣.

فذلك تأويل ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ﴾.

أي جازى على بعض الحديث.

وكانت [حفصة] صَوَّامةً قَوَّامَةً فأمره اللّه تعالى أن يراجعها فراجعها.

وقوله: ﴿إِنْ تَتُوبا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾.

يعني به عائشة وحفصة، ومعنى صَغَتْ قُلُوبُكُمَا. عدلت قلوبكما وزاغت عن الحقِّ.

وقوله: ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾.

أي تتعاونا عليه، فإن اللّه هو مولاه أي هو يتولى نصرته، .

﴿وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُو الْمُؤْمِنِينَ﴾.

جاء في التفسير أن صالحي المؤمنين أبو بكر وعمر، وجاء أَيضاً في التفسير أن صالحي المؤمنين عمر، وقيل إن صالحي المؤمنين خيار المسلمين، و «صالح» ههنا ينوب عن الجمع كما تقول: يَفْعَلُ هَذَا الخَيِرُ من الناس تريد كل خَيِّر.

﴿وَالمَلَائِكَةُ بعد ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

في معنى ظُهَرَاءُ، أي والملائكة أيضاً نُصَّارٌ له النبي ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أزواجاً خيراً منكُنَّ مسلماتٍ﴾ وقرئت يبدله، بتشديد الدال وفتح الباء، ويُبَدِّله للتَّكْثِيرِ، وَكِلَاهُمَا جَيِّدٌ وقد قرئَ بـه.

وقوله: ﴿قَانِتَاتٍ﴾.

جاء في التفسير مطيعاتٍ، والقُنُوتُ القِيامُ بما يقرب إلى اللّه - عز وجل -.

وقوله تعالى: ﴿سَـائِحَـاتٍ﴾.

جاء في التفسير عن النبي ﷺ أن السائحين هم الصائمونَ، وهو مما في الكتب الأولى، وقال أهل اللغة: إنما قيل للصائم سائح لأن الذي يسيح متعَبِّدٌ ولا زاد مَعَه، فحين يجد الزاد يطعَمُ، والصائم كذلك يَمْضِي النهار ولا يَـطعَـمُ شيئاً فلشبهه به سُمِّيَ سَائِحاً.

وقوله: ﴿قُـوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾.

معنـاه خذوا أنفسكم وأهليكم بمـا يَقَـرِّبُ من اللَّه ـ جـل وعـز ـ وجنبـوا أنفسكم وَأَهْلِيكم المعـاصي. ومعنى ﴿قوا أنفسكم﴾ أي وقُّوا أنفسكم، وجاء في التفسيـر: رَحم اللَّه رَجُلاً قـال: يا أهـلاه صَلاَتَكُمْ صيـامكم مِسْكينكم يتيمكم جيرانكم.

معناه الزموا واحفظوا صلاتكم وهذه الاشيـاء المذكـورة، ادُّوا فرض اللَّه فيها. وفي الحديث لعل اللَّه يجمعهم معه في الجنَّة.

وقوله عز وجل: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾.

جاء في التفسير أنها حجارة الكبريت. والوَقُود بفتح الواو ما تُوقَدُ به النَّارُ من حَطبٍ وغَيْرِهِ، يقال وقدت النار وُقُوداً ـ بضم الواو ـ.

وقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهـا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً﴾.

بفتح النون، وتقرأ نُصُوحاً ـ بضم النُّون ـ فمن فتـح فعلى صفة التـوبة. ومعناه توبة بالغة في النصح، وفَعُول من أسماء الفاعلين التي تستعمل للمبالغة في الوصـف، تقول رجل صبورٌ وَشَكُورٌ، وتوبة نَصُوحٌ. وَمَنْ قَرَأَ نُصُوحٌ ـ بضَم النُّونِ ـ فمعناه يَنصَحُونَ بهذا نُصُوحاً.

يقال: نصحت له نُصْحاً ونصاحَةً ونصوحاً.

وجاء في التفسير أن التوبة النَّصُوحُ التي لا يعاود التائب مَعَها المعْصِيةَ، وقال بعضهم التي لا ينوي معها معاودة المعصية.

وقوله:﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوبٌ بقوله: ﴿عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ﴾.

أي في هذا اليوم.

والقراءة النصب في قوله: ﴿وَيُدْخِلَكُمْ﴾ عطف على ﴿أَنْ يُكَفِّرَ﴾ ولو قرئت بالجزم لكان وَجْهاً، يكون محمولا على موضع ﴿عسى رَبُّكم أَنْ يُكَفِّرَ عنكم سَيِّئَاتِكُمْ﴾ لأن عسى من اللَّه واجبة، قال اللَّه تعالى:﴿وَإِنِّي لغفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾[1].

وقوله:﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لنا نُورَنَا﴾.

أي إذا رأى المؤمنون نور المنافقين يُطْفَأ سألوا اللَّه أَنْ يُتَمّمَ لهم نورهم.

قوله:﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً للَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْن فخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيئاً﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أن الأنبياء لا يُغْنون عمن عمل بالمعاصي شيئاً.

وجاء في التفسير أن خيانتهما لم تكن في بغاء، لأن الأنبياءَ لا يبتليهم اللَّه في نِسائِهم بفسادٍ، وقيل إن خيانة امرأة لوط أنها كانت تدل على الضيف، وخيانة امرأة نوح أنها كانت تقول: إنه مجنون ﷺ وعلى أنبيائه أجمعين. فأما من زعم غير ذلك فمخطىء لأن بعض من تأول قوله: ﴿يَا نُوحُ إِنَّه لَيْسَ مِنْ

---

(١) سورة طه /٨٢.

أَهْلِكَ، إنَّـه عَمَلٌ غير صَالِح﴾(١) ذهب إلى جنس من الفسَادِ. والقـراءة في هـذا «عَمِلَ غير صالح، وَعَمَلٌ غَيرُ صَالِحٍ»، .وهما يرجعان إلى معنى وَاحدٍ، وذلك أَنَّ تأويل أنه عَمَلٌ غير صالح أَنَّهُ ذو عمـل غيرِ صـالح. وكـل من كفر فقـد انقطع نسبه من أَهله المؤمنين، لا يرثهم ولا يرثونه.

وقوله عز وجل: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا للَذِينَ آمَنُوا امْرَأَة فِرْعَوْنَ إذْ قَـالَتْ رَبِّ ابْنِ لي عندك بيتاً في الجَنَّةِ وَنَجِّني من فِرْعَوْنَ وعَملِه﴾.

جاء في التفسير أن فرعون وَتَد لها أَرْبَعَةَ أَوْتادٍ وشـد بدنها ورجليهـا وجعل على صدرها رَحًى، وجعلها في الشمس، وأن اللَّه فرج لها فرأت بيتها في الجنة.

وجاء في التفسير أن الملائكة كانت تظلها بأجنحتها من الشمس.

وقـوله: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْـرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهـا فنفخنا فيـه من رُوحِنَـا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّها وَكُتُبِهِ﴾.

وقرئت «وكتابه».

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾، جاء في التَّفسير أنه يعنى به فرج ثوبها، والعرب تقـول للعفيف: هو نِقيُّ الثَّوْبِ، وهـو طيب الحُجْزةِ، تـريد أَنَّـهُ عفيف وأَنشدوا بيت النابغة الذبياني(٢):

رقـاق الـنعـال طيب حُـجـزاتُهـم ... يُحَيّـونَ بـالـرَّيْحـانِ يَـوْمَ السَّبـاسِب

فسروا طيب حجزاتهم أنهم أَعِفَّـاء. وكذلك ﴿فنفخنا فيـه من روحنا﴾، أي في فرج ثوبها.

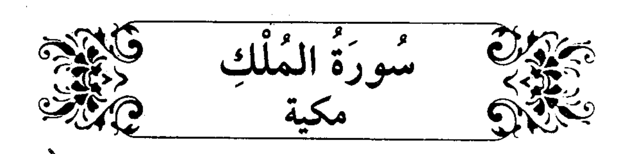
---

(١) سورة هود/ ٤٦.

(٢) من قصيدته التي أولها:

كـلـيني لهـم يـا أميـمـة نـاصـب ... ولـيـل أقـاسيـه بـطيء الـكـواكـب

وهي في الديوان ـ وكثير من كتب الأدب.



سُورَةُ المُلْكِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

جاء في التفسير أَنها تسمى المنجية، تنجي قارئها من عذاب القبر، وجاء في التفسير أن في التوراة: سورةُ الملك من قرأها في لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ.

وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ﴾: معناه تعالى وتعاظم.

قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾.

المتعلق بأيكم المضْمَرُ، والمعنى لِيَبْلُوَكُم فيعلم أيكم أحسن عَمَلاً علم ما وقع، واللّه عز وجل قد علم ما يكون منهم إلاَّ أَنَّ الجَزاء يجب بوقوع العَمَلِ منهم، وارتفعت «أي» بالابتداء، ولا يعمل فيها ما قَبلَها لأنها على أصل الاستفهام، وهذا مثل قوله: ﴿لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً﴾[1] وهذا عند النحويين في تَقْدِير التَّسْمِيَةِ، معناه معنى الألف وأم، إذا قلت: قد علمت أَيُّهم أَفْضَلُ، فالمعنى قد علمت أزيدٌ أَفضلُ أَمْ عمرٌو. فَعَلِمْت لا يعمل فيما بعد الألف، وكذلك لا يعمل في أي، والمعنى واحدٌ.ومعنى ﴿خَلَقَ الموتَ والحياةَ﴾ خلق لكم الحياة ليختبركم فيها وخلق الموت ليبعثكم ويجازيكم بأعمالكم.

وجاء في تفسير الكلبي خلق الموت في صورة كبش أملح[2] لا يمر بشيء

---

(١) سورة الكهف /١٢.

(١) الملحة من الألوان بياض تشوبه شعرات سود. وكبش املح بين الملحة.

إلا مات، ولا يطأ على شيء إلاَّ مَاتَ، ولا يجد رائحته شيء إلا مات، وخلق الحياة في صورة فرس بلقاء فوق الحمار ودون البغل، لا تمر بشيء إلا أَحْيَتْهُ ولا تطأ على شيء إلاّ أحيته ولا يجد ريحها شيء إلا حيي، واللّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله عز وجل: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾.

ويقرأ في خلق الرحمن من تفوُّتٍ بغير ألف، ويجوز في تفَاوُتٍ تَفَاؤُتٍ مهموز، تبدل الهمزة من الواو المضمومة، ويقال: تفاوت الشيء تفاوتاً وتفوَّت تفوُّتاً إذا اختلف، فالمعنى ما ترى في خلقه السماء اختلافاً ولا اضطراباً.

ومعنى طباقاً مطبق بعضها عَلَى بَعْضٍ، طباق مصدر طوبقت طباقاً.

وقوله: ﴿فَارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾.

أي هل ترى فيها فروجا أو صَدُوعاً.

﴿ثم ارْجِعِ البَصَر كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إلَيْكَ البَصَرُ خاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ﴾.

﴿خاسئاً﴾ منصوبٌ على الحال، ومعناه صَاغِراً، وهو حَسِيرٌ، قد أَعْيَى من قبل أَنْ يَرَى في السَّمَاءِ خَلَلاً.

وقوله: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾.

بالنصب والرفع، والنصب يكون عطفاً على قوله: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهم عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ ﴿وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم﴾، أي وأَعتدنا للذين كفروا بِرَبِّهِمْ عَذَابَ جهنم.

قوله: ﴿وَلَقَدْ زَيَنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾.

معناه التي تدنو منكم من سبع السموات.

وقوله: ﴿بِمَصَابِيحَ﴾ يعني الكواكب.

وقوله عز وجل: ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً﴾. وهو أقبح الأصوات وهو كصوت الحمار.

وقوله: ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾، معناه تكاد ينقطع مِنْ غيظها عليهم.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُها أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ. قالوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نذيرٌ﴾.

هذا التوبيخ زيادة لهم في العذاب. ثم اعترفوا بجهلهم فقالوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

أي لو كنا سَمِعْنَا سَمْعَ مَن يَعِي ويُفَكِّرُ مَا كنا في أصحاب السعير، أَو يَعْقِل عَقْل من يُمَيِّزُ وينظُر ما كنا في هل النَّار.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً﴾.

ويروى فَسُحُقاً بضم الحاء.

﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾، «سُحقاً» منصوب على المصدَر، المعنى أَسْحَقَهُم اللَّهُ سُحقاً، أَي بَاعَدَهُم اللَّه من رحمته مُبَاعَدَةً، والسحيق البعيد.

وقوله: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾.

معناه في جبالها، وقيل في جوانبها، وقيل في طرقها. وأشبهُ التفسير ـ واللَّه أعلم ـ تفسير من قال في جبالها، لأن قوله: ﴿هو الذي جَعَل لَكم الأَرْضَ ذَلُولاً﴾، معناه سهل لكم السُّلُوكَ فيها، فإذا أمكنكم السلوك في جبالها فهو أَبْلَغُ في التَّذْلِيل.

قوله: ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾.

معناه إن اللَّه الذي خلق السموات بغير عَمَدٍ لا تفاوت فيها وخلق الأَرْضَ وذللها لكم قادر على أن يَنْشُرَكم، أي يبعثكم.

وقوله: ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾: معنى تمور تَدُورُ.

وقوله: ﴿أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً﴾، أي كما أرسل على قوم لُوطٍ الحجَارَة التي حَصَبَتْهُمْ.

وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾.

بين لهم بخلق السموات والأَرَضِينَ مَا دَلَّهم على توحيده، وَبَيَّن لهم بتسخير الطَّيْرِ في جو السماء صَافَّاتٍ أَجْنِحَتهُنَّ وقابضاتها، ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمن﴾ بِقُدْرَتِهِ.

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

أعلم اللَّه - عز وجل - أن المؤمن سالك الطريقة المستقيمة، وأن الكافر في ضلالته بمنزلة الذي يمشي مكباً على وجهه، وجاء في التفسير أن الكافر يمشي على وجهه في الآخرة. وَسُئِلَ رسول اللَّه ﷺ: كيف يمشون على وُجُوهِهِم فقال: الذي مشاهم على أرجلهم قَادِرٌ على أن يُمْشِيَهُمْ على وُجُوهِهِمْ.

وقوله: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وقرئت «سُيْئَتْ» بِإِشْمَامِ السِينَ الضَّمَّ، ويجوز «سِيتْ» على طرح الهمزة، وإلقاء الحركة على الياء.

والمعنى فلما رأوا العذاب زلفةً، أَيْ قريباً، سِيَتْ وجوه الذين كفروا. تَبين فيها السوء.

﴿وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدَّعُونَ﴾.

وقُرِئَتْ ﴿تَدْعُونَ﴾، من دعوت أَدْعو، فَأَمَّا تَدَّعُونَ، فجاء في التفسير تُكَذِّبُونَ، وتأويله في اللغة هذا الذي كنتم من أجله تَدَّعُون الأباطيل والأكاذيب، أي تدعون أنكم إذَا مِتُّم وكنتم تراباً وعظاماً أَنَّكُمْ لا تُخْرَجُونَ. ومن قَرَأَ تَدْعُونَ. بالتخفيف - فالمعنى هذا الذي كنتم به تستعجلون وتدعون اللَّه في قولكم: ﴿اللَّهُمَّ إنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيم﴾[1].

ويجوز أن يكون معنى تَدَّعُونَ هذا أيضاً تَفْتَعِلُونَ، من الدعاء. وتفتعلون من الدِعوى، يجوز ذلك - واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾.

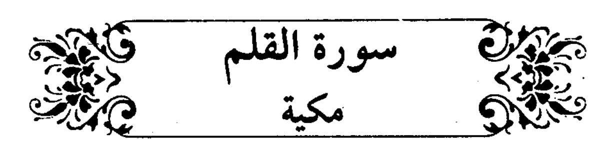
أي غائِراً، وهو مصدرٌ يوصف به الاسم، فتقول: ماء غَوْرٌ، وماءَان غَوْرٌ ومياه غَوْرٌ. كما تقول: هذا عَدْلٌ وهذَان عَدْلٌ وهؤلاء عَدْلٌ.

ومعنى مَعِين جارٍ من العُيونِ. وجاء في التفسير طاهر، والمعنى أَنَّهُ يظهر من العُيُونِ.

---

(١) سورة الأنفال: /٣٢.





سورة القلم
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿نُونْ والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

قرئت بإدغام النون في الواو، وقرئت بتبيين النون عند الواو، وقرئت نُونَ والقلم - بفتح النون. وَالَّذِي اختارَ إِدْغام النون في الواو كانت الواو ساكنةً أَوْ متحركة. لأن الذي جاء في التفسير يُبَاعِدُهَا من الإسكان والتبْيين، لأن من أسكنها وبينها فإنما يجعلها حرفَ هجاء والذي يدَّغِمُهَا فجائز أن يَدَّغمها وهي مفتوحة.

وجاء في التفسير أن «نُونْ» الحوتُ التي دُحِيت عَلَيْهَا سَبْعُ الأرضين[١] وجاء في التفسير أيضاً أن النون الدواة، ولم يجىء في التفسير كما فسرت حروف الهجاء، والإِسْكانِ لا يَجُوز أن يكون فيه إلّا حرف هجاء.

وجاء في التفسير أن أول ما خلق اللَّه القلم، فقال له: اكتب، فقال: أيْ ربِّ، وما أكتب؟ قال: القدر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وجرى فيما جرى به القلم: ﴿تبت يدا أبي لهب﴾

وقوله: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

معناه: وما تكتب الملائكة.

وقوله: ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾.

---

(١) كذا استعمل الحوت مؤنثاً.

هذه مسألة من أبواب النحو، تحتاج إلى تبيين.

قوله: ﴿أنت﴾ هو اسم ﴿ما﴾، و﴿بمجنون﴾ الخبر، و﴿بنعمة ربك﴾ موصول بمعنى النفي.

المعنى: انتفى عنك الجنون بنعمة ربك، كما تقول: أنت بنعمة اللَّه فَهِمٌ، وما أنت بنعمة اللَّه جاهل. وتأويله: فارقك الجهل بنعمة اللَّه، وهذا جواب لقولهم: ﴿وَقَالُوا يا أَيُّها الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[1].

قوله: ﴿وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾.

أي: غير مَقطوع، وجاء في التفسير: غير محسوب.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾.

قيل: على «الإسلام»، وقيل: على القرآن. والمعنى ـ واللَّه أعلم ـ أَنت على الخلق الذي أَمرك اللَّه به في القرآن.

قوله: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ، بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾.

معنى المفتون: الذي قد فُتِنَ بالجنون. قال أبو عبيدة، معنى الباء الطرح، المعنى: أيكم المفتون. قال: ومثله قول الشاعر:

نضرب بالسيف ونرجو بالفرج[2]

---

(١) سورة الحجر الآية ٦.

(٢) لرجل من بني جعدة. أورده المغني شاهداً على زيادة الباء وهو في شواهد المغني ١١٤، ولم يذكر شيء قبله ولا بعده، وفي الخزانة ٤/١٥٩، وفي مجاز أبي عبيدة جـ٢ ص ٥ عند الآية ﴿وهُزّي اليكِ بِجِزْعِ النَّخْلَةِ﴾(من سورة مريم)، وفي سورة «نون» وقبله:

نحن بنو جعدة أصحاب الفَلَج.

يقال فلج بحجته وفي حجته ـ يفلج ـ كينصر ـ فلجاً وفلجاً ـ بضم الفاء وفتحها وفَلَجا ـ كبطر ـ فاز وأصحاب الفلج أصحاب الفوز.

قال معناه: نرجو الفرج. وليس كذلك. المعنى: نرجو كشف ما فيه نحن بالفرج، أو نرجو النصر بالفرج. والباء في بأيكم المفتون لا يجوز أن تكون لغواً، وليس هذا جائزاً في العربية في قول أحد من أهلها.

وفيه قولان للنحويين. قالوا: المفتون ههنا بمعنى الفتون، المصادر تجيء على المفعول. تقول العرب: ليس لهذا معقول. أي عقل. وليس له معقود رأي، بمعنى عقد رأى. وتقول: دعه إلى ميسور. بمعنى: إلى يسر. فالمعنى: فستبصر ويبصرون بأيكم الفتون. وفيه قول آخر: بأيكم المفتون بالفرقة التي أنت فيها، أو فرقة الكفار التي فيها أبو جهل والوليد بن المغيرة المخزومي ومن أشبههم. فالمعنى على هذا: فستبصر ويبصرون في أي الفريقين المجنون. أفي فرقة الاسلام أم في فرقة الكفر.

وقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

أي: ودّوا لو تصانعهم في الدين فيصانعونك.

وقوله: ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهين﴾.

فعيل من المهانة، وهي القلة. ومَعناه ههنا القلة في الرأي والتمييز.

وقوله: ﴿هَمَّازٍ مَشَّاء بنَمِيمٍ﴾. الهماز الذي يغتاب الناس.

وقوله: ﴿مَنَّاعٍ لِلْخَيْر مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾.

معناه: كان يمنع أهله وَوَلده ولحمته من الإسلام. وجاء في التفسير أنه الوليد بن المغيرة المخزومي، وكان موسراً كثير المال، وكان له عشرة بنين فكان يقول لهم وللحمته: من أسلم منكم منعته رفدي.

وقوله: ﴿مُعْتَدٍ أَثيم﴾.

أي متجاوز في الظلم، وأثيم: أي أثيم بربه، أي أثيم باعتدائه وذنبه.

قوله عز وجل: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ﴾.

جاء في التفسير أن العُتُلَّ ههنا الشديد الخصومة، وجاء في التفسير أنه الجافي الخلق اللئيم الضريبة، وهو في اللُّغَةِ الغليظ الجافي.

والزنيم جاء في اللغة أنه الملزق في القوم وليس منهم، قال حسَّانُ بن ثابت الأنصاري[1].

وأنت زنيم نيط في آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفردُ

وقيل إن الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها، والزنمتان المعلقتان عند حلوق المِعْزَى.

وقوله عز وجل: ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾.

وقرئت على لفظ الاستفهام، والمعنى معنى التوبيخ، وَمَوْضِعُ «أَنْ» نَصبٌ على وجهين، على معنى أَلِأَنْ كان ذا مال وبنين يَقُولُ، ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾، فيكون «أن» نصْباً بمعنى قال ذلك لأن كان ذا مال وبنين، أي جعل مجازاة النَعَمِةِ التي خُوِّلَهَا في المال والبنين والكفر بآياتنا. وَإِذَا جَاءَتْ أَلِفُ الاسْتِفْهام فهذا هو القول لا يصلح غيره.

وقيل في التفسير: ولا تطع كل حلاف مهين أن كان ذا مال وبنين أي لَا تُطعْهُ لِيَسَارِهِ وعَدَدِهِ، وأساطيرُ مرفوعة بإضمار هي، المعنى إذا تتلى عليه آياتنا قال هي أساطير الأولين. وواحد الأساطير أسطورة.

وقوله عز وجل: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾.

---

(١) هجاء قاله للوليد بن المغيرة بن شعبة، وكان الوليد دَعِيًّا في قريش، ادَّعاه أبوه بعد ثماني عشرة سنة من عمره، وقيل بغت أمه ولم يعرف ذلك حتى نزلت هذه الآية. والبيت في الكشاف في هذه الآية ص ٢٥ جـ ٢٤ واللسان (زنم) والقرطبي ١٨/ ٢٣٤، والطبري ٢٩/ ١٥.
ونيط: علق ـ والقدح الفرد، قعب الماء يعلق في آخر الرحل ـ أي كما يكون قدح الماء وحده منعزلاً عن بقية المتاع.

معناه سنسمه على أنفه، والخرطوم الأنف، ومعنى سنسمه سنجعل له في الآخرة العلم الذي يعرف به أهل النار من اسوداد وُجُوهِهِمْ. وجائز ـ واللَّه أعلم ـ أن يفرده بِسِمَةٍ لمبالغته في عداوة النبي عليه السلام. فيخصّ من التشويه بما يتبين به من غيره كما كانت عداوته لرسول اللَّه ﷺ عداوةً يُتَبَيَّنُ بها من غيره.

وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّها مُصْبِحِين﴾.

والجنة البستان، وهؤلاء قوم بناحية اليمن كان لهم أب يتصدق من جنته على المساكين، فجاء في التفسير أنه كان يأخذ منها قوت سنته، ويتصدق بالباقي، وجاء أيضاً أنه كان يترك للمساكين ما أخطأه المنجل، وما كان في أسفل الأكداس، وما أخطأه القطاف من العنب وما خرج عن البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صُرِمَتْ، فكان يجتمع من ذلك شيء كثير، فقال بنوه: نحن جماعة، وإن فعلنا بالمساكين ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر فحلفوا لَيَصْرِمُنَّها بِسُدْفة من الليل، قال اللَّه عز وجل: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾.

فحلفوا ولم يقولوا: إن شاء اللَّه، فلما كان الوقت الذي اتَّعَدُوا فِيه بسدفة. غدوا إلى جنتهم ليصرموها.

﴿وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ﴾.

من قولهم: حاردت السنة إذا منعت خيرها. وقيل على غَضبٍ. فأما الحرد الذي هو القصد فأنشدوا فيه:[1]

أقبل سيل جاء من أمر اللَّه ... يَحْرِدَ حَرْدَ الجنَّةِ المُغِلَّةِ

(١) انظر اللسان (حرد) والكشاف ٤/ ١٢٩، ومعاني الفراء ٣/ ١٧٦ بتغيير طفيف ـ والكامل للمبرد ١/ ٢٩٠ وروايته به قد جاء سيل جاء.

أي يقصد قَصْدَ الجنَّةِ المغلّةِ.

﴿فَلَمّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

أي أرسل عليها عذاباً من السماء فاحترقت كُلُّها.

﴿فَأَصْبَحَتْ كالصَّريم﴾.

أي فأصبحت كالليل سواداً.

﴿فتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ، أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾.

أي إن كنتم عازمين على صرام النخل.

﴿فانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ﴾.

أي يسرون الكلام بينهم بأن: ﴿لَا يَدْخُلَنَّها اليَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾.

والتخافِتُ إسرار الكلام.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ مُحْتَرِقَةً.

﴿قَالُوا: إِنَّا لَضَالُّونَ﴾، أي قد ضللنـا طريق جَنَّتِنَـا، أي ليست هـذه، ثم عَلِمُوا أَنَّهَا عُقُوبَةٌ فقالوا:

﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾.

أي حُرِمْنَا ثَمَرَ جنتنا بمنعنا المساكين.

﴿قَال أَوْسَطُهُم: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿أوسطهم﴾ اعدلهم من قوله: وكذلك جعلناكم أُمَّةً وَسَطاً أي عَدْلاً ﴿لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ قال لهم: استثنوا في يمينكم، لأنهم أقسموا لَيَصْرِمُنَّهَا مصبحين ولم

يستثنوا. ومعنى التسبيح ههنا الاستثناء، وهو أَنْ يَقول: إن شاء اللّه.

فإن قال قائل التسبيح أن يقول: سبحان اللّه، فالجَوابُ فِي ذلكَ ان كل ما عظمت اللّه به فهو تسبيح، لأن التسبيح في اللغة فيما جاء عن النبي عليه السلام تنزيه اللّه عن السوء. فالاستثناء تعظيم اللّه والإقرار بأنه لا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَفعل فِعْلاً الا بمشيئتِهِ ـ عز وجلّ.

فالمعنى في قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُم كَمَا بلونا أصحاب الجنة﴾، إنا بلونا أهل مكة حين دعا عليهم رسول اللّه ﷺ فقال: اللهم اشدد وطأتك على مُضَرَ واجعلها عليهم سنين كسني يوسف، فابتلاهم اللّه بالجرب والهلاك وذَهَابِ الأقواتِ كما بلى أصحاب هذه الجنة باحتراقِها وذهاب قوتهم منها.

وقوله: ﴿أَفَنَجْعَلُ المُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

هذه الألف ألف الاستفهام، ومجازها ههنا التوبيخ والتقرير. وجاء في التفسير أنَّ بعض كفار قُرَيْشٍ قال: إن كان ما يذكرون أن لهم في الآخرة حَقًّا، فإن لنا في الآخرة أكبر منه كما أنا في الدنيا أفضل منهم. فوبخهم اللّه فقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كالْمُجْرِمِين﴾.

وكذلك: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾.

معناه على أي أحوال الكفر تخرجون حُكمَكُمْ.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ، إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾.

أي أعندكم كتاب من اللّه عز وجل أن لكم لما تخيرونَ.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ﴾، معناه مؤكدة ﴿إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾.

أي حَلِفٌ على ما تَدَّعُونَ في حكمكم.

قوله: ﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ﴾.

والزعيمِ الكفيل والضَامِنِ، والمعنى سلهم أَيُّهُمْ كَفَلَ بِذَلِكَ.

قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إنْ كَانُوا صَادِقِينَ. يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾.

أي فليأتوا بشركائهم يوم القِيَامةِ.

ومعنى ﴿يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ في اللغة يُكشَفُ عن الأمر الشديد، قال الشاعر:

قد شمرت عن ساقها فشُدُّوا   وجدت الحرب بكم فَجِدُّوا

والقوس فيها وتر عُرُدٌّ[1].

وجاء في التفسير عن أحمد بن عبد اللّه بن أحمد بن حَنْبَل قال ثنا أبي، قال ثنا محمد بن جَعْفَرٍ يعني غندر[2]، عن شعبة عن مغيرة عن إبراهيم قال، قال ابن عباس في قوله: يكشف عن سَاقٍ عن الأمر الشديد. وقال ابنُ مَسْعُودٍ: يكشف الرحمن عن ساقه، فأَما المؤمنون فيخرون له سُجَّداً وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقاً طبقاً كأن فيها السفافيد[3].

فهذا ما روينا في التفسير وما قاله أهل اللغة.

قال أبو إسحاق: هذا تأويل قوله ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾. يعنى به المنافقُونَ.

---

(١) انظر الكامل ١/٢٢٤. حيث ورد هذا الرجز في خطبة الحجاج أول ما قدم اميراً على العراق. والشطر الثالث في اللسان (عرد). والعرد الشديد.

(٢) كذا في الأصل ولم أقف لهذا الاسم على ضبط، ولم أعرف له ترجمة.

(٣) منحنية، والسفافيد جمع سفود، وهو الحديدة يوضع فيها اللحم ليشوى على النار.

وقوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾: معناه تَغشاهم ذِلَّةٌ.

﴿وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾، يعنى به في الدنيا.

وقوله: ﴿فَذَرْني وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الحَدِيثِ﴾.

ومثله: ﴿ذَرْني ومن خَلَقْتُ وَحِيداً﴾، معناه لا تَشْغَلْ قَلْبَكَ بِـهِ، كِلْهُ إليَّ فإنِّي أُجَازيه، ومثله قول الرجل: ذرني وإيـاه. وليس أنه مَنَعـه بِهِ ولكن تـأويله كِلْهُ إليَّ فَإنِّي أَكْفِيكَ أَمْرَه.

وقوله: ﴿فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الحُوتِ﴾.

يعني: يونس عليه السلام.

﴿إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾: أي مملوء غَمّاً وكرباً.

وقوله: ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بالعَراءِ، وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾.

والمعنى أنه قد نبذ بالعراء وهو غير مذمـوم، ويدل على ذلـك أن النّعمة قد شَمِلَتْه.

قوله: ﴿فاجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾.

هذا تخليصٌ له من الذَّمِ، والعراء المكان الخالي قال الشاعر:

رفعتُ رجـلا لا أخـاف عثـارهـا ونبـذت بـالبلد العـراء ثيـابي[1]

قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾.

وقـرئت ليزهقـونك ـ بـالهاء ـ ولكن هـذه تخالف المصحف أعني الهـاء والقراءة على ما وافق المصحف.

وهـذه الآية تحتـاج إلى فصل إبـانةٍ في اللغـة فأمـا ما رُوِيَ في التفسيـر

---

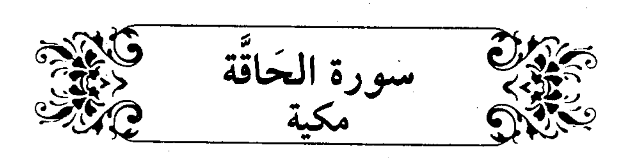
(١) تقدم.

(٢) أن يعاينه ليحسده، وتصيبه عينه بشر.

فروي ان الرجل من العرب كان إذا أراد أن يعتان شيئا. أي يصيبَه بـالعين تجوع ثلاثة أيام، ثم يقول للذي يـريد أن يعتـانه: لاَ أَرَى كـاليوم إبـلاً أَو شاءً أو مـا أراد. المعنى لَمْ أَرَ كإبـلٍ أَراهـا اليوم إبـلاً فكان يصيبهـا بالعين بهـذا القول، فقالوا للنبي ﷺ لما سمعوا منه الذكر كما كانوا يقولون لمـا يريـدون أَنْ يُصِيبُوه بالعين.

فـأما مـذهب أهل اللغـة فالتـأويل عنـدهم أنـه من شـدة إبْغَـاضِهِمْ لـك وعـدوانهم يكـادون بِنَـظَرهم نَـظَر البغضـاء أن يضـروك، وهــذا مستعمـل في الكلام، يقول القائل: نظر إليَّ نظراً يكاد يَصْرَعُنِي بِهِ، ونظراً يكاد يأكلني فيه، وتأويله كله أنه نظر إليّ نظراً لو أمكنه معه أكلي أَوْ أَن يَصْرَعَنِي لفَعَلَ.

وهذا بيِّن واضح، واللَّه أعلم.



سورة الحَاقَّة
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿الحاقَّةُ مَا الحَاقَّةُ﴾.

الأوَّلَةُ مرفوع بالابتداء، و«ما» رفع بالابتداء أَيْضاً، والحاقَّةُ الثانية خبر «ما» والعائد على «ما» الحاقةُ الثانيةُ، على تقدير ما هي، والمعنى تفخيم شأنها، واللفظ لفظ استفهام كما تقول: زيد ما هو، على تأويل التعظيم لشأنه في مَدْحٍ كان أَوْ ذَمٍّ، والحاقَّةُ السَّاعَةُ والقِيامة وسميت الحاقَّةُ لأنها تحق كل شيء يعمله إنسانٌ من خير أو شر. وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ﴾.

معناهُ أي شيء أعلمك ما الحاقَّة. و«ما» موضعها رفع، وان كان بعد أدراك لأن ما كان في لفظ الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، المعنى ما أعلمك أي شيء الحاقَّةُ. ثم ذكر اللَّه ـ عز وجل ـ من كذَّبَ بالحاقَّةِ والساعة وأمر البعث والقِيَامَةِ وما نزل بِهِمْ وَعْظاً لأمَّة محمد ﷺ فقال:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ﴾ أي بالقيامة.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بالطَّاغِيَةِ﴾.

ومعنى ﴿بالطاغية﴾ عند أهل اللغة بطغيانِهِمْ، وفاعِلَة قد يأتي بمعنى المصادِر نحو عافية وعاقبة. والذي يدل عليه معنى الآية. ـ واللَّه أعلم ـ أنهم أهلكوا بالرجفة الطاغية، كما قال:

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾.

يقال للشيء العظيم عاتٍ وعاتية، وكذلك أهلكوا بالطاغية، ودليل الوصف بالطغيان في الشيء العظيم قوله عز وجل:

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُم فِي الْجَارِيَةِ﴾.

فوصف الماء بالطغيان لمجاوزته القَدْرَ في الكَثْرةِ، وكذلك أهلكوا بالطاغية، والله أعلم.

وقوله: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ أي بريح شديدة البرد جدًّا، والصَّرْصَرُ شدة البردِ، وصَرْصَر متكرر فيها البرد، كما تقول قد قلقلت الشيء، وأقْلَلْتُ الشيء إذا رَفَعته من مكانه، إلاّ أن قلقلته رَدَدْتُه أي كرَّرْتُ رفعه، وأَقْلَلْتُه رفعته. فليس فيه دليل تَكْرِيرٍ، وكذلك صَرْصَرَ وَصَرَّ وصَلْصَلَ، وَصَلَّ. إذا سمعت صوت الصرير غير مُكَرَّرٍ قلت قد صَرَّ وَصَلَّ، فإذا أردت أن الصوت تكرر قلت: قد صَلْصَلَ، وصَرْصَرَ.

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً﴾.

معنى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ أقامها عليهم كما شاء، ومعنى ﴿حُسُوماً﴾ دائِمَةً، وقالوا مُتَابِعةً، فأما ما توجبه اللغة فعلى معنى تَحْسِمُهم حُسُوماً. أي تُذْهِبُهُمْ وتُفْنِيهِمْ.

وقوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾ أصول نخل، وقيل خاوية للنخل لأن النخل تذكر وتُؤَنَّثُ. يقال: هذا نخل حسنٌ، وهذه نخل حَسَنَةٌ، فخاوية على التأنيث. وقال في موضع آخر: ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾[1].

وقوله: ﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ﴾.

---

(١) سورة البقر / ٢٠.

وقُـرِئَتْ وَمَن قِبَلَهُ فمن قال: ومن قِبَلَهُ فمعناه وتباعُهُ، ومن قال ومَنْ قَبْلَه فالمعنى مَنْ تَقَدَّمَهُ.

﴿والمُؤْتَفِكاتُ بالخَاطِئَةِ﴾.

﴿المؤتفكات﴾ الذين ائتفكوا بِذُنُوبِهِمْ، أي أهلكوا بِذُنُوبِهِمْ الَّتي أعظَمُها الأفكُ، وهو الكذبُ في أمر اللَّه بأنهم كفروا وكذَّبوا بـالرُّسُـل فلذلك قيـل لهم مؤتفكـون، وكـذلـك الـذين ائتفكت بهم الأرض، أي خُسِفَ بِهِمْ إنمـا معنـاهُ انقلبت بِهِمْ كما يقلب بهم الكذاب الحقَّ إلى البَاطِلِ ومعنى﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ العظيم، والدليل على أن من عظيم آثامهم الكذِبُ قوله:

﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذهُمْ﴾.

لإنهم كذبوا رُسُلَهُمْ.

﴿أَخْذَةً رَابِيَةً﴾: معنى رابية تَزِيدُ عَلَى الأَحْدَاثِ.

وقوله عز وجل:﴿إنَّا لَمَّا طَغَى المَاءُ حَمَلْنَاكُمْ في الجَارِيَةِ﴾.

معنى طغى المـاء طما وارتفـع، ومعنى الجاريـة، أي سفينة نـوحٍ عليه السلام واللَّه أعلم.

وقوله:﴿لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾.

معنـاه لنجعل هـذه الفعلـة لكم تذكـرة، أي إغـراق قـوم نـوح ونجـاتـه والمؤمنين مَعَهُ.

وقوله:﴿وَتَعِيها أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾.

معنـاه أُذُنٌ تحفظ ما سَمِعَتْ وَتَعْمَـلُ بـه، أي ليحفظ السـامـع مـا سمـع ويعمل به. تقول لكل شيء حفـظته في نفسـك: قَدْ وَعَيْتُـه، يقال: قَـدْ وَعَيْتُ

العِلم وَوَعَيْتُ قُلْتَ، وتقول لما حفظته في غير نفسك: أَوْعَيْتُه، يقال أوعيت المتاعَ في الوعاء.

وقوله:﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾.

القراءة بالرفع في نفخة على ما لم يسم فاعله. وذكر الأخفش نفخةً وَاحِدةً بالنَّصْبِ ولم يذكر قريء بها أم لا، وهي في العربية جائزةٌ على أن قولك في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله، تقول: في الصور نفخاً، ففي الصور على لفظ الجر، والمعنى نفخ الصور نفخةً واحدةً، وهذا على من نصب نفخة واحدةً. ومن رفع فعلى مَعْنَى نُفِخَ نفخةٌ واحدةٌ فِي الصُّورِ. فأما تذكير نفخ فلو كان نفخت في الصور نفخة جاز لأنه تأنيثٌ ليس بِحقيقيٍّ، فتذكيره جَائِزٌ، لأن النفخة والنفخ بمعنًى وَاحِدٍ، ومثله ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّه﴾[1]، المعنى معنى الوعظ. وقال في موضع آخر: ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ موعظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

وقوله:﴿وانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾.

يقال لكل ما ضعف جدًّا قد وَهَى فهو واهٍ، ويجوز واهيةٌ بإمالة الألف والواو لكسر الهاء.

وقوله:﴿والمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾.

المعنى الملائكة على جَوَانِبَها، ورَجَا كل شيءٍ نَاحِيَتُه، مقصور، والتثنيةُ رَجَوان والجمع أَرْجَاءِ.

﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾.

يروى ثمانية أملاك أَرْجُلُهم في تخوم الأرض السابعة والعَرْشُ فوق رُؤُوسِهِم وَهُمْ مُطْرِقُونَ يُسَبِّحُونَ.

---

(١) سورة البقرة. الآية ٢٧٥.

(٢) سورة يونس. الآية ٥٧.

﴿فَأَمَّامَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَه﴾.

يروى إذا كان يوم القيامةِ عرض الخلق ثـلاث عَرَضـاتٍ في الاثنين منها الاحتجاج والاعتذار والتوبيخُ، وفي الثالثةِ تنشر الكتبُ فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله.

و «هاؤُمُ» أمر للجماعة بِمَنْزِلَةِ هَاكُمُ، تقول للواحد هَاءَ يَا رَجُلُ وللاثنين هاؤما يا رَجُلاَنِ، وللثلاثة هاؤم يا رجال، ولِلمَرْأَةِ هاءِ يا امرأَةُ ـ بكسر الهمـزة ـ وللاثنين هاؤما وللجَمَاعَةِ النِّسَاءِ هَاؤُنَّ. وفي هـذه ثلاثُ لُغَـات قد ذكـرتها في غير كِتَابِ القُرآنِ.

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَه﴾.

معناه إني أيقنتْ بأني أحاسب وأبعَثُ.

فأما «كتابيه» و «حسابيه» فالوجه أن يوقف على هذه الهَائَاتِ ولا تُوصِلْ، لأنها أدخلت للوقف، وقد حذفها قوم في الوصل ولا أحب مخالفة المصحف، ولا أن أقرأ بإثبات الهاء في الوصل. وهذه رؤوس آياتٍ فالوجـه أن يوقف عنـدها، وكذلك قوله: ﴿وَمَا أدراك ماهية﴾.

وقوله:﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.

معنـاه ذهبت عني حُجَّتِيَـهْ، والسُّلْطَانُ الحُجَّـةُ، وكـذلـك قيـل لـلأمـراء سلاطين لأنهم الذينَ تُقام بِهِمُ الحججُ والحُقُوقُ.

وقوله: ﴿قُطُوفُها دَانِيَةٌ﴾.

معناه تدنو من مريدها لا يَمْنَعُه مِنْ تَناولها بُعْدٌ وَلَا شَوْكٌ.

وقوله: ﴿في الأَيَّامِ الخَالِيَةِ﴾، ومعناه في الأيام التي مَضَتْ لهم.

قوله: ﴿صَلُّوهُ﴾ المعنى اجعلوه يصلى النَّارَ.

قوله ﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾: معناه من صديد أهل النار، واشتقاقه مما ينغسِلُ مِنْ أبدَانِهِمْ.

وقوله: ﴿قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ﴾، و ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾.

«ما» مُؤَكِّدَة، وهي لَغْوٌ في باب الاعراب، والمعنى قليلا يُؤْمِنُونَ وقَلِيلاً يَذَّكَّرُونَ.

وقوله: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

رفعه بِهُوَ مُضْمِرَةً يدل عليها قوله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾، [أي] هُوَ تَنْزِيل من رَبِّ العَالَمِينَ.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأقَاوِيلِ﴾.

يعني به النبي ﷺ ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾ أي بالقُدْرَةِ والقوَّة وقال الشماخ:[1]

إذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

قوله: ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الوَتِينَ﴾: الوتين نياط القلب.

﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾، حاجزين من نعت أحد، وَأَحَدٌ في معنى جميع، المعنى فما منكم قوم يحجزون عنه.

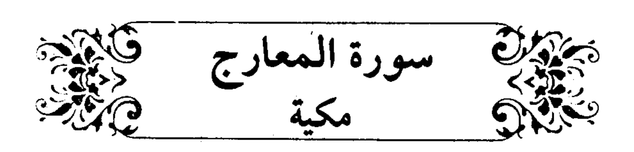
وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ اليَقِينِ﴾، المعنى أنَّ القُرآن لليقين حقُّ اليقين.

قوله: ﴿فَسَبِّحْ باسمِ ربِّكَ العَظِيمِ﴾:

التسبيح معناه تَنْزِيهُ اللَّهِ مِنَ السُّوءِ وتنزيهه تعالى.

---

(١) في ديوانه /٩٢، ومعاهد التنصيص. وابن يعيش ٢/٣١، واللسان (يمن) والقرطبي ٢٣/٤٩ والحلبي ومعاني القرآن للفراء ٢/٣٨٥.



سورة المعارج
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴾.

وقرئ سال بغير همز، يقال: سألت اسأل، وسَلْتُ أَسَالُ، والرجلان يتساءلان ويتساوَلان بمعنى واحِدٍ. والتأويل دَعَا دَاعٍ بعذاب واقع. وذلك كقولهم: ﴿اللَّهُمَّ إنْ كانَ هذا هُوَ الحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1].

وقيل معنى سأل سائِلٌ بعذاب، أي عن عذاب واقع، فالجواب قوله: ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.

أي يقع بالكافرين، وقيل أن سال سايل بغير همز، سايل وَادٍ في جهنم.

وقوله:﴿ذِي الْمَعَارِجِ ﴾.

قيل معارج الملائكة، وقيل ذي الفَوَاصِل.

وقوله:﴿تَعْرُجُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

جاء في التفسير أَنَّه يَوْمُ القِيَامَةِ، وجاء أَيضاً أن مقداره لو تكلفتموه خمسون ألف سنة، والملائكة تعرج في كل يوم واحِدٍ. وقرئت: تعرجُ

(١) سورة الأنفال /٣٢.

الملائكةُ ويعرج الملائكة. وقيل منـذ أول أَيَّام ِ الـدُّنيا الى انقضـائها خمسـون ألف سنة. وجائز أن يكون «في يوم» من صلة «واقع»، فيكون المعنى سال سائل بعذاب واقع في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، وذلك العذابُ يقع في يوم القيامة.

وقوله عز وجل: ﴿فاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً﴾.

هذا يدل على أن ذلك قبل أن يؤمر النبي عليه السلام بالقتال.

قوله: ﴿إِنَّهُم يَرَوْنَه بَعِيداً. وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

يـرونه بعيـداً عندهم كـأنهم يستبعدونـه على جهة الإحالـة، كمـا تقـول لِمُنَاظِرِكَ: هذا بعيد لا يكون.

وقوله: ﴿وَنَرَاهُ قَرِيباً﴾.

أي صحيحـاً يقرب فَهْمُ مثله بمـا دل اللَّه على يـوم البعث بقـولـه: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الذي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾، وما أشبه هذا من الاحتجاجات في البعث.

وقوله: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالمُهْلِ ، وتَكُونُ الجِبَالُ كالعِهْنِ﴾.

العِهْنُ الصوفُ، والمهل دُرْدِيُّ الزَّيْتِ[١].

﴿ولَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾.

وقرئت ولا يُسْأَلُ حَمِيمٌ. فمن قرأ ولا يَسْأَلُ فالمعنى أنهم يعرف بعضهم بعضاً، ويدل عليه قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُـمْ﴾.

ومن قـرأ ولا يُسْأَل حَمِيمٌ حَمِيمـاً. فالمعنى لا يُسْـأَل قريب عن قـرابته، ويَكُونُ ﴿يُبصَّرُونهم﴾ ـ واللَّه أعلم ـ للملائكة.

وقوله: ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتي تُؤْوِيه﴾: معناه أدنى قبيلته منه.

---

(١) ما يبقى أسفله.

وقوله: ﴿كَلَّا إِنَّها لَظَى﴾.

«كَلَّا» ردع وتنبيه، أي لَا يَرجِعُ أحدٌ من هؤلَاء فاعتبروا.

وقرئت ﴿نَزَّاعَةً للشَّوَى﴾. والقراءة نَزَّاعَةٌ، والقراء عليها وهي في النحو أَقْوى مِنَ النَّصْبِ. وذكر أَبو عُبَيْدٍ أنها تجوز في العربيَّةِ، وأنه لا يَعْرِفُ أَحَداً قَرَأَ بها. وقد رويت عن الحسن، واختلف فيها عن عَاصِمٍ، فَأَما ما رواه أبو عمرو عن عاصم فَنَزَّاعَةً - بالنصب - وروى غيره نَزَّاعةٌ - بالرفع -.

فأَما الرفعُ فَمِنْ ثَلاث جِهَاتٍ، أحدها أن تكون «لَظَى» و «نَزَّاعة» خبراً عن الهَاءِ والألِفِ، كما تقول: إنه حُلْوٌ حَامِضٌ، تريد أنه جمع الطعمين، فيكون الهاء والألف إضماراً للقصة[1]، وهو الذي يسميه الكوفيون المجهول، المعنى أن القصة والخبر لظى نزاعة للشوى، والشوى الأطراف، اليَدَانِ والرِّجْلَانِ والرأسُ، والشوى جمع شواه، وهيْ جلدة الرأس، قال الشاعر[2]:

قالت قتيلة ماله قد جُلِّلَتْ شيباً شواته

فأما نصب ﴿نَزَّاعَة﴾ فعلى أنها حال مؤكدة كما قال: ﴿وَهُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً﴾ وكما تقول أنا زيدٌ معروفاً، فيكون نزاعة منصوباً مُؤَكِداً لأمر النار، ويجوز أن ينصب على معنى أنها تتلظى نَزَّاعَةً كما قال جل ثناؤه: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى﴾. والوجه الثالث في الرفع يرفع على الذَّمِ بإضمار هي على معنى هي نزاعة للشوى.

ويكون نصبها أيضاً على الذم فيكون نصبها على ثلاثة أوجه.

وقوله: ﴿تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾.

---

(١) أي ضمير الشان

(٢) هو الأعشى. اللسان (شوى) والطبري ٢٩/٤٢، والقرطبي ١٨/٢٨٨، ومجاز ابي عبيدة ٢/٢٦٩.

تدعو الكافر باسمه والمنافق باسمه.

وقوله: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾.

الهلوع على ما في الآية من التفسير يفزع ويَجْزَعُ مِنَ الشَّرِ.

وقوله: ﴿إذا مَسَّهُ الشَّرُ جَزُوعاً، وإذا مَسَّهُ الخَيْرُ منوعاً﴾.

الانسان ههنا في معنى الناس، ! فاستثنى اللَّه ـ عز وجل ـ المؤمنين المصلين فقال: ﴿إِلَّا المُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾.

يعني به المحافظين على الصلاة المكتوبة، ويجوز أن يكون الذين لا يُزِيلُونَ وجوههم عن سمت القبلة ولا يلتفتون، فيكون اشتقاقه من الدائم وهو الساكن، كما جاء النهي عن البول في الماء الدائم، والمحروم الذي هو محارف قد حرم المكاسب. وهو لا يَسْأَلُ[1].

وقوله عز وجل: ﴿وَآلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غيرُ مَلُومِينَ﴾. [أي] على هؤلاء.

وقيل إنَّها في مَعنى «منْ» المعنى عند قائل هذا إلَّا مِنْ أَزْوَاجِهِم أو ما ملكت وقيل إن «على» محمول على المعنى، المعنى فإنَّهُم لاَ يُلاَمُونَ على أزواجهم، ويدل عليه ﴿فإنهم غير ملومين﴾.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾.

معناه في العُدْوَانِ. وهي المبالغة في مخالفة أمر اللَّه ومجاوزة القدر في الظُّلِمْ.

وقيل: ﴿فَمِنَ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ العَادُونَ﴾، أي من طلب غير الأزواج وَمَا ملكت الأيمان فقد اعتدى.

---

(١) المحازف ـ بفتح الراء: المحروم ـ والحرفة ـ أيضاً الحرمان ومن هذا قول عمر: لحرفةُ أحدهم أشد على من عيلة.

والعَادُونِ جَمْعُ عَادٍ وَعَادُون.

قوله :﴿والَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

أي يَرْعَوْنَ العهد والأمانة ويحافظون عليها. وكل محافظ على شيء فهو مُرَاعٍ له. والإمام راعٍ لرعيته.

وقوله: ﴿فَمَا لِلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾.

﴿مهطعين﴾ منصوب على الحال، والمهطع المقبل ببصره على الشيء لا يزايله، لأنهم كانوا ينظرون إلى النبي عليه السلام نظر عداوة، قال اللَّه تعالى: ﴿وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1]، معناه غيظاً وحنقاً.

قوله: ﴿عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾.

حَلَقاً حَلَقاً وجماعةً جماعة، وعِزِينَ جمع عزة، فكانوا عن يمينه وشِمَالِه مجتمعين، فقالوا إن كان أصحاب محمد يدخلون الجنة فإنا ندخلها قبلهم، وإن أعطوا فيها شيئاً أُعطِينا أكثر منه، فقال عز وجل:

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَدْخُلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

وقرئت أَن يَدْخُل جنة نعيم. ثم قال:

﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾.

أَي من تراب ومن نطفة، فأي شيء لهم يدخلون به الجنة، وهم لك على العداوة وعلى البغضاء.

وقوله: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ المَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ، عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ﴾.

معناه فأقسم برب المشارق والمغارب، و «لا» مؤكدة كما قال:﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ

---

(١) سورة الأعراف /١٩٨.

أَهْلُ الكِتَابِ﴾، ومعناه‌ليعلم أهل الكتـاب، ومعنى ﴿رب المشارق والمغارب﴾ أي مشارق الشمس ومغاربها، وكذلك القَمَرُ، وهي مشارق الصيف ومشارق الشتاء وَمَغَارب الصيف، ومغارب الشتاء فتشرق الشمس كل يوم من مشـرق، وتغرب من مغرب، وكذلك القَمَرُ.

وقوله:﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

﴿يخوضوا﴾جواب الأمر مجزوم، وقيل إنه مجزوم وإن كان لفظه بغير آلةِ الأَمْرِ لأنه وضع موضع الأمر، كأنه قال ليخوضوا ولِيَلْعَبُوا. وهذا أَمْرٌ على جهـة الوعيد، كما تقول: اصنع ما شئت فإني أعاقبك عليه.

وقد مر تفسير هذا مستقصًى.

وقـوله عز وجـل: ﴿يَوْمَ يَخْـرُجُونَ مِنَ الأجْـدَاثِ سِـرَاعـاً [كَـأَنَّهُمْ إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ]﴾.

والأحداث القبور واحدها جَدَثٌ، ويقال أيضـاً حَدَفٌ في هـذا المعنى، وقرئت إلى نَصْبٍ يوفِضُونَ وَإلى نُصْبٍ - بضم النون وسُكُـونِ الصاد، وقُـرِئَتْ إلى نُصُبٍ بضم النـون والصـاد، فمن قَـرَأَ نُصْب، فمعنـاه كـأنهم إلى علم مَنْصُـوبٍ لهم، ومن قرأ إلى نُصُبٍ فممعنـاه إلى أَصْنَامٍ لهم، كمـا قـال: ومـا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ.

ومعنى ﴿يُوفِضُونَ﴾ يُسْرِعُونَ، قال الشَّاعِر[1]:

لأنْــعَتَــنْ نَـعَــامَــةً مِـيــفَــاضَــاً خَـرْجَـاءَ تعــدو تـطلب الأضــاضـا

الميفاض السريعة، وخرجاء ذات لونين سَوَادٍ وبياضٍ، ومعنى الأضاض الموضع الذي يُلْجَأُ إليه، يقال أَضَّتني إليك الحاجة أَضَاضاً.

(١) البيت في اللسان (أضض) الطبري ٢٩/ ٨٩.- ولم يذكره قائله.
معاني القرآن للفراء ٢/ ١٨٦.

قوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ أي تغشاهم ذِلّةٌ.

وقوله: ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾.

قرئت بالفتح والكسر، فمن قرأ بِكَسْرِ يَوم فَعَلَى أَصْل الإضافة لأن الذي يضاف إليه الأول مجرور بالإضافة[1]. ومن فتح يوم فلأنه مضاف إلى غير متمكن مضاف إلى «إذْ»، و«إذْ» مبهمة، ومعناه يوم إذ يكون كذا وكذا، فلما كانت مبهمة وأضيف إليها، بني المضاف إليها على الفتح، كذلك أنشدوا قول الشاعر[1]:

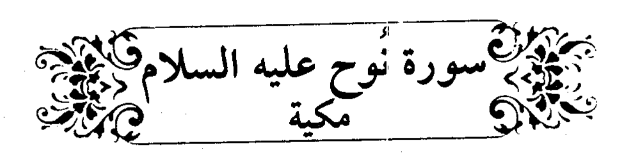
لم يمنع الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أو قال

فلما أضاف «غير» إلى «أن» بناها على الفتح، وهي في موضع رفع، والرفْعُ أيضا قَد رُوِيَ، فقالوا «غيرُ» أن نطقت، كما قرئ الحرف على إعراب الجر، وعلى البناء على الفتح.

(١) في الأصل يضيف إليه.

(٢) تقدم.





سورة نُوح عليه السلام
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عَـزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَـا نُـوحاً إِلَى قَـوْمِهِ أَن أَنْـذِرْ قَوْمَـكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم﴾.

«أن» في موضع نصب بأرسلنا، لأنَّ الأصْلَ بأن أَنْذِرْ قَوْمَكَ، فلما اسقطت الباء أفضى الفِعْلُ إلى أن فنصبها، وقد قال قوم يُرْتَضَى عِلْمُهُمْ إن موضع مِثْلِها جَرٌّ وإن سقطت الباء، لأن «أن» يحسن معها سقوط الباء. ولا تسقط من المصدر الباء، لأنك لـو قلت: إني أرسلتك بـالإِنْـذَارِ والتهـدد لم يُجِـزْ أن تقـول إني أَرْسَلْتُك الانذار والتهدُّدَ، ولو قلت إني أرسلتك بأن تُنْـذِرَ وان تهدد لجـاز واني أرسَلْتُكَ أن تنذر وأن تهدّدَ.

وأصل الإنذار في اللغة الإعلام بما يخاف منـه فيحذر، وان لا يتعـرض له ويجوز أن يكون «أَن» تفسير لما أُرْسِلَ بِهِ، فيكون المعنى: إنا أرسلنا نـوحاً إلى قومه أَيْ أَنْذِرْ قومَكَ.

﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ. أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونَ﴾.

أرسل اللَّه نوحاً وجميع الانبياء بالأمر بعبادته وإيثار تقواه وطاعة رسله.

وقوله: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾.

﴿يغفـر﴾ جزم جواب الأمر ﴿اعْبُـدُوا اللَّهَ﴾ واتقوه وأطيعوني يغفر لكم من

ذنوبكم، والنحويون البصريون كلهم ما خلا أبا عمرو بن العلاء لا يدَّغِمُونَ الراء في اللام، لا يجيزون يَغْفِر لَّكُمْ، وأبو عمرو بن العلاء يرى الإدغام جائزاً. وزعم الخليل وسيبويه ان الراء حرف مكرر متى أدغم في اللام ذهب التكرير منه، فاختلَّ الحرف، والمسموع من العرب وقرأه القراء إظهار الراء.

ومعنى ﴿من ذنوبكم﴾ ههنا - يغفر لكم ذنوبكم ودخلت «من» تختص الذنوب من سائر الأشياء، لم تدخل لتَبْعيض الذُّنُوب، ومثله قوله ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ﴾. معناه اجتنبوا الرجس الذي هو الأوثان ليس الرجس ههنا بعض الأوثان.

وقوله:﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، إن أَجَلَ اللَّه إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

معناه اتقوا اللَّه وأطيعون يؤخركم عن العذاب، أي يؤخركم فتموتوا غير ميتة المُسْتَأْصَلِين بِالعَذَابِ. ثم قال:﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ معناه إذا جاء الأجل في الموت لا يؤخر بعذاب كان أو باستئصال.

قوله:﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ في آذَانِهِمْ واسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾.

قيل إنهم كانوا يسدُّون آذانهم ويغطون وجوههم لئلا يسمعوا قَوْلَهُ، وليبالغوا في الاعراض عنه بتغطية الوجوه.

وقوله: ﴿وَأَصَرُّوا﴾: أقاموا ولم ينووا توبة منه.

﴿واستكبروا﴾: أخذتهم العزة من اتباع نوح والدليل على ذلك قوله: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ واتَّبَعَكَ الأَرْذَلُونَ﴾[1].

وقوله:﴿إِنِّي دَعَوْتُهم جِهَاراً﴾.

أي دعوتهم مظهراً لهم الدعوة، و«وجهاراً» منصُوبٌ مصدر موضوع موضع

---

(١) سورة الشعراء /١١١.

الحال. المعنى دعوتهم مجاهراً بالدعاء إلى توحيد اللَّه وتقواه.

﴿ثُمَّ إنّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إسْرَاراً﴾.

أي خَلَطْتُ لَهُمْ دُعَاءَهم في العلانيةَ بدعاء السر، فقلت: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إنَّهُ كَان غَفَّاراً﴾.

أي استدعوا مَغْفِرَةَ رَبِكُمْ.

﴿يُرْسِلِ السَّماءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً﴾.

وقيل إنهم كانوا قد أجدبوا، فَأَعْلَمَهُم أن إيمانهم باللَّه يجمع لهم مَعَ الحظِّ الوافِرِ في الآخرة. الخِصْبَ والغِنَى في الدنيا، ومدراراً: كثيرة الدَّر، أي كثيرة المطر.

﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾.

يعطيكم زينة الدنيا وهي المال والبنون.

﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾: أي بساتين.

وقوله عز وجل: ﴿مَالَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً﴾.

قيل: مَا لكم لَا تَخَافُونَ للَّه عَظَمةً، وقيل لا ترجون عاقبة، وحقيقته - واللَّه أعلم - مالكم لا ترجون عاقبة الايمان فتوحدون اللَّه وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم، ومن خلق السموات والأرضِينَ والشمس والقمر فقال:

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾.

أي طوراً بعد طورٍ، نقلكم من حالٍ إلى حالٍ ومن جِهَةٍ من الخلق إلى جهة - خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة، ثم جعل المضغة عظْماً، وكسا العظم لحماً ثُمَّ قَرَّرَهُمْ فقال:

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً﴾.

و ﴿طباقاً﴾ مَنْصُوبٌ على جهتين، إحداهما مُطَابِقَةً طِبَاقاً، والأخرى من نعت سبع أيْ خَلَق سبعاً ذات طباق.

﴿وَجَعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾.

قال أهل العربية: يجوز أن يكون في السماء الدنيا وقيل فيهن لأنهن كالشيء الوَاحِد، وجاء في التفسير أن وجه الشمس يضيءُ لأهل الأرضْ من ظَهْرها وقَفَاهَا ويضيء لأهل السموات وكذلك القمر.

﴿واللَّهُ أَنْبَتَكُم مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً﴾.

و﴿نباتاً﴾ محمول في المصدر على المعنى، لأن معنى «أنبتكم» جعلكم تنبتون نباتاً والمصدر على لفظ أنبتكم إنباتاً ونباتاً أبلغُ في المعنى.

قوله: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾، أي طرقاً بَيِّنَةً.

وقوله: ﴿وَوُلْدُه﴾ ويقرأ: ﴿وَوَلَدُه﴾.

والوَلَدُ والولد بمعنى واحِدٍ، مثل العَرَب والعُرْب، والعجم والعُجْمُ.

وقوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾.

يقال: مكر كبير وكُبَّار وكِبارَ في معنى واحد.

﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ ولا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعاً﴾.

وقُرِئَتْ وُدًّا ـ بضم الواو ـ.

﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً﴾.

هذه خمسة أصنام كانَتْ في قَوْمِ نُوحٍ يعبدونها. ثُمَّ صَارَتْ إِلَى العَرَبِ

فكان وُدّ لكلب، وكان سُواع لِهَمَدَان، وكـان يغوث لمـذحج، وكـان نسرٌ لحمَيـر وقرئت يغوثاً ويَعُوقاً.

ويغـوث ويعـوق لا ينْصَـرِفَـان لأنَّهُمَـا في وزن الفعـل وهمـا معـرفتـان، والقراءة التي عليها القـراء والمصحف ترك الصـرف. وليس في يغوث ويعـوق ألف في الكتاب، ولذلك لا ينبغي ان يقرأ: إلا بترك الصرف. والـذين صرفـوا جعلوا هـذين الاسمين الأغلب عليهما الصـرف إذ كان أصـل الأسماء عنـدهم الصَّرْفَ، أَو جعلوهما نَكِرَةً وإن كانا معرفتين، فكأنهم قالوا: ولا تذرون صنماً من أصنامكم، ولا ينبغي أن يقرأ بها لمخالفتها المصحف.

قوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ﴾.

ويقرأ مما خطاياهم، وخطيئة يجمع على خطايا. وخطيئات، وقَد فسَّـرنَا ذلك فيما سلف من الكتاب.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً﴾.

﴿دَيَّاراً﴾ في معنى أحد. يُقَالُ مَا في الدار أحَدٌ وما بها دَيَّار، وأصْلُهَا دَيْوَار، فيقالا فقلبت الواو ياء وأدغمت أحداهما في الأخرى.

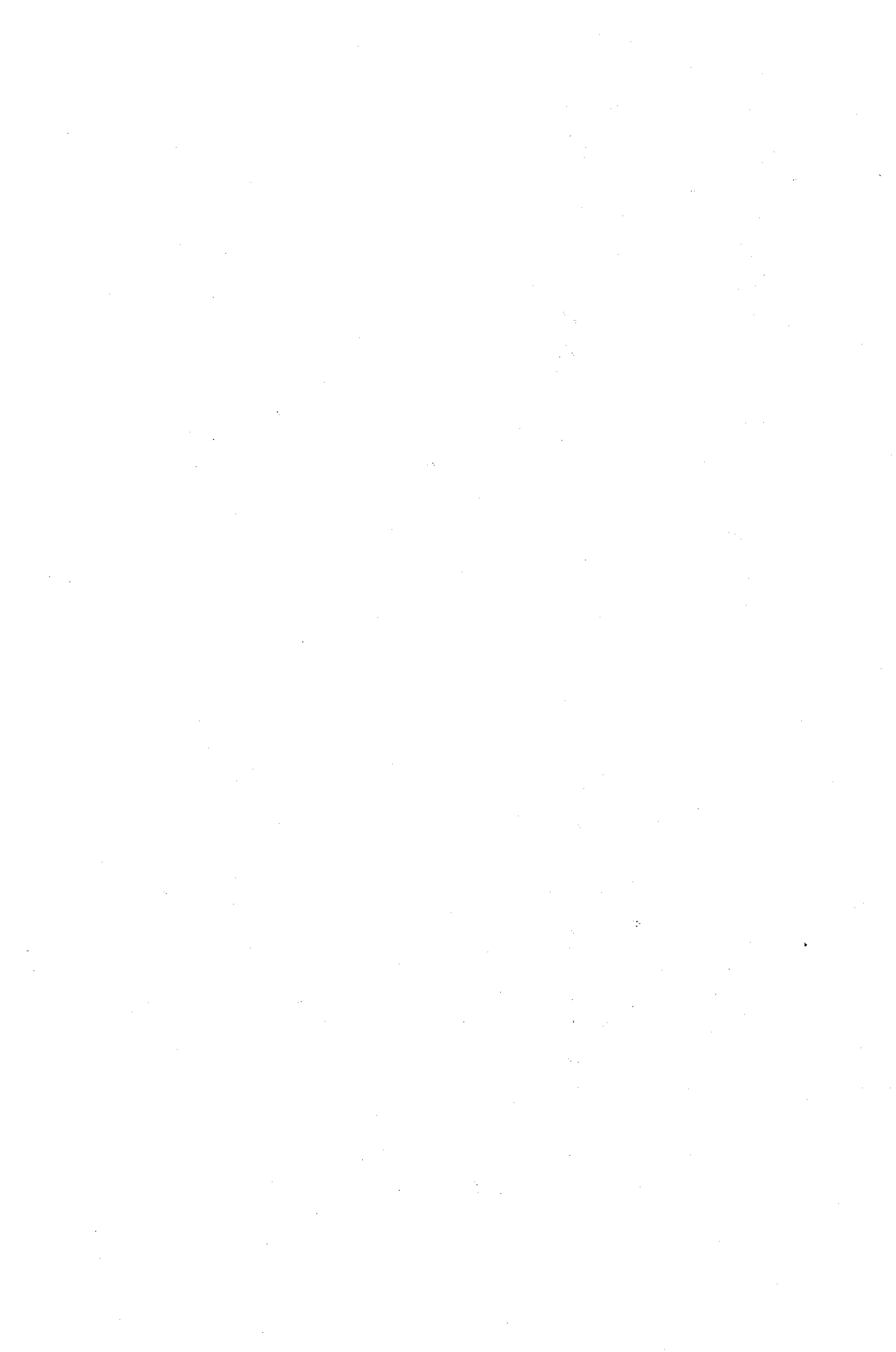
وإنما دعا عليهم نوح عليه السلام لأنَّ اللَّه جَلَّ وَعَلَا أوحى إليه ﴿أنَّه لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

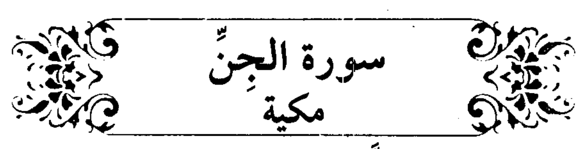
قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾.

قالوا بيتي مَسْجداً، وإن شئت أسكنت الياء وإن شئت فتحتها.

وقوله: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إلَّا تَبَاراً﴾.

معناه إلا تباراً، والتبار الهلاك، وكل شيء أهلك فقد تبر، ولذلـك سُمّي كُلُّ مُكَسرٍ تبرا.





سورة الجِنّ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفرٌ مِنَ الجِنّ﴾.

القراءة أُوحِيَ بإثبات الواو. وقد قرئت: قل أُحِيَ إلَيّ - بغير واو، فمن قال: أُحِيَ إلَيَّ فهو من وحيتُ إليه، والأكثر أَوْحَيْتُ إليه، والأصل وُحِي، ولكنَّ الواو إذا انْضمَّت قد تبدلُ منها الهمزةُ نحو:﴿وإذا الرسل أُقِّتَتْ﴾،أصله وُقِّتَتْ لأنه مِنَ الوَقْتِ.

وجاء في التفسير أن هؤلاء النفر الذين من الجن استمعوا على النبي ﷺ وهو يصلي الصبح ببطن نخلة، وهو قوله:﴿وَإِذْ صَرَفْنَا الَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتمِعُونَ القِرآن فَلَمَّا حَضَروهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾[1] أي قال بعضهم لبعض أَمْسِكُوا عن الكلام واستمعوا. وقيل انهم كانوا من جِنِّ نَصِيبينْ، وقيل إنهم كانوا مِنَ اليَمَن، وقيل إنهم كانوا يَهُودَ، وَقِيل إنهم كانوا مشركين.

فأما قوله: ﴿أنه اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنّ﴾، و(أَنَّ) مفتوحة لا غير. وقوله: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ وقوله:﴿فَإِنَّ لَهُ﴾، وقوله: ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾. فهذه الثلاثُ مكسورة لا غير، وقد اختلف القراء فيما في هذه السورة غير هذه الحروف الثلاث فقال بعضهم: «وَأَنَّه وأَنَّا» فَأَمَّا عَاصِمٌ فروى عنه أبو بكر بن عياش مثل قراءة نافع ومن تابعه، وروى حفص بن سليمان عن الفتح فيما قرأه أبو بكر بالكسر، والذي يَخْتاره النحويُّونَ قراءة نافع ومن تابَعَهُ في هذه الآية عندهم ما كان محمولاً على

---

(١) سورة الأحقاف / ٢٩.

الـوحي فهو أنـه بفتح أن، ومـا كان من قـول الجن فهو مكسـور معطوف على قوله: ﴿فقالوا إنا سمعنا قُرْآناً عَجَباً﴾، وعلى هذه القراءة يكون المعنى، وقالوا إنه تعالى جَدُّ رَبِّنَا، وقالوا إنه كان يقول سفيهنـا. ومن فتح فـذكر بعض النحـويين أنه معطوف على الهاء. المعنى عِندَه فآمنا به وبأنه تعالى جـدُّ رَبِّنَا وكـذلك مـا بعـد هـذا عنـده، وهـذا رديء في القيـاس. لا يعـطف على الهـاء المكنيـة المحفوضة إلا بإظهار الخافض، ولكن وجهه أن يكون محمولاً على معنى آمناً به،لأن معنى آمنا به صدقناه وعلمناه، ويكون المعنى :وصدقنا أنه تعالى جدّ ربنا.

وتأويل ﴿تعالى جَدُّ رَبّنا﴾ تعالى جلال رَبِّنا وعظمته عن أن يتخذ صَاحِبَـةً أَوْ وَلَداً.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ من الإِنْسِ يعُوذُونَ بِرجَالٍ مِنَ الجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾.

كان أهل الجاهلية إذا مرتْ جماعة منهم بوادٍ يقوولون: نعوذ بعزيـز هذا الوادي من مردة الجن وَسُفَهَائِهِمْ.

ومعنى ﴿فَزَادُوهُم رَهَقاً﴾ فَزادوهم ذِلـةً وضعفـاً. ويجـوز ـ واللَّه أعلم ـ أن الأنس الذين كانوا يستعيذون بالجن زادوا الجن رهقاً، ويجـوز أَنْ يكون الجن زادوا الأنس رَهَقاً.

وقوله:﴿وأَنا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسَا شَدِيـداً وَشُهُباً، وَأَنَّـا كنا نَقْعُدُ منها مقاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَداً﴾.

أي كنا نسـمع فـالآن حيـن حَاوَلْنَـا الاستماع ورمينـا بالشُّهُبِ، وهي الكواكب، ورَصَداً أي حَفَـظَةً تمنع من الاستمـاع. وقيل إن الانقضـاض الذي رميت بِهِ الشياطين حَدَثَ بعد مَبْعَثِ النبي عليه السلام وهو أَحَدُ آيَاتِه.

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ، أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً﴾.

المعنى إنـا لا ندري بحـدوث رجم الجواكب أَلِصَـلَاحٍ في ذلك لأهـل الأرض أو غيره.

وقوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً﴾.

قِدَدٌ متفرقون، أي كنا جماعات متفرقين، مُسْلِمِينَ وغير مسلمين.

قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾.

هذا تفسير قولهم: ﴿كُنا طَرَائِقَ قِدَداً﴾، والقاسطون الجائرون.

وقوله: ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشداً﴾.

يعني قصدوا طريق الحق والرشد، ولا أعلم أَحَداً قرأ في هذه السورة رُشْداً، والرُّشْد والرَّشَدُ يجوز في العربية، إلَّا أن أواخر الآي فيما قَبْلَ الرَّشَد وبَعْدَه على الفتح، مبني على فَعَل، فأواخر الآي أن يكون على هذا اللفظ وتَسْتَوي أَحْسَنُ، فإن ثبتت في القراءة بها رواية فالقراءة بها جائزة، ولا يجوز أن تقرأ بما يجوز في العربية إلَّا أن تثبت بذاك رواية وقراءة عن إمام يقتدى بقراءته، فإن اتباع القراءة السنة، وتتبع الحروف الشواذ والقراءة بها بدعة.

قوله: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾.

يقال قسط الرجل إذَا جَارَ، وأَقسط إذَا عَدَل.

وقوله: ﴿وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقاً. لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾.

وهذا تفسيره لو استقاموا على الطريقة التي هي طريق الهدي لأسْقَيْنَاهُمْ ماء غَدَقاً، والغَدَقَ الكثير، ودليل هذا التفسير قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾. وكقوله: ﴿لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾[2]. وقد قيل إنه يعني به: لو استقاموا على طريقة الكفر. ودليل هذا التفسير عندهم قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً

---

(١) سورة الأعراف /٩٦. (٢) سورة المائدة /٦٦.

واحدةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِم سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عليها يَظْهَرُونَ﴾[1].

والذي يختار وهو أكثر التفسير أن يكون يعنى بالطريقة طريق الهدى، لأن الطريقة مُعَرَّفَةٌ بالألف واللام، والأوجب أن يكون طريقة الهدى. واللَّه أعلم.

وقوله: ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فيه﴾، لنختبرهم بذلك.

وقوله:﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَاباً صَعَداً﴾.

معناه - واللَّه أعلم - عذاباً شاقّاً، وقيل صخرة في جهنم - وهي في اللغة - واللَّه أعلم - طريقة شَاقَةٌ مِنَ العذاب. يقال: قد وقع القوم في صَعُودٍ وَهَبُوطٍ، إذا كانوا في غير استواء وكانوا في طَرِيقة شاقة، ويقرأ لأسقيناهم ماء غَدِقا، والغدق المصدر، والغَدِق اسم الفاعل، تقول: غَدِق يَغْدَقُ غَدَقَا فَهُو غَدِقٌ، إذا كَثُر الندى في المكان أو الماء.

وقوله:﴿وَأَنَّ المَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾.

معناه الأمر بتوحيد اللَّه في الصلوات. وقيل المساجد مواضع السجود من الانسان، الجبهة والأنف واليدان والركبتان والرِّجْلاَنِ.

و«أن» ههنا يصلح أن يكون في موضع نصب ويصلح أن يكونَ في مَوْضِع جَرٍّ والمعنى لأن المساجد للَّه فلا تدعوا مع اللَّه أَحداً، فلما حذفت اللاَّمُ صار الموضع موضع نَصْبٍ، ويجوز أن يكون جَرّاً وإن لم تظهر اللام، كما تقول العرب: وَبَلَدٍ ليس به أنيس. تريد رُبَّ بَلَدٍ.

وقوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً﴾.

---

(١) سورة الزخرف / ٣٥.

ويَقرأ لُبَداً، ويجوز لُبَّداً. والمعنى أن النبي ﷺ لما صَلَّى الصُّبْحَ بذات نخلة كادت الجن - لما سمعوا القرآن وتعجبوا منه - أن يسقطوا على النبي ﷺ.
وقيل كادوا يعني به جميع الملأ التي تظاهرت على النبي ﷺ ومعنى لُبَد يركب بعضه بعضا، وكل شيء ألصقته بشيء إلصاقاً شديداً فقد لبدته ومن هذا اشتقاق هذه اللبود التي تفرش، فأما من قرأ لَبِدًا فهو جمع لِبْدَة ولبَد. ومن قرأ لُبَداً فهو جمع لُبْدَة وَلُبَد. ولُبْدَة ولِبْدَةَ في معنى واحِدٍ. ومعنى من قرأ لُبَّداً فهو جمع لابد ولُبَّدٍ، مثل رَاكِعٍ وَرُكَّعٍ، وغازٍ وغُزَّى.

قوله: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً﴾.

[أي] مَنْجًى الا أن اشتقاقه من اللحد، وهو مثل «لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلاً» فالملتحد من جنس المدَّخَل، ونَصَبَ ﴿إلَّا بَلاَغاً﴾ على البدل من قوله ملتحدا. المعنى ولن أجد من دونه منجىً إلا بلاغاً أي لا ينجيني إلَّا أن أبلغ عن اللَّه ما أرسلتُ به.

وقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَداً﴾.

أي بُعْدًا، كما قال: ﴿قل إن أدري أَقريب ما توعدون﴾.

قوله: ﴿عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾.
هذه الآية توجب على من ادعى ان النجوم تدله على ما يكون من حياة وموت وغير ذلك أن قد كفر بما في القرآن، وكذلك قوله: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السمواتِ والأرضِ الغيبَ الا اللَّه﴾. والاستثناء بقوله: ﴿إلَّا مَنِ ارتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾، معناه أنه لا يظهر على غَيْبه إلا الرُّسُلَ، لأن الرُّسُلَ يستدل على نبوتهم بالآيات المعجزات، وبأن يخبروا بالغيب فيعلم بذلك أنهم قد خالفوا غير الأنبياء.
ثم أعلم عز وجل أنه يحفظ ذلك بان يَسْلُك ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾.

إذا نـزل الملك بالـوحي أرسل اللّه معـه رصداً يحفـظون الملك من أن يأتي أحدٌ من الجن فيستمع الوحيَ فيخبر به الكهنة فيخبروا بـه الناس فيسـاوَوا الأنبياء. فأعلم اللّه أنه يسلك من بين يدي الملك ومن خلفه رَصَداً.

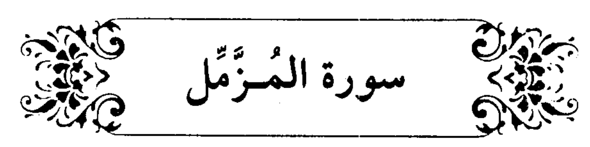
﴿لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾.

فيجـوز أن يكون ليعلم النبي ﷺ أن الـرسالـة أتته ولم تصـل إلى غَيْـرِهِ ويجـوز أَنْ يكونَ ـ واللّه أعلم ـ ليعلم اللّه ان قـد أبلغـوا رسـالاته، ومـا بعده يدل على هذا وهُوَ قوله: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَداً﴾.

فهذا المضمر في ﴿وَأَحْصَى﴾ لله عـز وجل لا لغيره، ونصب ﴿عدَداً﴾ على ضربين، على معنى وأحصى كل شيء في حال العَدَدِ، فلم تخف عليه سقوط ورقة ولا حَبَّةٍ في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابِسٍ ، ويجوز أن يكون عَـدَداً في موضع المصدَرِ المحمول على معنى وأحصى، لأن معنى أحصى وَعَـدَّ كل شيء عَدَداً[1].

---

(١) الأقرب أن عدداً تمييز.



سورة المُـزَّمِّل

مكية ما خلا آيتين من آخرها مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿يَا أَيُّها المزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً﴾.

هذا خطاب للنبي عليه السلام، وقيل إنه نـزل عليه هـذا وعليه قـطيفةٌ، والمزَّمِّلُ أصله المُتَزَمِّل، ولكن التاء تدغم في الزاي لقربها منها، يقال: تَزَمَّـل فُلانٌ إذا تلفف بثيابه، وكل شيء لفف فَقَدْ زُمِّلَ، قال امرؤ القيس[1]:

كـان ثبيـراً فـي عـرانيـن وبـله كبيـر أنـاس في بِجَـادٍ مُـزَمَّـلِ

وقيل إنه كان مُتَزَمِّلاً في حال هيئة الصلاة.

قوله: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إلاَّ قَلِيلاً. نِصْفَه أوِ انْقُصْ مِنْه قَلِيلاً. أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾.

فالمعنى ـ واللّه أعلم ـ أن ﴿نصفه﴾ بدل من ﴿الليل﴾ كما تقول: ضربت زيداً رَأْسَهُ فإنما ذكرت زيداً لتؤكد الكلام، وهو أوكـد من قولـك ضربت رأس زيـداً فـالمعنى قم نصف الليـل إلا قليـلاً أو انقص من النصف أو زد على النصف، وذَكَر «أو انقص منه قليلاً» بمعنى الا قليلاً ولكنـه ذُكِرَ مَـع الزِّيـادة، فالمعنى قم نصف الليل أو انقص من نصف الليل أو زد على نصف. وهـذا ـ واللّه أعلم ـ قبل أن يقع فرض الصلوات الخمس.

ومعنى :﴿وَرَتِّلِ القُرآنَ تَرْتِيلاً﴾.

---

(١) من معلقته.

بيِّنْـه تبييناً، والتبيين لا يتم بـأن يعجـل في القـرآن، إنّمـا يتم بـأن تبين جميع الحروف وتوفي حَقَّها في الإشباع.

قوله ـ عز وجل ـ:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾.

جـاء في التفسير أنـه يثقـل العمـل بـه، لأن الحـلال والحـرام والصـلاةَ والصِّيَامَ وجميع ما أمر اللَّه به أن يعمل، ونهى عنـه، لا يؤديه أحـد الا بتكلف ما يثقل عليه.

ويجوز على مذهب أهل اللغة أن يكون معناه أنه قول له وَزْنٌ في صِحَّتِه وبيـانه ونفعـه، كما تقـول: هذا كـلام رَصِينٌ، وهـذا قـول لـه وَزْنٌ، إذا كنت تستجيدُه وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيانِ.

قوله عـز وجل:﴿إِنَّ نَـاشِئَةَ اللَّيْـلِ هِيَ أَشَدُّ وَطَـاءً، ـ وتقرأ: وَطْئاً ـ وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾.

﴿ناشئة الليل﴾ ساعات الليل كلها، كلما نَشَأَ منه، أي كل ما حدث منه فهو ناشئة، ومعنى هي أشدُّ وَطَأً أي أشد مواطأة لتقلب السمع، ومَنْ قَرَأَ وَطْئـاً ـ بفتح الواو ـ فمعنـاه هي أبلغ في القيـامِ وأبين في القول، ويجـوز أن يكون أشد وطأ اغلظ على الانسانِ من القيام بالنهار، لأن الليل جُعِلَ لِيُسْكنَ فيـه. وقيل أشد وَطئاً أي أبلغ في الثواب، لأن كل مجتهد فثوابه عَلَى قَدْرِ اجتهاده.

قوله:﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾.

معناه فراغاً طويلاً ومتصرفاً طويلاً.

﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾.

أي إن فاتك شيء من الليل فلك في النهار فراغ.

وقرئت «سَبْخاً» بالخاء معجمة، والقراءة بالحاء غير معجمة، ومعنى «سبخاً» صحيح في اللغة، يقال للقطعة من القطن سبخة، ويقال سبخت القطن بمعنى نفَّشته، ومعنى نَفَّشتُه وسَعتُه، فالمعنى على ذلك أن لك في النهار توسُّعاً طويلا، وَمَعْناه قريب من معنى السبح.

﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تبتيلاً﴾.

المعنى واذكر اسم ربك بالنهار، ومعنى ﴿تبتل إليه﴾ انقَطِع إليه في العِبَادَةِ ومن هذا قيل لمريم عليها السلام البتول لأنها انقطعت إلى اللَّه جل ثناؤه في العبادة، وكذلك صدقة بتلة منقطعة من مال المصدق وخارجة إلى سُبُل اللَّه، والأصل في المصدر في تبتل تَبَتلْتُ تَبْتِيلاً، وبَتَّلْتُ تبتيلاً، فتبتيلاً محمول على معنى تبل إليه تبتيلاً.

قوله: ﴿فاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾: أي اتخذه كفيلاً بما وعدك.

وقوله: ﴿واصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ واهْجُرْهُمْ هَجْراً جَمِيلاً﴾.

هذا يدل ـ واللَّه أعلم ـ قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً﴾.

ومثله: ﴿ذَرْنِي ومن خلقت وَحِيداً﴾(١).

فإن قال قائل ما مجاز ذَرْني، واللَّه ـ عز وجل ـ يفعل ما يشاء، لا يحول بينه وبين إرادته حائل. فالجواب في ذلك أن العرب إذا أرادت أن تَأْمُرَ الانسان بأَنَّ له همة بأمْرٍ أو بإِنْسَانٍ تقول: دعني وزيداً، ليس أنه حال بينه وبَيْنَ زَيدٍ أَحَدٌ، ولكن تأويله لا تَهْتَمَّ بزيدٍ فإني أكفيكه.

وقوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أنكالاً وَجَحِيماً﴾.

الأنكال واحدها نِكْلٌ. وجاء في التفسير أنه ههنا قُيُودٌ مِنْ نَارٍ.

---

(١) سورة المدّثر /١١.

﴿وَطَعاماذا غُصَّةٍ وَعَذَاباً أَلِيماً﴾.

طعامهم الضريع كما قال عز وجل:﴿لَيس لهم طعامٌ إلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ وهو الشِّبْرَقُ، وهو شوك كالعَوْسَج.

وقـوله:﴿يَـوْمَ تَرْجُفُ الأَرْضُ وَالجِبَـالُ وَكَـانَتِ الجبـالُ كَثِيباً مَهِيـلاً﴾.

يوم منصوب معلق بقوله ﴿إن لدينا أنكالاً وجحيماً﴾، أي ينكـل بالكـافر ويُعَذِّبهُم يوم ترجف الأرض والجبال، وترجف تزلزل وتحرك أغلظ حركة.

﴿وَكَانَتِ الجِبَالُ كَثِيباً مَهِيلاً﴾.

والكثيب جمعه الكثبان، وهي القِـطَعُ العظام من الـرمل، ومعنى مَهِيـلاً سَـائِلاً قـد سَيِّلَ، وَأَصْـل مَهيل مَهْيُـول، يقال تـراب مهيل وتـراب مهيـول أي مَصْبُوبٌ مُسَيَّل، والأكثر مهيل، وإنما حذفت الواو لأن الياء تحذف منها الضمة في مَهْيُول فتسكن هي والواو وتحـذف الواو لالتقـاء الساكنين وقـد شرحنـا هذا في مثل هذا الموضع أكثر من هذا الشرح، واختصرنا على ما سلف لاختـلاف النحويين فيه، وأنه يطولُ شرحُه في هذا الكتاب.

وقوله :﴿فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً﴾.

الوبيل الثقيل الغليظ جدا، ومن هذا قيل للمطر الغليظ العظيم وابل.

وقوله:﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إنْ كَفَرْتُمْ يَوْماً يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شَيباً﴾.

المعنى فكيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم، أي بـأي شيء تحصنون من عذاب اللَّه [في] يوم من هو لـه يشيب فيه الصَّغيـرُ من غير كبـر، وتذهل فيـه كل مـرضعة عمَّـا أَرْضَعَتْ، وَتَرَى النَّـاسَ سَكْرَى وَمَـا هُمْ بِسَكْرَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، ثم وصف مِنْ هَوْل ذلك اليَـوْمِ أَنْ قَالَ:

﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾.

أي السماء تنشق به كما قال: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾[1]، وقيل في التفسير: ﴿السَمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ أي السماء مثقلة بالله عز وجل.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَه وَثُلُثَه﴾.

فمن قرأ نصفَه بالنَّصْبِ وثلثه فهو بيّنٌ حَسَنٌ، وهو تفسير مقدار قيامه لأنه لمَّا قال أدنى من ثلثي الليل، كان نصفه مبيناً لذلك الأدْنَى، وَمن قرأ ونِصْفِه وثُلَثِه، فالمعنى وَتَقُوم ادنى من نصفه وَمِنْ ثُلُثِه.

وقوله: ﴿مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾.

ولم يقل منفطرة، ومنفطرة جائز وعليه جاء: ﴿إِذَاالسَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾[2]، ولا يجوز أن يقرأ في هذا الموضع السماء منفطرة. لخلاف المصحف. والتذكير على ضربين أحدهما على معنى السماء معناه السقف، قال اللّه عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفَاً مَحْفُوظَاً﴾[3]. والوجه الثاني على قوله: امرأة مرضع، أي عَلَى جِهَةِ النَّسَبِ، المعنى السماء ذات انفطارٍ، كما تقول امرأة مرضع أَيْ ذات رَضَاعٍ[4].

وقوله: ﴿أُولِي النَّعْمَةِ﴾.

النعمة التنعيم، والنِّعْمَةُ اليَدُ الجميلة عِنْدَ الإنسان والصنع من اللّه تعالى ولو قرئت أولي النعمة لكان وَجْهاً، لأن المنعم عليهم يكونون مؤمنين وغير مؤمنين، قال اللّه جل ثناؤه: ﴿صِرَاطَ الذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِم غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[5].

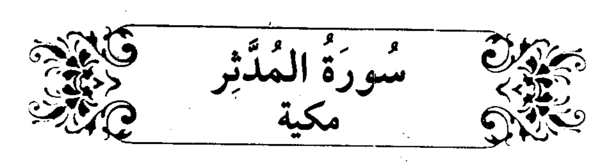
---

(١) أول سورة الانشقاق. (٢) أول سورة الانفطار.

(٣) سورة الأنبياء /٣٢. (٤) وقال الفراء: السماء يذكر. (٥) سورة الفاتحة /٧.

وقوله ـ جَلَّ وَعَزَّ ـ : ﴿وَمَا تُقَدِّمُـوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِـدُوه عِنْد اللهِ هُـو خَيراً وَأَعْظَمَ أَجْراً﴾.

معنـاه خيراً لكم من متـاع الدنيا، و«خيراً» منصوب مفعول ثـانٍ لتجدوه، ودخلت «هو» فصلا. وقد فسرنا ذلك فيما سلف من الكتاب، ولو كان في غيـر القـرآن لجاز تجـدوه هو خيـرٌ. فكنـت تـرفـع بهُـوَ، ولكن النصب أجـود في العربية، ولا يجوز في القرآن غيره.



سُورَةُ المُدَّثِر
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّها المدَّثِرُ﴾.

القراءة بتشديد، والأصلُ المُتَدَثِّر، والعلة فيها كالعلَّةِ فِي المُتَزمِّل، وتفسيرها كتفسير المزَّمِل. وقد رويت المُتَدَثِّر - بالتاء -

وقوله عز وجل: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾.

اي صفه بالتعظيم وأنه أكبرَ، ودخلت الفاء على معنى جواب الجزاء. المعنى قم فأنذر أي قم فكبر رَبَّكَ.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّر﴾، مثلها، وتأويل ثيابك فطهر أي لا تكن غادِراً، يقال للغادر دَنَس الثياب، ويكون وثيابك فطهر أي نَفْسَك فطهر، وقيل وثيابك فَطَهِّرْ أي ثيابك فقصر لأنَّ تَقْصِيرَ الثوبِ، أَبعدُ مِنَ النجاسة وأنه إذا انجرَّ على الأرض لم يؤمن أن يُصِيبَه ما ينجسه.

﴿والرِّجْزَ فاهجُرْ﴾.

بكسر الراء، وقرئت بضم الرَّاء، ومعناهما واحد، وَتَأْوِيلُهما اهجر عبادة الأوثان، والرجز في اللغة العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾[1]، فالتأويل على هذا ما يؤدي إلى عذاب الله فاهجره.

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾.

أي لا تعط شيئاً مُقَدِّراً أن تأخذ بدله ما هو أكثر منه، وتستكثر حال

---

(١) الأعراف /١٣٤.

مُتَوَقَّعَةٌ وهذا للنبي ﷺ خاصة وليس على الانسان إثم أن يهدي هديةً يرجو بها ما هو اكثر منها، والنبي ﷺ أدَّبه اللَّه بأشرف الآداب وأجل الأخلاق.

وقوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ، فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَومٌ عَسِيرٌ﴾.

الناقور الصُّورُ، وقيل في التفسير إنه يعني به النفخة الأولى، و﴿يومٌ عَسِيرٌ﴾ يرتفع بقوله: ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ﴾. المعنى فذلك يوم عسير يوم ينفخ في الصور و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يجوز أَنْ يكونَ رَفْعاً، ويجوز أن يكون نَصْباً، فإذا كان رفعاً فإنما بني على الفتح لإضافته إلى «إذ» لأن «إذ» غير متمكنة، وإذا كان نصباً فهو على معنى فذلك يوم عَسِيرٌ في يوم ينفخ في الصُّور.

وقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾.

قد فسرنا معنى «ذرني» في المزَّمِّل، و«وَحِيداً» مَنْصُوبٌ على الحال، وهو على وجهين. أحدهما أن يكون وحيداً من صفة اللَّه -عزوجل- المعنى ذَرْنِي ومن خلقته وَحْدي لم يشركني في خلقه أحَدٌ، ويَكونُ وحيداً من صفة المخلوق، ويكون المعنى، ذرني ومن خلقته وحده لا مالَ له ولا ولَد.

﴿وَجَعَلْتُ له مَالاً مَمْدُوداً، وَبَنِينَ شُهُوداً﴾.

تقديره مال غير منقطع عنه، وقيل ألف دينار، وبنين شُهُوداً، أي شهودٌ معه لا يحتاجون إلى أن يتصرفوا ويغيبوا عنه.

وهذا قيل يعني به الوليد بن المُغِيرَةُ، كان له بنون عشرة وكان مُوسِراً

وقوله: ﴿سَأُرْهِقُه صَعُوداً﴾.

أي سأحمله على مَشَقَةٍ مِنَ العَذَاب.

قوله: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وقَدَّرَ. فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾.

معنى - ﴿قُتِلَ﴾ ههنا لُعِنَ، ومثله: ﴿قُتِلَ الخَرَّاصُونَ﴾.

وكان الوليد بن المغيرة قال لرؤساء أهل مكة، قد رأيتم هذا الرجل -يعني النبي ﷺ - وعلمتم ما فشا من أمره، فإن سألكم الناس عنه ما أنتم قائلون، قالوا نقول: هو مجنون، قال: إذن يخاطبوه فيعلموا أنه غير مجنون. قالوا فنقول: إنه شاعر، قال: هم العرب يعلمون الشعر ويعْلَمُونَ أَنَّ ما أتى به لَيْسَ بِشِعْرٍ، قالوا: فنقول إنه كاهن، قال الكهنة لا تقول إنه يكون كذا وكذا إن شاء اللَّه وهو يقول إن شاء اللَّه، فقالوا قَدْ صَبَأَ الوليد. وجاء أبو جَهْلٍ ابن أخيه، فقالوا: إن القوم يقولون إنك قد صبوت، وقد عَزَمُوا على أن يجمعوا لك مالاً فيكون عِوَضاً مِمَّا تقدر أَنْ تَأْخُذَ من أصحاب محمد، فقال: واللَّه ما يَشْبَعُونَ، فكيف أَقْدِرُ أَن آخُذَ منهم مَالاً وإنّي لَمِنْ أَيْسَر الناس. ومر به جماعة فذكروا له ما أتى به النبي ﷺ ففكر وعَبَس وجهه وَبَسَر، أي نظر بكراهة شَدِيدَةٍ. فقال: ما هذا الذي أتى به محمد إلاَّ سِحرٌ يأثره عن مُسَيْلمة وعن أهل بابل.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾.

أي ما هذا إلا قول البشر.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾.

﴿سَقَر﴾ لا ينصرف لأنها معرفة، وهي مؤنثة، وسَقَر اسم من أسماء جهنم. ثم أعلم اللَّه تعالى شأن سقر في العذاب فقال:

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تأويله وما أعلمك أي شيء سقر فقال: ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ. لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾.

البشر جمع بَشَرةٍ، أي تحرق الجلْدَ حَتَّى يَسْوَدَّ.

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

أي على سقر تِسْعَةَ عَشَرَ مَلَكاً، وَوَصَفَهُم اللَّه في موضع آخر فقال: ﴿عَلَيْها مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَ يَعْصُونَ اللَّه ما أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[1].

الذي حكاه البَصْرِيُّون تسعَةَ عَشر بفتح العين في عَشَر، وقد قرئت بتسكين العَيْنِ والقراءة بفتحها، وإنما أسكنها من أسكنها لكثرة الحركات، وذلك أَنَّهُمَا اسمَانِ جُعِلاَ اسماً وَاحِداً، ولذلك بُنِيَا على الفتح، وقرأ بَعْضُهم تسعَةُ عَشَر فأعربت على الأصل، وذلك قليل في النحو، والأجود تِسعةَ عَشَر على البناء على الفتح، وفيها وجهٌ آخر «تِسْعَةُ أَعْشُرٍ»، وهي شاذَّة، كأنها على جمع فعيل وأَفْعُل، مثل يَمِين وأَيْمُن.

وقوله تعالى: ﴿وما جَعَلْنَا عِدَّتَهُم إلاَّ فتنةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

أَيْ مِحْنَةً، لأن بعضهم قال بعضنا يكفي هؤلاء.

وقوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾.

أي يعلمون أن ما أَتى به النبي عليه السلام مُوَافِقاً لما في كتبهم.

﴿وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إيمَاناً﴾.

لأنهم كُلَّمَا صَدقوا بما يَأتي في كتاب اللَّه عز وجل زاد إيمانهم.

﴿وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ والمُؤْمِنُونَ﴾، أَيْ لاَ يَشُكُّونَ.

وقوله: ﴿وَمَا هي إلاَّ ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾.

جاء في التفسير أن النار في الدنيا تذكر بالنار في الآخرة.

وقوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، ويقرأ ﴿إذا أَدْبَرَ﴾، وكلاهما جَيِّدٌ في العربية، يقال: دبر الليل وَأَدْبَرَ، وكذلك قبل الليل وَأَقْبَلَ، وقد قرئت أيضاً ﴿إذا أَدْبَرَ وَالصُّبْحِ إذا أسفر﴾ بإثبات الألف فيهما.

---

(١) سورة التحريم /٦.

وقوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الكُبَرِ، نَذِيراً لِلْبَشَرِ﴾.

هـذه الهاء كنـاية عَنِ النَّـارِ، أَي انها لكبيـرة في حَالِ الإنـذار، وَنَصْبُ ﴿نَذيراً﴾ على الحال، وذَكَّر نَـذِيراً لأنَّ مَعْنَـاهُ معنى العَـذَابِ، ويجـوز أن يكـون التذكير على قـولهم امرأة طـاهر وطـالق، أي ذات طلاق! وكـذلك نـذير ذات إنْذَارٍ، ويجوز أَنْ يَكُونَ نَذِيراً مَنْصُوباً مُعَلَّقا بـأَوَّلِ السُّورَةِ على معنى قم نـذيراً للبشرِ.

وقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾.

أي أن يتقدم فيما أمر به أو يتأخر، فقد أنذرتم.

قوله عز وجل: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ، إِلَّا أَصْحَابَ اليَمِينِ﴾.

قيل أصحابُ اليمين الأَطْفَالُ لأنهم لا يسألون، تفضل اللَّه عليهم بأن أعطاهم الجنَّـةَ، وكل نفْسٍ رَهِينـةٌ بِعَمَلِهَا إِمَّـا خَلَّصَهَا وإِمَّـا أَوْبَقَهـا، والتخليص مـع عملهـا بتفضل اللَّه.

وقوله عز وجل: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ﴾، أَي نَتَّبِعُ الغاوِينَ.

وقوله: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾.

يعني الكفَّار وفي هذا دليل أن المؤمنين تنفعهم شفاعة بعضهم لِبَعْضٍ.

وقوله: ﴿فما لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾.

منصوب على الحال.

﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾، وقرئت مُسْتَنْفَرَةٌ، قال الشاعر:[1]

---

(١) يـريـد اتجهن الى غـرب، وهـو جبـل في بـلاد بني كلب ـ والبيت في اللسـان (نفـر) اربــط. وفي القرطبي ١٩/٨٧، ومعاني الفراء ٣/٢، ٢٠٦.

أَمْسَــكَ حِمَــارَكَ انــه مُسْتَنفِــرٌ   فــي إثــر أحمــرة عَمَــدْن لِغُــرَّبِ

وقوله :﴿فَرَّت مِنْ قَسْــوَرَةٍ﴾ .

القسورةُ الاسَدُ، وقيل أيْضاً القَسورَةُ الرُّمَاةُ الذين يَتَصَيَّدُونَها.

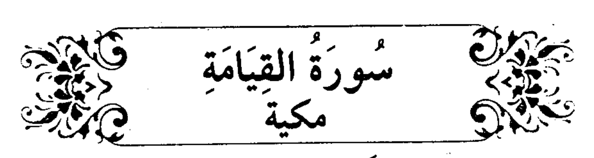
وقوله:﴿بَلْ يُرِيدُ كُلَّ امْرِئٍ مِنْهُــم أَنْ يُؤْتَى صُحُفاً مُنَشَّرةً﴾ .

قيل كانوا يقولون: كان أمن أذنب من بني اسْرَائِيلَ يجد ذنبه مكتـوباً من غَدٍ عَلَى بَابِه فما بالنا لا تكون كذلـك. وَقَدْ جَـاءَ في القرآنِ تَفْسِيـرُ طَلَبِهِمْ في سورة بني اسرائيل في قوله :﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرَؤُهُ﴾[1] .

وقوله:﴿هُوَأَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ﴾ .

أَي هو أهل أَنْ يُتَّقَى عِقَابُه، وأهل أَنْ يُعمل بما يؤدي إلى مغفرته .

(١) سورة الإسراء الآية ٩٣.



سُورَةُ القِيَامَةِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بالنَّفْسِ اللَّـوَّامَةِ﴾.

لا اختلاف بين الناس أن معناه أُقسِمُ بيوم القيامَةِ، واختلفوا في تفسير «لَا»، فقال بعضهم «لا» لَغوٌ وإن كانت في أول السورة، لأن القرآن كله كالسُّورَةِ الواحِدَةِ، لأنه مُتَّصِلٌ بَعْضُه بِبَعْضٍ فجعلت «لا» ههنا بمنزلتها في قوله:﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكِتَابِ﴾[1]، وقال بعض النحويين: «لَا» رَدٌّ لِكَلَامِهِمْ، كَأَنهم أنكروا البعث فقيل لا ليس الأمر كما ذَكَرْتُمْ أقسم بيوم القيامة وقوله: ﴿إنكم مَبْعُوثُونَ﴾[2]. دَلَّ على الجواب.

قوله:﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾.

المعنى بلى لَنَجْمَعَنَّكُمْ قَادِرِين، المعنى أقسم بيوم القيامة والنفس اللَّوَّامَةِ لَنَجْمَعنَّها قَادِرِينَ عَلَى أن نُسَوِّيَ بَنَانَهُ.

وجاء في التفسير بلى نقدر على أن نجعله كخُفِّ البَعِيرِ. والدي هو أشكل بجمع العِظَامِ بلى نَجْمَعُها قَادِرِينَ عَلَى تَسْوِيَةِ بَنَانِه على ما كانت، وإن قَلَّ عِظَامُهَا وَصَغُرت وبلغ مِنها البِلَى.

والنفس اللوامة تفسيرها أن كل نفس تلوم صاحبها في الآخِرَةِ إن كان عَمِلَ شرًّا لَامَتْه نفسه وان كان عمل خَيراً لامته على ترك الاستكثار منه.

---

(١) سورة الحديد / ٢٩.

(٢) سورة هود / ٧.

وقوله:﴿بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾.

معناه أَنَه يُسوِّفُ بالتوبة، ويُقَـدِّم الأعمال السَّيئَـة، ويجوز ـ واللَّه أعلم ـ أن يكون معناه ليكفرَ بِمَا قُدَّامَهُ. ودليل ذلك قوله:﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ القيامةِ﴾.

فيفجر أمامه على هذا وهو ـ واللَّه أعلم ـ يُكَذِّبُ بما قُدَّامَه مِنَ البَعْثِ.

وقوله:﴿فإذا بَرِقَ البَصَرُ﴾.

ويقرأ ﴿بَرَقَ البَصَـرُ﴾، فمن قرأ بَـرِق فمعناه فَـزِعَ وَتَحَيَّرَ، وَمَن قَـرَأَ بَرَق فهو من بَرَقَ يَبْرُقُ. مِنْ بَرِيق العَيْنَيْنِ.

وقوله : ﴿وَخَسَفَ القَمَرُ﴾ أي ذَهَبَ ضَوْءُ القَمَرِ.

﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ﴾ أَيْ جُمِعَا فِي ذَهَابِ نُورِهما.

﴿يقول الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ المَفَرُّ﴾.

وَيُقْرَأُ أين المَفِرُّ ـ بكسـر الفـاء ـ فمن فتـح فهو بمعنى أين الفِـرَارُ، ومن كسـر فعلى معنى أين مكـان الفِـرار، والمَفْعَـلُ مِن مِثْـل جَلَسْتُ بفتـح العَيْنِ، وكذلك المصدر، تقول: جَلَسْتُ مَجْلَسـاً ـ بفتح الـلام ـ بمعنى جُلُوساً، فـإذا قلت جَلَسْتُ مَجْلِساً، فأنت تريد المكان.

ثم أعلم تعالى أنه لاَ حِرْزَ لَهُم ولا مَحِيصَ فقال :﴿كَلَّا لاَ وَزَرَ﴾.

الـوَزَرُ في كلام العَـرَبِ الجَبَلُ الَّـذِي يلجأ إليـه: هذا أصله، وَكُـلُّ مـا التجأت إليه وَتَخَلَّـصْتَ به فَهُوَ وَزَرٌ.

وقوله:﴿بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾.

معناه بل الإنسـان تشهد عليـه جوارحـه، قال اللَّه عـز وجل :﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيـدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَاكَانُوا يَعْمَلُون﴾[1]،وقال في موضـع آخـر:

---

(١) سورة النور /٢٤.

﴿[حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا] شَهِدَ عَلَيْهِم سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. فأعلم اللَّه أن هذه الجوارح التي يتصرفون بها شواهد عليهم.

قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ ولو أدلى بكل حُجَّةٍ عِنْدَهُ، وجاء في التفسير المعاذير السُّتُور، وَاحِدُها مِعْذار.

وقوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾.

كان جبريل عليه السلام إذا نزل بالوحي على النبي ﷺ تلاه النبي عليه السلام عليه كراهة أَنْ يَنْفَلِتَ مِنْهُ، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ أنه لا ينسيه إيَّاهُ وَأنه يجمعه في قلبه فقال:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

أي إن علينا أن نُقْرِئَكَ، فَلَا تَنْسَى، وعلينا تلاوته عليك.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾.

أي لا تعجل بالتلاوة إلى أن تقرأ عليك مَا يُنْزَلُ فِي وَقْتِهِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

أي علينا أن ننزله قرآناً عربياً غير ذي عوج، فيه بيان للناس.

قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

نُضِّرَت بِنَعِيمِ الجَنَّةِ والنَّظَرِ إلى رَبِّهَا، قال اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿تعرف في وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بها فَاقِرَةٌ﴾.

﴿بَاسِرَة﴾ كريهةٌ مقطبة، قد أيقنت بأن العذاب نازل بها.

ومعنى: ﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بها فَاقِرَةٌ﴾.

---

(1) سورة فصلت / ٢٠.

توقن أن يفعل بها داهية من العذاب.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾: رَدْع وتنبيه، ومعناه ارْتَدِعُوا عما يؤدي إلى العذاب.

وقوله جل وعز: ﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾.

ذكرهم اللَّه بصعوبة أول أيام الآخرة عند بلوغ النَّفْس التَّرْقُوَةِ.

﴿وقيل مَنْ رَاقٍ﴾،

أي من يشفي من هـذه الحال، وهـذا - واللَّه أعلم - يقولـه القائـل عِنْـدَ البـأسِ، أي من يَقْدِرَ أَنْ يَـرْقِيَ مِنَ الموْتِ. وقيـل في التفسير: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ مَن يَرْقَى بِرُوحِه أَمَلَائكةُ الرحمة أم ملائكة العذاب.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الفِراقُ﴾.

أَيْ وَأَيْقَنَ الذي تَبلغ روحه إلى تراقيه أنه مفارق للدنيا.

﴿والتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاقِ﴾.

عند الموت تلتصق السَّاق بالسَّاقِ قيل والتفت آخر شدة الدنيا بـأول شِدَّةِ الآخرة.

وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾.

يعنى به أبو جهل بن هشام. وجاء في التفسير أَنَّ لكل أَمَّةٍ فِرْعَوْنـاً، وأَن فِرْعَونَ هذه الأَمَّةِ أَبُو جَهْلٍ بن هشام.

﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾، معناه بتبخترَ، مأخُوذٌ من المطا وهو الظهر.

وقوله: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾.

معنـاه - واللَّه أعلم - وَلِيَكَ المكـروه يا أبـا جهل، والعـرب تقـول أولى لفلان إذا دعت عليه بالمكروه.

﴿أَيَحْسَبُ الانْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾.

أي أن يترك غير مَأْمُورٍ وغير مَنْهِيٍّ، ثم دلهم على البعث بالقدرة على الابتداء فقال:

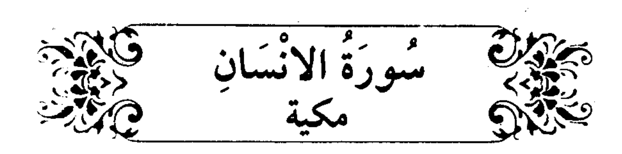
﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ تُمْنَى﴾.

وقرئت ﴿يُمْنَى﴾، فمن قرأ تمنى فللفظ النطفة، ومَنْ قرأ يمنى فللفظ مَنِيّ.

﴿ثم كان عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى، فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾.

ثم قررهم فقال:

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾.



سُورَةُ الانْسَانِ
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قـوله عـز وجل: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِيـنٌ مِنَ الـدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيئـاً مَذْكُوراً﴾.

المعنى ألم يأت عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ. وقد كان شيئاً إلاَّ أَنَّهُ كَانَ تُرَاباً وَطِيناً إلى أن نفخ فيه الروح فلم يكن قبـل نفخ الروح فيه شيئاً مَذْكُوراً، ويجوز أن يكون يعنى به جميع الناس، ويكون المعنى أنهم كانوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً إلى أن صاروا شيئاً مَذْكُوراً﴾.

ومعنى ﴿هَلْ أتى﴾ قد أتى على الانسـان، أي ألم يأت على الإنْسَـانِ حين من الدهر.

وقوله: ﴿إنَّا خَلَقْنَا الإنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾.

﴿أمشـاج﴾ أخـلاط مَنِّي ودم، ثم ينقـل مِنْ حَـالٍ إلى حَـالٍ، وَوَاحِـدُ الأمشاج مَشَجٌ، ومعنى نبتليه نختبره يدل عليه: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾.

أي جعلناه كذلك لنختبره.

قوله: ﴿إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إمَّا شَاكِراً وَإمَّا كَفُوراً﴾.

معناه هديناه الطريق إما لِشَقوةٍ وإما لِسَعَادَةٍ.

وقوله:﴿سَلَاسِلَ وأَغْلَالاً وَسَعِيراً﴾.

الأجود في العربية الا يُصْرَف سَلَاسِلَ، ولكن لما جُعِلَتْ رَأْسَ آيَةٍ صرفت ليكون آخر الآي على لفظٍ وَاحدٍ.

قوله:﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ﴾.

الأبرار واحدهم بَرٌّ.

﴿يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾.

يجوز في اللغة أن يكونَ طَعْمُ الطيب فيها والكَافُورِ، وجائز أن يمزج بالكافور فلا يكون في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم فيما يأكلون ويشربون ضَررٌ ولا نَصَبٌ، والكأس في اللغة الإناء إذا كان فيه الشَّرَابُ، فإذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كأساً، قال الشاعر[1]:

صددت الكأس عنا أم عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا

وقوله:﴿عيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾.

﴿عيناً﴾ جائز أن يكون من صفة الكأس، والأجود أن يكون المعنى من عَيْنٍ.

قوله:﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفجيراً﴾.

معناه تجري لهم تلك العينُ كما يُحِبُّون.

قوله: ﴿كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾: معناه يبلغ أقصى المبالغ فيه.

قوله:﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً﴾.

---

(١) لعمرو بن كلثوم من معلقته. البيت الخامس منها ـ ويروى صببت الكأس. أي صرفتها. انظر شرح الزوزني ص ١٢٠ (ط صبح).

هـذه الهاء تعـود على الطعـام، المعنى يطعمـون الطعـام أشد مـا تكون حاجتهم إليه للمسكين، وَوَصَفُهُم اللَّه بالأثرة عَلَى أَنْفُسِهِم.

﴿وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾.

الأسير قيل كان في ذلك الوقت من الكُفَّار، وقَـدْ مُدِحَ من يـطعم الأسير وهـو كافـرٌ، فكيف بأَسَـارَى المسلمين. وهـذا يـدل عَلَى أَنَّ في إطعـام أهـل الحبوس ثواباً جزيلا، وأَهْل الحبوس أُسَرَاء.

وقوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُوراً﴾.

المعنى يقولون إنما نطعمكم لوجه اللَّه، أي لطلب ثواب اللَّه ـ عز وجل ـ وجـائـز أن يكونوا يطعمون ولا ينطقونَ هـذا القول ولكن معنـاهـم في أطعَامِهِم هـذا، فَتُرْجِمَ مَـا في قُلُوبِهِم، وكـذلـك: ﴿إِنَّا نَخَـافُ مِنْ رَبِّنَـا يَـوْمـاً عَبُـوسـاً قَمْطَرِيراً﴾.

العبوس الذي يُعَبِّسُ الـوُجُوهَ، وهـذا مثل قـوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِـذٍ باسِرَةٌ﴾. وقَمْـطَرِيراً، يقـال يوم قمـطرير ويـوْمٌ قُماطـر إذا كان شَـديداً غليـظاً، وجاء في التفسير أن قمطريرا معناه تَعْبسُ فَيجمَـعُ مَا بينَ العينين وهـذا سائـغ في اللغة، يقال اقمَطَرَّتْ النَّاقَةُ إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وَرَمَتْ بأنفها.

وقوله: ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكَ﴾.

واحـدتها أريكـة، وجـاء في التفسيـر أَنَّهَـا من الحِجَالُ فيها الفرش وفيهـا الأَسِرَّةُ. وفي اللغة أن كـل متكأ عليـه فَهُوَ أَرِيكَةٌ، ونصب ﴿متكئين﴾ على الحال المعنى وجزاهم جنة في حَالِ اتكائهم فيها. وكذلك: ﴿وَدَانِيَةً عليهم ظِلاَلُهَا﴾. وجـائز أن يكـون دانية نعتـاً للجنة، المعنى وجـزاهم جنة دانيـة عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَـا ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾.

هذا كقوله تعالى: ﴿قطوفها دانية﴾، وقيل كلما أرادوا أَنْ يَقْطَعُوا شيئاً منها ذُلِّلَ لَهُمْ، ودنا منهم قُعُوداً كانوا أَوْ مُضْطَجِعينَ أَوْ قِيَاماً.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَاً، قَوَرِيرَا﴾.

قرئت غير مصروفة، وهذا الاختيار عند النحويين البصريين لأنَّ كل جمع يأتي بعد ألفه حرفان لا ينصرف. وقد فسرنا ذلك فيما سلف من الكتاب، ومَن قرأ قواريراً فصرف الأول فلأنَّهُ رأسُ آية، وترك صرف الثاني لأنه ليس بآخرَ آية، ومن صرف الثاني اتبع اللَّفْظَ اللفظ، لأن العرب رُبَّما قَلَبَتْ إعراب الشيء ليتبع اللفظ اللفظ، فيقولون: هذا حُجْر ضَبٍّ خَرِبٍ، وإنما الخرب من نعت الحُجْرِ، فكيف بما يترك صرفه، وجميع ما يترك صرفه يجوز صرفه في الشِّعْرِ.

ومعنى ﴿قواريرَ مِنْ فَضَّةٍ﴾، أصل القوارير التي في الدنيا من الرمل، فأعلم اللَّه أن فضل تلك القوارير أن أَصْلَها مِنْ فِضَّةٍ يرى من خارجها مَا فِي دَاخِلها

ومعنى: ﴿ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً ﴾.

أَي جُعِلَتْ بكون الإناء عَلى قَدْرِ ما يحتاجون إليه ويُرِيدُونَهُ، وَقُرِئَتْ قُدِّرُوهَا تَقْدِيراً. أي جعلت لهم على قدر إرادتهم.

﴿وَيُسْقَوْن فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً﴾.

أي يجمع طعم الزنجبيل، والعرب تصف الزنجبيل، وهو مستطاب عندها جداً قال الشاعر:[1].

كان القَرَنْفُلَ الزنجبيل بَأَتَايِفِيهَا وَأَرْياً مَشُوراً

فجائز أن يكون طعم الزنجبيل فيها، وجائز أن يكون مزاجها وَلَا غائِلَةَ لَهُ كما قلنا في الكافور.

---

(١) الأعشى ـ وتقدم بعض من هذه القصيدة.

وقوله: ﴿عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً﴾.

المعنى يسقون عيناً، وسَلْسَبِيل اسم العَيْن إلَّا أنه صرف لأنه رأس آية، وسَلْسَبيل في اللُّغَةِ صفَةٌ لما كان في غاية السلاسة، فكأن العين - واللَّه أعلم - سميت بصفتها.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾.

أي يخدمهم وصفاء مُخَلَّدونَ، وتأويل مخلَّدين أي لا يجوز واحد منهم حَدَّ الوَصَافَة أَبداً هو وصيف، والعرب تقول للرجل الذي لا يشيبُ: هو مُخَلَّدٌ. ويقال مُخَلَّدون مُجَلَّون عليهم الحُلَى، ويقال لجماعة الحلى الخَلَدَةُ.

وقوله: ﴿حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً﴾.

أي هم في حسن ألوانهم وصفائها كاللؤلؤ المنثور.

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتُ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعيماً وَمُلْكاً كَبِيراً﴾.

جاء في التفسير أنه «ملكا كبيراً» أنهم تسلم عليهم الملائكة، وجَاء أَيضاً تستأذن عليهم الملائكة، وَثَمَّ يعنَى به الجنة، والعامل في ثم مَعْنَى رَأَيْتَ، المعنى وَإِذَا رأيت ببصرك ثَمَّ، وقيل المعنى وإذا رأيت مَا ثَمَّ رَأَيتَ نَعِيماً وهذا غَلَطٌ لان ما موصولة بقوله ثَمَّ على هذا التفسير - ولا يجوز إسقاط الموصول وترك الصلة، ولكن «رأيت» يتعدى في المعنَى إلى ثَمَّ.

وقوله: ﴿عَالِيْهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ﴾.

بإسكان الياء، وَقُرِئَتَ عَالِيَهُمْ - بفتح الياء - وقرئت عَلَيْهم - بغير ألف - ثِيابُ سُنْدِسٍ. وهذه الثلاثة توافق المصحف وكلها حسن في العربية، وقرئ على وجهين غير هذه الثلاثة. قرئت عَالِيَتُهمُ ثيابُ سُنْدِسٍ - بالرفع والتأنيث - وَعَالِيَتَهُمْ بالنَّصْبِ - وهذا الوجهان جيّدان في العربية إلَّا أَنّهُمَا يخالفان

المصحف، ولا أرى القـراءة بهما، وقـراء الأمصار ليس يَقْـرَأُونَ بِهِمَـا. فـأمـا تفسير إسكان عَالِيهِمْ باسكان الياء، فيكون رفعه بالابتداء، ويكـون خبره «ثياب سندس خُضر»، ومن نَصَبَ فقال: عَالِيَهُمْ بفتح الياء، فقال بعض النحويين إنـه ينصبه على الظَّرْفِ، كما تقول فوقَهُم ثيابٌ، وهذا لا نعرفه في الظروف، ولـو كان ظرفاً لم يَجُزْ إسكان الياء. ولكن نصبه على الحال من شيئين أحدهما من الهـاء والميم، المعنى يطوف على الابـرار ولدان مُخَلَّدُونَ عَـالِياً الأبْـرَارَ ثيابُ سندس لأنه وقـد وصف أحوالهم في الجنَّـةِ، فيكون المعنى يـطوف عليهم في هـذه الحـال هؤلاء. ويجـوز أن يكون حـالا من الـولـدان، المعنى إذا رَأَيْتَهُمْ حسبتهم لُؤلُؤاً منثوراً في حال علو الثياب إياهم، فالنصب على هذا بين. فـأما «عَلَيْهم ثيـاب سُنْدُسٍ» فـرفع كقـولك عليـك مَالٌ فتـرفعُهُ بـالابتـداء، ويكـون المعنى وثياب سندس عليهم. وتفسير نصب عاليتهم ورفعها كتفسير عاليهم.

والسندس الحرير. وقد قرئت خُضرٌ وخُضْرٍ، فمن قرأ﴿خُضرٌ﴾ فهو أحسن لأنه يكون نعتاً للثياب، فلفظ الثياب لفظ الجميع، وخُضْرٌ لفظها لفظ الجمع. ومن قـرأ خُضْـرٍ فهـو من نعت السنـدس، والسُّنـدُسُ في المعنى راجـع إلى الثياب، وقرئت﴿وإسْتَبْرَقٌ﴾ وهو الدِّيبَاج الصَّفِيق الغليظ الخشن. وقـرئت بالـرفع والجر. فمن رفع فهو عطف على ثياب المعنى عليهم استبرق، ومن جر عطف على السندس، ويكون المعنى: عليهم ثياب من هذين النـوعين ثياب سنـدس واستبرق. وقرئت واستبْرَقَ على وجهين غير هـذين الوجهين، كـلاهما ضَعِيف في العربية جدًا، قرئت واستبرق وَحُلُّوا ـ بنصب استبرق ـ وهو في موضع الجر ولم يصـرف، قرأهـا ابن مُحَيْصِن، وزعمـوا أنـه لم يصـرفـه لأن استبـرق اسم أعجميٌ، وأصله بـالفارسيـة استبره، فلمـا حول إلى العـربية لم يصـرف وهذا غلط لأنـه نكـرةٌ ألا تـرى أن الألف والـلام يـدخـلانـه، تقـول: السنـدس والاستبرق. والوجه الثاني، وآستبـرَق وَحُلُّوا ـ بطرح الألف ـ جعل الألف ألف

وصـل، وجعله مُسمًّى بالفعـل من البريق، وهـذا خطأ لأن الاستبـرق معـروف معلوم أنه اسم نُقِل من العجمية إلى العربية كما سمي الـديباج وهـو منقول من الفارسية.

قوله عز وجل:﴿وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً﴾.

جاء في التفسير أنهم إذا شربوه ضمِرَت بُطُونُهم وَرَشَحَتْ جُلُودَهم عرقـاً كرائحة المسك، وقيل إنه طهور ليس برجس كخمر الدنيا.

قوله:﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُم آثِماً أَوْ كَفُوراً﴾.

أو ههنا أوكد من الواو، لأن الواو إذَا قُلتَ: لا تـطع زيداً وعَمـراً فأطـاع أحدهما كان غير عاص، لأنه أمره ألَّا يطيع الاثنين. فإذا قـالَ ولا تطع آثمـا أو كفورا فـ «أو» قد دلت على أنَّ كلَّ واحد منهما أهل لأن يعصى، وكمـا أنك إذا قلت: لا تخالف الحسن أو ابن سيرين، أو: اتبع الحسن او ابن سيرين، فقد قلت: هذان أهل ان يُتَّبَعَا، وكل واحد منهما أهلٌ وقد فسرنا مثـل هذا التفسيـر في غَيْرِ هذا الحرف في أول سورة البقرةِ في قوله تعالى: ﴿مَثَلُهمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ ناراً﴾[1] إلى آخر الآية ـ وَبَعْدَ ذلك ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾[2] وتأويله مِثْلُهُم لأنك إنْ جَعَلْتَ مثلهم كمثل الـذي استوقـد ناراً، أو مَثَّلْتَهُم بـالصَّيب أَوْ بِهِمَا جميعاً فأنت مُصِيبٌ.

وقوله عز وجل:﴿واذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾.

الأصيلُ العَشِيُّ، يقال: قَدْ أَصَلْنَا إذا دخلوا في الأصيل، وهو العشِيُّ.

قوله:﴿نَحْنُ خَلَقناهم وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾.

﴿أسرهم﴾ خلقهم جاء في التفسير أيضاً مَفَاصِلَهُمْ.

---

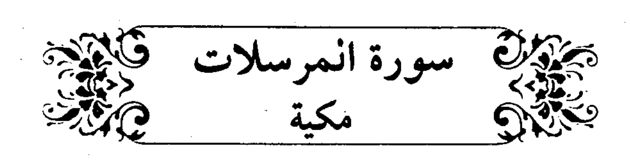
(١) سورة البقرة /١٧.
(٢) سورة البقرة /١٩.

وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾.

أي لستم تشاءون الا بمشيئة اللّٰه.

﴿والظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾.

نصب الظالمين لأن قبله مَنْصُوباً، المعنى يدخل من يشاء في رحمته ويعذبُ الظالمين أعدَّلهم عَذَاباً أليما، ويكون أَعدَّ لَهُمْ تفسيراً لهذا المضمر، وقرئت «والظالمون» ولا أرى القراءة بها، من وجهين أحدهما خلاف المصحف، والآخر إن كانت تجوز في العربية على أن يرفع الظالمين بالابتداء، والذي بعد الظالمين خبر الابتداء، فإن الاختيار عند النحويين البصريين النصب، يقول النَحْوِيُونَ اعطيت زيداً وعَمْراً أَعَدَدْتُ له بُرًّا، فيختارون النصب على معنى وَبَرَرْتُ عَمراً وَأَبر عَمراً أعددت له بُرًّا، فلا يختارون للقرآن الاَّ أَجْوَد الوجوه، وهذا مع موافقة المصحف.



سورة المرسلات
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال أبو إسحاق: قوله عزَّ وَجَلَّ: ﴿والْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً﴾.

جاء في التفسير أنها الرِّيَاحُ أرسلت كعرف الفرس، وكذلك: ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً، والنَّاشِرَاتِ نَشْراً﴾، الرياح تأتي بالمطر كما قال عز وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِه ﴾.

وقوله: ﴿ فالْفَارِقَاتِ فَرْقاً ﴾.

يعنى به الملائكة جاءت بما يفرق بين الحق والبَاطِلِ، وكذلك ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكراً﴾.

يعنى الملائكة. وقيل في تفسير ﴿والمرسلات﴾ أنها الملائكة أرسلت بالمعروف، وقيل إنها لعرف الفرس. وقيل - ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ الملائكة تعصف بروح الكافِر؛ والباقي إلى آخر الآيات يعنى به الملائكة أيضاً.

وفيه وجه ثالث، ﴿والمبرسلات عرفاً﴾ يعنى به الرسل، ﴿فالعَاصِفَاتِ عَصْفاً﴾ الرياح، ﴿فالناشرات نشراً﴾ الرياح، ﴿فالفارقات فرقاً﴾ على هذا التفسير الرسل أيضاً، وكذلك ﴿فالملقيات ذِكراً﴾.

وهذه كلها مجرورة على جهة القسم، وجواب القسم ﴿إنَّ مَا تُوعَدون

لَـواقِعٌ﴾؛ وقال بعض أهل اللغة: المعنى ورب المرسلات، وهذه الأشياء كما قال: ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾.

وقرئت عَرْفاً وَعُرفاً والمعنى واحد في العرف والعرف.

وقوله: ﴿ عُذْراً أَو نُذْراً ﴾.

وقرئت عُذُراً أَو نُذُراً. فمعناهما المصدَرُ، والعذْرُ والعُذارُ بمعنى وَاحِدٍ، ونصب ﴿عذراً أونذراً﴾ على ضربين أحدهما مفعول على البـدل من قولـه ذِكراً، المعنى فالملقيات عذراً أو نُذْراً، ويكون نصباً بِذِكراً، فـالمعنى فالملقيـات أن ذكرت عذراً ونذراً.

ويجوز أن يكون نصب عُذْراً أَو نُذْراً على المفعـول له، فيكـون المعنى فالملقيات ذكراً للاعذار والانذار.

وقوله: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾: معناه أُذْهِبَتْ وغُطِّيَتْ.

﴿وإذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾.

معناه شُقَّت كما قال عز وجل: ﴿إذا السماء انشقت﴾[1].

﴿وإذَا الجِبَالُ نُسِفَتْ﴾.

ذهب بهـا كلهـا بسـرعـة، يقـال انتسفت الشيء إذَا أَخذته كله بسرعة.

﴿ وإذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾.

وقرئت وقتت بالـواو، والمعنى واحد، فمن قـرأ أقتـت بالهمز فإنـه أبدل الهمزة من الواو لانضمام الواو، فكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمةً جاز أن تبدل منها همزة، ومعنى وقتت جعل لها وقت وأجل.

قوله: ﴿لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾.

---

(١) أول سورة الانشقاق.

ثم بَيَّنَ فقال: ﴿لِيَوْمِ الفَصْلِ﴾: أي أُجِّلَتْ القضاء فيما بينها وبين الأمم ليوم الفصل.

قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ مرفوع بالابتداء. و ﴿للمكذبين﴾ الخبر، ويجوز في العربية وَيْلاً يَوْمَئِذٍ ولا يجيزه القراء لمخالفة المصحف.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الأوَّلين، ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الآخَرِينَ﴾.

على الاستئناف، ويقرأ ثم نتبعْهم ـ بالجزم ـ عطف على نهلك، ويكون المعنى ألم نهلك الأولين أي أَوَّلاً وَآخِراً. ومن رفع فعلى معنى ثم نُتبع الأول الآخر من كل مجرم.

قوله عز وجل :﴿كَذَلِكَ نَفْعَلُ بالمُجْرِمِينَ﴾.

موضع الكاف نصب، المعنى مثل ذلك نفعل بالمجرمين.

قوله :﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾.

﴿كفاتاً﴾ ذات جمع، المعنى تضمهم أحياء على ظُهُورِها، وأمواتاً في بطنها، و﴿أحياء﴾ منصوب بقوله ﴿كِفَاتَاً﴾، يقال كفت الشيء أكفته إذا جمعته وضممته.

﴿وَجَعَلْنَا فيها رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ﴾.

أي جبالاً ثوابت، يقال رسا الشيء يَرْسُو إذَا ثبت، وشامخات مرتفعات.

﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً﴾، أي عَذْباً.

قوله:﴿انْطَلِقُوا إلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

يعنى النار لأنهم كذَّبوا بالبعث والنشور والجنة والنار.

﴿انْطَلِقُوا إلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ﴾.

يعنى بالظل ههنا دُخَانُ جَهَنَّمَ، ثم أعلم عز وجل أنه ليس بظليل ولا يدفع من لهب النار شيئاً فقال: ﴿لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ. إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ﴾.

جاء في التفسير أنه القصرُ مِنْ هذِه القُصُورِ، وقيل القصر جمع قصرةٍ، وهو الغليظ من الشجر، وقرئت كالقَصَرِ - بفتح الصاد - جمع قصرة أي كأنها أعناق الإِبِلِ.

وقوله: ﴿كأنه جِمَالاَتٌ صُفْرٌ﴾.

يقرأ جِمَالاتٌ وجمالاتٌ، - بضم الجيم وكسرها - يُعْنَى أن الشرر كالجمال السُّودِ، يقال للابل التي هي سود تضرب إلى الصُّفْرَةِ: إبل صُفْرٌ، فمن قرأ جمالات بالكسر فهو جمع جِمَال، كما تقول بُيُوتٌ وبيوتاتٌ وهو جمع الجمع، ومن قرأ جُمَالاتٌ بالضم فهو جمع جمالة، وهو القَلْسُ من قلوس سفن البحر، ويقال كالقَلْسِ من قلوس الجسر، ويجوز أن يكون جمع جَمَلٍ وجمالٍ وجمالات، كما قيل رجال جمع رجل، وقرئت جِمَالَةٌ صُفْرٌ على جمع جمل وجمالة كما قيل حجر وحجارة، وَذَكَر وذِكارة، وقرئت جماله صُفْرٌ على ما فسّرنا في جُمَالاَت.

وقوله: ﴿هَـٰذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ، وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾.

يوم القيامة له مواطن ومواقيتُ، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها.

وقوله: ﴿هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ﴾.

أي هذا يوم يفصل فيه بين أهل الجنة والنار وأهل الحق والبَاطِلِ.

وقوله: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

ههنا إضمار القول، المعنى أن المتقين في ظلال وعُيُونٍ وفواكه مِمَّا يَشْتَهُونَ يقال لهم: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾.

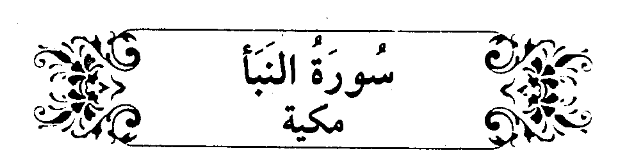
قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ﴾.

إذا أمروا بالصَّلَاةِ لَمْ يُصَلُّوا.

وقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.

أي فبأي حديث بعد القرآن الذي أتاهم فيه البيان وأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ وهو آية قائمة، دليلة على الاسلام مما جاء به النبي عليه السلام.





سُورَةُ النبَأ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

أصله عن ما يتساءلون. فأدْغمت النون في الميم، لأن الميم تشرك النُّونَ في الغُنَّةِ في الأنف، وقد فسرنا لم حذفت الألف فيما مضى من الكتاب، والمعنى عن أي شيء يتساءلون، فاللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى تفخيم القصة كما تقول: أي شيء زَيْدٌ. ثم بيَّن فقال:

﴿عَنِ النَّبَإِ العَظِيم﴾.

قيل هو القرآنَ، وقيل عن البعث، وقيل عن أمر النبي ﷺ. والذي يدل عليه قوله:﴿إِنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾يدل على أنهم كانوا يَتساءلون عن البعث.

وقوله:﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

وقرئت: كلا ستعلمون بالتاء، والَّذي عليه القراء: كلا سيعلمون بالياء، وهو أجود، والتاء تروى عَنِ الحَسنِ.

وقوله:﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً﴾.

وقرئت مَهْداً، وأكثر القراء يقرأونها مِهاداً، والمعنى واحد وتأويله إنّا ذللناها لهم حتى سكنوها وساروا في مناكبها.

وقوله: ﴿وَخَلقناكم أزواجـاً﴾.

خلق الذَّكَرَ والأنثى، وقيل أزواجاً أي ألوانـاً.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتاً﴾.

والسُّبَاتُ أن ينْقطع عن الحركة والروحُ في بدنه، أي جعلنا نومكم راحة لكم،

﴿وجعلنـا الليل لِبَاسـاً﴾، أي تسكنون فيه وهو مشتمل عليكم

﴿وَبَنْيَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِدَاداً﴾: أي سبعَ سمواتٍ.

﴿وجَعَلْنَا سِرَاجاً وَهَّاجاً﴾.

أي جعلنا فيها الشمس سراجاً، وتأويل ﴿وهَّاجاً﴾ وَقَّاداً.

﴿وأَنْزَلْنَا مِنَ المُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجاً﴾.

المعصرات السحائب لأنها تعصر الماء وقيل المعصـراتِ كما يقـال: قد أَجَزَّ الزَّرْعُ فهو مُجَزٌّ إذا صار إلى أن يمطر. وقد أَعْصَر، ومعنى ثجاج صباب.

﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتاً﴾.

كـل ما حصـد فهو حَبٌّ، وكـل ما أكلتـه الماشيـة من الكلأ فهـو نَبَاتٌ.

﴿وَجَنَّاتٍ أَلْفَافاً﴾.

أي وبسـاتين ملتفة، فـأعلم اللَّه ـ عـز وجـل ـ مـا خلق وأنـه قـادِرٌ على البعث فقال:

﴿إنَّ يَوْمَ الفَصْلِ كَانَ مِيقَاتاً﴾.

﴿يَوْمَ يُنْفَخُ في الصُّـورِ﴾ بدل من يوم الفصل، إن شئت كان مُفسِّراً ليـوم الفصلِ. وقد فسرنا الصور فيما مضى.

﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجاً﴾: أي تأتي كل أمة مع إمَامِهِمْ.

﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً﴾، أي تشققت كما قال عز وجل: ﴿إذا السماء انفطرت﴾[1] ﴿إذا السماء انشقت﴾[2].

وقوله: ﴿إنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاداً. [للطَّاغِينَ مَآباً]﴾.

أي يَرْصُدُ أهلَ الكفر ومن حق عليه العذاب.

تكاد تميز من الغيظ، فلا يجاوزها من حقت عليه كلمة العذاب.

ومعنى «مآباً» إليها يرجعون.

وقوله: ﴿لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً﴾.

وَلَبِثِينَ، يقال: لبث الرَّجل فهو لابث، ويقال: هو لبث بمكان كذا أي صار اللبث شَأْنَهُ[3]. والأحقاب واحدها حُقْب، والحقب ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً، وكل يوم مقداره ألف سنة من سني الدنيا، والمعنى أنهم يلبثون أحقاباً لَا يَذُوقُون في الأحقاب برداً ولا شراباً، وهم خالدون في النار أبداً كما قال عز وجل:﴿خَالدين فيها أبداً﴾.

ومعنى:﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً﴾.

قيل نوماً، وجائز أن يكون لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدَ رِيحٍ وَلَا ظِلٍّ وَلَا نَوْمٍ.

﴿إلَّا حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾.

أي لا يذوقون فيها إلَّا حميماً وهو في غاية الحرارة.

---

(١) أول سورة الانفطار.

(٢) أول سورة الانشقاق، وفي الأصل «فإذا» وهو خطأ.

(٣) لبثَ كسمع ـ لازم ـ مصدره اللَّبْثُ بفتح اللام. وبضم، وفتح الباء فيقال اللبَثُ، واللِّبَاث، واللُّبَاث، بكسر وضم اللام. وهي مصادر شاذة لأن مصدر اللازم المكسور العين يكون على فعل ـ مثل فَرَح، واسم الفاعل لابث ولَبِثٌ ـ كفرح ـ وألبثه ولبَّثه، واللُّبثة التوقف كالتلبث.

والغَسَّاقُ: قيل ما يَغْسِقُ من جُلُودهم، أي يسيل، وقيل: الغسَّاق الشديد البَرْدِ.

﴿جَزَاءً وِفَاقاً﴾.

أي جُوزُوا وَفْق أعمالهم.

﴿إِنَّهُم كانُوا لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً﴾.

أي لا يؤمنون بالبعث وَلاَ يَأنَّهُمْ يُحَاسَبُونَ، ويرجون ثواب حساب[1].

﴿وَكَذَّبُوا بآيَاتِنَا كِذَّاباً﴾.

هذا أكثر القراءة، وَقَدْ قُرِئَتْ كذَاباً بالتخفيف، وكذَّابا بالتَّشْدِيدِ أكثر، وهو في مصادر فعَّلْتُ أجود من فِعَالٍ، قال الشاعر:

لقد طال مَا رَيَّثَتِني عن صحابتي وعن حِوَج قَضَّاؤها من شفائِيا[2]

من قضَّيت قضَّاء. ، ومثل كِذَاباً - بالتخفيف قول الشاعر[3]:

فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه

وقوله: ﴿وَكُلَّ شَيءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَاباً﴾.

﴿وكُلَّ﴾ منصوب، بفعل مُضْمَرٍ تفسيره أَحْصَيْنَاهُ كتاباً، المعنى وأَحصينا كل شيء أحْصَيْناه، وقوله ﴿كِتاباً﴾ توكيد لقوله أُحْصَيْنَاهُ لأن معنى أُحْصَيْنَاه وكتبناه فيما يحصل ويثبت واحد، فالمعنى كتبناه كتاباً[4].

وقوله - جل وعز: - ﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾.

---

(١) أي تقدير الآية لا يرجون ثواب حساب - فهناك مضاف محذوف.

(٢) البيت في اللسان (حوج) كذب.

(٣) للأعشى - اللسان (صدق)

(٤) التقدير كما ترى - والأقرب أحصيناه في كتاب، أو أودعناه.

قال أبو إسحاق: الكأس كل إناء فيه شرابٌ فهو كأس، فإذا لم يكن فيه شراب فليس بكأسٍ، وكذلك المائدة: ما كان عليها من الأخونة طعام فهو مائدة،ومعنى دهاقاً مليء، وجاء في التفسير أَيْضاً أنها صافية، قال الشاعر[١]:

يَلَذُّهُ بِكَأسِهِ الدِّهَاقِ

وقوله: ﴿ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ ﴾.

منصوب بمعنى ﴿إنَّ للمتقين مَفَازاً﴾، المعنى جاز اهم بذلك جزاء، وكذلك ﴿عَطَاءً حِسَاباً﴾، لأن معنى أعطاهم وجزاهم وَاحِدٌ. وحِسَاباً معناه ما يكفيهم، أي فيه ما يشتهون. يقال: أَحْسَبَنِي كذا وكذا بمعنى كفاني.

وقوله: ﴿رَبِّ السَّموات والْأَرْضِ ﴾.

قرئت بالجر على الصفة من قوله: «مِنْ رَبِّكَ» رَبِّ، وقرئت «ربُّ» على معنى هو رَبُّ السَّمَواتِ والأَرْضِ، وكذلك قرئَت ﴿الرحمنُ﴾ لا يملكون منه خطاباً ـ بالجرّ والرفع. وتفسيرها تفسير رَبِّ السموات والأرض.

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالمَلاَئِكَةُ صَفًّا ﴾.

﴿الروح﴾ خلق كالإنس، وليس هو «أنس، وقيل: الروح جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إلَى رَبِّه مآباً﴾، أي مَرْجعاً.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَاباً ﴾.

جاء في التفسير أنه إذا كان يوم القيامة اقتُصَّ للجَمَّاءِ مِنَ القَرْناء. والجماء

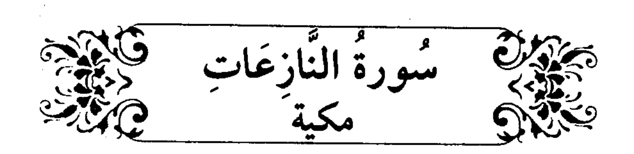
---

(١) اللسان (دهق).

التي لا قرن لها. ثم يجعل اللَّه تعالى الجميع تراباً، وذَلِك التُّرابُ هو القترة التي تَرْهَقُ وجوهَ الكفار وتعلو وجوههم، فيتمنى الكافر أن يكون تُرَاباً. وقد قيل: إن معنى ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُراباً﴾. أي ليتني لم أبعث، كما قال: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾[1].

---

(١) سورة الحاقة. / ٢٥.



بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقاً، والنَّاشِطَاتِ نَشْطاً﴾.

قيل في التفسير يعنى به الملائكةُ تنزِعُ روحَ الكَافِرِ وتنشطها فيشتد عليه أمرُ خروج نَفْسِه.

وقوله: ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحاً، فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾.

أرواح المؤمنين تخرج بسهولةٍ.

وقيل: ﴿والنَّازِعَاتِ غَرْقاً﴾ القسِيُّ، ﴿ ﴿والنَاشِطَاتِ نَشْطَاً﴾ الأوْهَاقُ[1] ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحاً﴾ السُّفُنُ، ﴿فالسَّابِقَاتِ سَبْقَاً﴾ الخيل.

﴿[فَالمدَبِّراتِ أَمْراً]﴾.

والمدبرات أمراً الملائِكَةُ، جبريل وميكائيل وإسرافيل وملَكُ الموْتِ فجبريل بالوحي والتنزيل وميكائيل بالقطر والنبات، وإسرافيل للصُّورِ وملك الموت لقبض الأرْوَاحِ.

وقيل: ﴿والنازِعات غَرْقاً﴾: النجوم تنزع من مَكَانٍ إلى مكانٍ وكذلك ﴿والسَّابِحَاتِ سَبْحَاً﴾ النجوم تسبح في الفلك كما قال: ﴿وَكُلٌّ في فَلَكٍ

(١) جمع وهق. الأربطة والقيود.

يَسْبَحُونَ﴾(١)، وكذلك فالسابقات سبقاً فأما المدبرات أمراً فالملائكةُ، وقيل ﴿فالسَّابِقَاتِ سَبْقاً﴾ الملائكة تسبق الشياطينَ بالوَحْي إلى الأنبياء كل هذا جاء في التفسير واللَّه أعلم بحقيقة ذلك.

وقوله:﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تتبعها الرَّادِفَةُ﴾.

ترجف تتحرك حركة شديدة، وقيل: الراجفة النفخة الأولى التي تموت معها جميع الخلق.

وَقَوْلَهُ: ﴿ تَتْبَعُها الرَّادِفَةُ ﴾.

قيل النفخة الثانية التي تبعث معها الخلق، وهو كقوله [تعالى]:﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فإذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾(٢).

و﴿يَوْمَ﴾ منصوب على معنى قُلُوبٌ يومَئذٍ واجفة يومَ تَرْجُفُ الراجفة، ومعنى واجفة شديدة الاضطراب.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾: ذليلة.

وجواب والنازعات ـ واللَّه أعلم ـ محذوفٌ، والمعنى كأنه أَقْسَمَ فقال: وهَذِه الاشْياء لَتُبْعثنَّ، والدَّلِيلُ عَلَى ذَلكَ قوله:

﴿يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحَافِرَةِ﴾.

أي إنا نرد في الحياة بعد الموت إذا كنا عظاماً نَخِرةً، أي نُردُّ ونبعث. ويقال: رجع فلان في حافرته إذا رجع في الطريق الذي جاء فيه، وقرئت نخرة، و «ناخِرةً» اكثر في القراءة وأجود لشبه آخِرِ الآي بعضها ببعض؛ الحافرة

---

(١) سورة يس الآية ٤٠، وانظر سورة الانبياء ٣٣.

(٢) سورة الزمر الآية ٦٨.

وناخرة وخاسرة. ونخرة جَيِّدةٌ أيضاً، يقال: نخر العظم يَنْخَرُ فهو نخِر مثل عَفِنَ الشيءُ يعْفَنُ فهو عَفِنٌ. وَنَاخِرة على معنى عظاماً فارغة يصير فيهـا من هبوب الريح كالنخير، ويجوز ناخرة كما تقول: بَلِيَ الشيء وبليت العظام فهي بَالِيةٌ.

﴿ قالُوا تِلْكَ إذَنْ كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴾.

أي هذه الكرة كرة خُسْران، والمعنى أهلها خاسرونَ، ثم أَعْلَمَ عز وجل سهولة البعث عليه فقال:

﴿فَإِنَّما هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ، فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾.

والساهرة وجه الأرض.

وقوله: ﴿بِالوَادِي المقُدَّسِ طُوًى﴾.

أي المبـارك، وقرئت «طُـوَى اذْهَبْ» ـ غَيْرَ مَصْـرُوفَـةٍ ـ وطُـوًى منـونَـةً، وقـرئت طِوًى بكسـر الطاء. وطُـوَى اسم الوادي الـذي كلم اللَّه عليه مـوسى، فمن صرفه فهو بمنزلة نُغَر وَصُرَدٍ[1] إذا سميت به مذكراً، ومن لم يصـرفه فهـو على ضربين أحدهما أَنْ يكون اسمَ البقعـة التي هي مشتملة على الوادي، كمـا قال: ﴿في البقعة المباركة من الشجرَةِ ﴾ وَقِيلَ إنَّه مُنِعَ الصَّرْفَ لأنـه معدول نحـو عُمَر، فكأن طوى عُدِلَ عَنْ طاوٍ كما أَنَّ عُمـرَ عُدِلَ عَنْ عَـامِر، ومن قـال طِوى بالكسر فعلى معنى المقدَّس مرَّةً بعد مَرَّةٍ، كما قال طرفة بن العَبْد[2]:

أَعَــاذل إن الـلومَ في غـيــر كنـهــه عَـلَيَّ طِـوًى من غيــك المتــرَدِّدِ

أي إنّ اللوْمَ المكرُورَ عَلَيَّ.

وقوله:﴿فَأَرَاهُ الآيَةَ الكُبْرَى ﴾.

---

(١) النغر فراخ العصافير واحدها نغرة.

(٢) البيت لعدي بن زيد ـ كما في اللسان (طوى).

يعنى أنه اليدُ التي أخرجها تتلألأ من غير سوءٍ.

قوله عز وجل: ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى﴾.

﴿نكالَ﴾ منصوب مصدر مؤكدٌ لأنَّ معنى أخذه اللَّه نَكَّلَ بِهِ نكالَ الآخرةِ والأولى أي أغرقه في الدنيا ويعذبه في الآخرة.

وجاء في التفسير أن ﴿نَكَالَ الآخرةِ والأُولَى﴾ نكال قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾[1]، وقوله: ﴿أَنا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾. فنكل اللَّه به نكال هاتين الكلمتين.

قوله: ﴿أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾.

قال بعض النحويين: «بناها» من صلة السَّمَاءِ، المعنى أم التي بناها، وقال قوم: السماء ليس مِمَّا يوصل، ولكن المعنى أأنتم أشد خلقاً أم السماء أَشَدُّ خَلْقاً. ثم بين كيف خلقها فقال: ﴿بَنَاهَا رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا، وأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾. أي أَظْلَمَ لَيْلَها.

﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾: أظهر نورها بالشمس.

وقوله: ﴿والأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾.

القراءة على نصب الأرض، على معنى: ودحا الأرض بعد ذلك، وفسر هذا المضمر فقال دحاها، كما تقول: ضربت زيدا وعمرا اكرمته، وقد قرئت والأرْضُ بعد ذلك دحاها على الرفع بالابتداء، والنصب أجودُ، لأنك تعطف بفعل على فعل أحسن، فيكون على معنى بناها. وفعَل وفَعَل ودَحَا الأرض بعد ذلك.

قوله: ﴿ والْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾.

---

(١) سورة القصص الآية ٣٨.

تفسير نصب الجبال كتفسير نصب الأرض، وكذلك يجوز الرفع، وق
قرئ به في الجبال على تفسير والأرض، ومعنى أَرْسَاهَا أثبتَهَا.

وقوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾.

نصب ﴿متاعاً لكم﴾ بمعنى قوله أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا ومَرْعَاهَا للإمتاع لكم، لأن معنى أخرج منها ماءها ومرعاها أمتع بذلك.

وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الكُبْرَى﴾.

إذا جاءت الصيحة التي تَطُمُّ كلَّ شيء، الصَّيْحة التي يقع معها البعث والحساب والعقاب والعذاب والرحمة.

وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى، وآثَرَ الحيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى﴾.

هذا جواب فإذا جاءت الطامة الكبرى، فإن الأمر كذلك، ومعنى هي المأوى أي هي المأوى له، وقال قوم: الألف واللام بَدَلٌ من الهاء، المعنى فهي مأواه لأن الألف واللام بدل من الهاء، وهذا كما تقول للانسان: غُضَّ الطرفَ يا هَذَا. فلابس الألف واللام بدلا من الكاف وان كان المعنى غضَّ طَرْفَكَ لأن المخاطب يعلم أنك لا تأمره بغض طرف غيره، قال الشاعر:

فغض الطرف انك من نُمَيْرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلَابا[1]

وكذلك معنى ﴿فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى﴾ على ذلك التفسير.

وقوله: ﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾.

معناه متى وقوعها وقيامها، ومعنى ﴿إِلى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾، اي منتهى علمها.

---

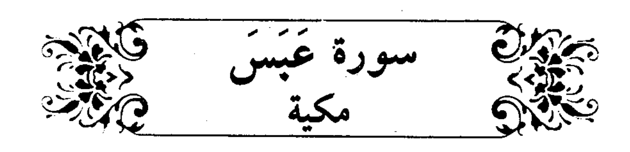
(١) من قصيدة جرير في هجاء الراعي وقبيلته. وجاء جزء منها في شواهد المغني ص ٢٥٨ وهذا البيت من الأبيات الموجعة السائرة.

وقوله: ﴿إنّما أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾.

وقرئت «منذرٌ» بالتنوين على معنى إنما أنت في حال إنذار من يخشاها وتنذر أيضاً فيما يستقبل من يخشاها، ومُفْعِل وفاعِلٌ إذا كان واحد منهما ومما كان في معناهما لما يستقبل وللحال نونته لأنه يكون بَدَلاً من الفعل، والفعل لا يكون الا نكرة. وقد يجوز حذف التنوين على الاستخفاف، والمعنى معنى ثبوته يعني ثبوت التنوين، فإذا كان لما مضى فهو غير مُنَوَّنٍ البتَّةَ، تقول: أنت منذرٌ زيداً، أي أنت أنذرت زيداً.

وقوله: ﴿إلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾.

هذه الألف والهاء عائدة على عشية، المعنى إلاَّ عشية أو ضحاها، أوضحى العشية، فأضفت الضحى إلى العشية، والغداة والعَشِيُّ والضحوة والضحى لليوم الذي يكون فيه، فإذا قلت أتيتك صباحاً ومساءه، أو مساء وصَباحَه، فالمعنى أتيتك صباحاً ومساء يلي الصباح، وأتيتك مساء وصَبَاحاً يلي المساء.



سورة عَبَس
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله :﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى﴾ .

أن في موضع نصب مفعول له، المعنى لِأن جاءه الاعمى .

وهذه الآيات وما بعدها إلى قوله ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾[1] نزلت في عبد اللّه ابن أُمِّ مكتوم. كان صار إلى النبي ﷺ والنبي يدعو بعض أشراف قريش إلى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامه غيره، فتشَاغَل -عليه السلام- بدعائه عن الاقبال على عبد اللّه بن أم مكتوم، فأمره اللّه الا يتشاغَلَ عن الإقبالِ على أَحَدٍ من المسلمين بغيره، فقال: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ، أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعلَّه يَزَّكَّى أو يَذَّكَّرُ فَتنفعُهُ الذِّكْرَى﴾ .

ويُقْرأُ فَتَنْفَعه الذِّكرى. فمن نصب فعلى جواب «لَعَلَّ» ومن رفع فعلى العطف على يزَّكىَّ .

وقوله : ﴿أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ .

أي أنت تقبل عليه، ويقرأ تَصَّدَّى، فمن قرأ تَصَدَّى - بتخفيفِ الصَّاد - فالأصل تَتَصَدَّى، ولكن حذفت التاء الثانية لاجتماع تاءين، ومن قرأ تَصَّدَّى

---

(١) بقيتها :﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى، أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى وَهُوَ يَخْشَى فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ .

بـإدغام التـاء، فالمعنى أيضـا تتَصَدَّى، إلاَّ أن التـاء أدغمت في الصـاد لقـرب المخرجين ـ مخرج التاء مِنَ الصَّادِ.

وقوله: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى﴾.

أي أي شيء عليك أن لا يسلم من تَدْعُوه إلى الإسلام.

وقـوله: ﴿فَـأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ معنـاه تَتَشَاغَـلُ، يقـال: لَهيت عن الشيء ألهى عنه إذا تشاغلت عنه.

وقوله:﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾.

يعني به هذه الموعظة التي وعظ اللَّه بها النبي عليه السلام.

﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ﴾.

ذُكِّـرَ لأن المـوعـظة والـوعظ واحـد، والمعنى راجـع إلى حَمَلَةِ القُـرآنِ المعنى فمن شـاء أن يذكـره ذكـره. ثم أخبـر جـل وعـزَّ أن الكتـابَ في اللوح المحفوظ عنده، فقال: ﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرة بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾.

والسَّفَرَةُ الكتبة، يعني به الملائكـة، واحدهم سَـافِر وَسَفَـرة مثل كـاتب وكتبة، وكافر وكفرة، وَإِنَّما قيل للكتَّاب سَفَرة، وللكاتب سـافِر، لأن مَعْنَـاه أنه يبَيِّن الشَّيءَ وَيُوَضِّحُه، يقال أَسْفَرَ الصُّبْحُ إذَا أضاء، وسفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وَجْهِهَا، ومنه: سَفَرت بين القوم أي كشفت قلب هذا وقلـب هـذا لأصلح بينهم.

وقوله: ﴿بَرَرَةٌ﴾: جمع بارّ.

وقوله:﴿قُتِلَ الإِنْسَانُ ما أَكْفَرَه﴾.

يكـون على جهة لفظ التعجُّب، ويكـون التَّعَجُّب مِمَّا يُؤمَـرُ بِهِ الآدَمِيُّـونَ

ويكـون المعنى كقـولـه: ﴿فمـا أصبـرهم على النـار﴾[1] أي اعْجَبُـوا أنتم من كُفْـرِ الإنْسَانِ، ويجـوز على معنى التوبيـخ ولفظه لفظ الاستفهـام، أيْ أيُّ شيء اكفَرَهُ. ثم بَيَّن مِن أَمْره مـا كان ينبغي أن يُعْلَمَ مَعَـهُ أن اللّه خَالِقُـه، وأنه وَاحِدٌ فقال:

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾.

على لفظ الاستفهام، ومعناه التقرير ثم بيَّن فقال:

﴿من نُطْفَةٍ خَلَقَه فَقَدَّرَهُ﴾.

المعنى فقدّره على الاستواء كمـا قال عـز وجلٍ: أَكَفَـرتَ بالَّـذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ ﴿مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً﴾[2].

وقوله: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾، أي هداه السبيل إمَّا شاكراً وأما كفُوراً.

وقوله :﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾.

معنى أقبره جعل له قَبراً يوارى فيه، يقال أَقْبَرْتُ فُلَاناً، جعلت لـه قبراً، وقبرت فلاناً دفنته فأنا قابِرُهُ، قال الشاعر:[3]

لَـوْ أَسْنَـدَتْ مَيْتـاً إلى نَـحْـرِهَـا   عَـاشَ ولـم يُـنْـقَـلْ إلَـى قَـابِـرِ

وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾.

معنـاه بعثه، يقـال: أنشر اللّهُ المَـوْتَى، وَنَشِرُوا، فـالـواحـد نَـاشِـر قـال الشاعر:[4].

حـتـى يـقـول الـنـاس مـمـا رَأَوْا   يـا عـجـبـاً لـلـمـيـت الـنَّـاشـر

---

(١) سورة البقرة الآية / ١٧٥.   (٢) سورة الكهف /٣٧.

(٣) من قصيدة للأعشى في هجاء علقمة بن علاثة ـ في ديوانه ١٠٥ والطبري ٣١/٣٠.

(٤) من القصيدة نفسها بعد البيت السابق.

وقوله: ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾.

أي فلينظر الانسان كيف خلق اللّه طعامه وطعام جميع الحيوان الذي جعله اللّه سبباً لحياتِهِمْ.

﴿إِنَّا صَبَبْنَا المَاءَ صَبًّا﴾.

ويقرأ ﴿أَنَّا صببنـا﴾، فمن قرأ «إنَّا» فعلى الابتداء والاستئناف ومن قرأ «أَنَّـا» فعلى البدل من الطَّعَامِ، ويكون إنا في موضع جَرٍّ، المعنى فلينظر الانسان إلى إنا صببنا الماء صَبًّا.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الأرضَ شَقًّا﴾.

أي بالنبات.

﴿فَأنبتنا فيهـا حَبًّا﴾، والحبُّ كل ما حُصِدَ، كالحنطة والشعير وكل ما يتغَذى به من ذي حَبٍّ. والقضب الرَّطْبة.

﴿وَحَـدَائِـقَ غُلْبَـاً﴾.

حدائق واحدتها حديقـة، وهي البساتين، والشجـر الملتف، قوله ﴿غُلْباً﴾ معناه مُتَكاثِفَة عِظامٌ.

﴿وفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾.

الأب جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشيةُ، وذكر اللّه عز وجل من آياتـه ما يدل على وحدانيته في إنشاء ما يغـذو جميع الحيوان.

وقوله: ﴿مَتَاعاً لَكُمْ ولِأَنْعَامِكُمْ﴾.

منصوب، مصدر مؤكد لقوله فأنبتنا فيها الاشيـاء التي ذكرت، لأن إنبـاته هذه الاشياء قد أمتع بها الخلق من الناس وجميع الحيوان.

وقوله. ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾.

التي تكـون عنها القيـامةُ، تصخ الأسماع أي تُصِمُّهـا فلا يسمـع الا ما يدعى فيه لإحيائها. ثم فسَّرَ في أي وقت تجيء فقال:

﴿يَومَ يَفِرُّ المَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ - إلى قوله[1]: ﴿لكل امرئ منهم يَوْمَئِذٍ شَـأْنٌ يُغْنِيـهِ﴾ بالغين معجمـةً، وقد قـرئت شأنٌ يَعْنِيـهِ، أي شأن لا يهمـه معـه غيـرُه وكذلك يغنيه لاَ يَقْدِرَ مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره.

ثم بَيَّنَ أَحْوَالَ المُؤْمِنِينَ والكَافِرينَ فوصف أحوال المؤمنين فقال:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾.

مسفرة مضيئة قد علمت مالها من الفـوز والنعيم.

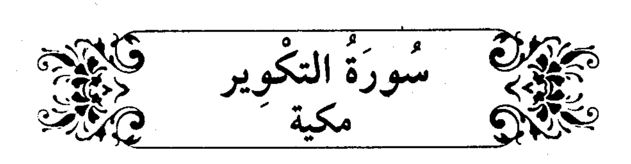
ووصف الكفار وأهل النار فقال: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْها غَبرةٌ، تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾.

أي غُبْـرَةٌ يعلوها سـوادٌ كالـدُّخَانِ، ثم بَيَّنَ مَنْ أَهْـلُ هَذِه الحـالِ فقال: ﴿أُولئِكَ هُمُ الكَفَرَةُ الفَجَرَةُ﴾.

---

(١) بقية الآية: ﴿مِن أَخِيهِ وأُمِّهِ وَأَبِيهِ وصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾.





سُورَةُ التكْوِير
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله :﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.

معنى ﴿كُوِّرَتْ﴾ جمع ضوءها ولُفَّتْ كما تلف العمامة، يقال: كرتُ العِمَامَةَ على رأسِي أكورُها، وكوّرْتُها اكوِّرها إذا لففتها.

﴿وإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾.

انكدرت تهافتت وتناثـــرت.

﴿وَإِذَا الجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾. صارتْ سَرَاباً.

﴿وَإِذَا العِشَارُ عُطِّلَتْ﴾.

﴿العشار﴾ النوق الحوامل التي في بطونها أولاها، والواحِدَةُ عُشَراء، وإنما قيل لها عشار لأنها إذَا أتت عليهـا عَشَرةُ أَشهُـرٍ ـ وهي تضع إذا وضعت لِتَمـامٍ في سنة ـ فَهِيَ عُشَراء، أحسن مـا يكون في الحمـلُ، فليس يعطلهـا أهلها إلا في حـال القيامـة. وخوطبت العـرب بأمـر العِشار لأن مـالها وَعَيْشَهـا أكثرهُ من الإبل.

﴿وَإِذَا الوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾.

قيل تحشر الوحوش كلها حَتَّى الذُّبَابُ يُحْشَرُ للقصاص.

﴿وَإِذَا البِحَارُ سُجِّرَت﴾.

بالتثقيل، ويقرأ سُجِرَتْ بالتخفيف. ومعنى سجرت قيل إنه في معنى فجّرتْ، وقيل سُجّرَتْ مُلِئَتْ، ومنه البحر المسْجُورِ المَمْلُوء. وقيل معنى سُجِرَت جُعلِتْ مياهها نيراناً بها يعذَّب أهل النَّارِ.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتّ﴾.

قُرِنَتْ كلُّ شيعةٍ بمن شَايَعَتْ، وقيل قُرِنَتْ بأَعمَالِها، وقيل قُرِنَت الاحسام بالأرواح.

﴿وَإِذَا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾.

ويقرأ وإذا الموؤودة سَأَلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ، والموؤودة التي كانت العرب تَئِدُهَا، كانُوا إذَا وُلِدَ لأحَدِهم بنتٌ دَفَنَها حيَّة، فمعنى سؤالها بأي ذنب قتلت تبكيتُ قَاتِلِها في القيامة لأنّ جَوَابَهَا قُتِلَتُ بغير ذنب، ومثل هذا التبكيت قول اللَّه تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابنَ مَرْيَمَ أأَنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُوني وَأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾[1] فإنما سؤاله وجوابه تبكيت لِمَنِ ادَّعى هذا عليه.

يقال: وَأَدْتُ أَئِدُ وَأْداً، إذا دفنت المولود حيًّا، والفاعل وَائِدُ، والفاعلة وائدة، والفاعلات وائداتٌ، قال الفرزدق:

ومنا الذي منع الوائدات ... فأحيا البنات فلم توءدِ[1]

وكذلك من قرأ: سَأَلَتْ بأي ذنب قُتِلَتْ، سؤالها تبكيت لقاتلها.

﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾.

---

(١) سورة المائدة /١١٦.

(٢) اللسان (وأد). والكشاف ٤/١٨٨ في الآية نفسها، وكان جد الفرزدق يفعل ذلك.

وَنَشَرَتْ. نشرت الصحف وأعطى كل إنسان كتابه بيمينه أو بشماله على قدر عمله.

﴿وَإِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ﴾.

وقرئت قُشِطَتْ بالْقَافِ، ومعناهما قُلِعَت كما يُقْلَع السَّقْفُ. يقال: كَشَطْتُ السقفَ وقشطت السقف بمعنى واحد، والقاف والكاف تُبْدَلُ إحداهما من الأخرى كثيراً. وَمِثْلُ ذَلِكَ لبكت الشيء ولبقته إذَا خَلطته.

﴿وَإِذَا الجَحِيمُ سُعِرَتْ﴾.

وَسُعِّرَتْ بالتشديد والتخفيف، ومعناه أُقِدَتْ، وكَذَلِكَ سُعِّرَتْ، الَّا أن سُعِّرَتْ أوقدت مرة بعد مرة.

﴿وَإِذَا الجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾.

أي قربت من المتقين، وجواب هذه الأشياء قوله:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾.

أي إذا كانت هذه الأشياء التي هي في يوم القيامة، علمت في ذلك الوقت كل نفس ما أَحْضَرَتْ، أَي مِنْ عَمَلٍ، فأثيبت عَلَى قَدْرِ عَمَلِها.

وقوله: ﴿فلا أقسم بِالخُنَّسِ الجَوَارِي الكُنَّسِ﴾.

الخُنَّس جمع خَانِسٍ، والجواري جمع جَارِيَةٍ، من جَرَى يَجْرِي. والخنس جمع خانس وخانسةٍ، وكذلك الكنَّسُ جمعُ كانِسٍ وكانسةٍ.

والمعنى فأقسم، و «لَا» مؤكدة.

والخنس ههنا أكثر التفسير يعنى بها النجوم، لأنها تَخْنِس أَيْ تَغِيبُ لأن مَعَنا ﴿وَاللَّيْلِ إذَا عَسْعَسَ والصُّبحِ إذَا تَنَفَّسَ﴾، وَمَعَنَا ﴿الخُنَّس﴾. و ﴿الكُنَّس﴾ في

النجوم أنها تطلع جارية، وكذلك تخْنسُ، أي تغيب، وكذلك تكنس تدخل في كناسها، أي تغيب في المواضع التي تغيب فيها. وقيل الخنس ههنا يعنى بَقَر الْوَحْشِ وظباء الوحش. ومعنى خُنَّس جمع خَانِسٍ والظباء خنّسٌ والبَقَرُ خُنَّسٌ. والخَنَسُ قِصَرُ الأنف وتأخره عَنِ الفَمِ، وإذا كان للبقر أو كان للظباء فمعنى الكنس أي التي تكنس، أي تدخل الكِنَاسَ وهو الغُصنُ من اغْصَانِ الشَّجَرِ.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾.

يقال عَسْعَسَ الليل إذَا أَقْبَلَ، وعَسْعَسَ إذا أَدْبَرَ، والمَعْنَيَانِ يرجعان إلى شيءٍ وَاحدٍ، وهو ابتداء الظلام في أوله، وإدباره في آخره.

﴿والصُّبْحِ إِذَا تَنفَّسَ﴾.

إذا امتدَّ حَتَى يصيرَ نَهاراً بيّناً.

وجواب القسم في هذه الأشياء أعني ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ﴾ وما بعده قوله: ﴿ إِنَّه لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيم ﴾.

يعنى أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي العَرْشِ مَكِينٍ ﴾.

قيل إنه من قوة جبريل ﷺ أنه قَلَبَ مَدِينة قوم لُوطٍ بِقَوَادِمِ جناحه وهي قرى أربع.

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

هذا أيضاً جواب القسم، المعنى فأقسم بهذه الأشياء أن القرآن نزل به جبريل عليه السلام، وأقسم بهذه الأشياء ما صَاحِبُكُمْ بمجنونٍ، يعني به النبي

ﷺ لأنهم قالوا: ﴿يـا أيُّها الـذي نُزِّلَ عَلَيْـهِ الذِّكْـرُ إنَّكَ لَمَجْنُـونٌ﴾[1]، فقال: ﴿نون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنونٍ﴾[2]، وقال في هذا الموضع:

﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾.

﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ المُبِينِ﴾.

قد فسرنا ذلك فِي سُورَةِ والنَّجمْ.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الغَيْبِ بِظَنِينٍ﴾.

ويقرأ ﴿بِضَنِينٍ﴾ فمن قَرَأَ بِظَنِينٍ فمعناه ما هو على الغيب بِمُتَّهَمٍ وهو الثقة فيمـا أداه عن اللَّه -جل وعز-، يقال ظننت زيـداً في معنى اتهمت زيداً، ومن قرأ ﴿بِضَنِينٍ﴾ فمعناه ما هو على الغيب ببخيل، أي هو ﷺ يؤدي عن اللَّه ويُعَلِّمُ كتابَ اللَّه.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾.

معناه فأيِ طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التي بينتُ لَكُمْ.

﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾.

أي الاستقامة واضحة لكم، فمن شاء أخذ في طريق الحقِّ والقصد وهو الإيمان باللَّه عز وجل ورسوله. ثم أعلمهم أن المشيئَةَ في التوفيق إليـه، وأنهم لا يقدرون على ذَلِك إلَّا بمشيئة اللَّه وتوفيقه فقال:

﴿وَمَا تَشَاءُونَ إلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِين﴾

ودليل ذلك أيضاً: ﴿وَمَا تَوْفِيقي إلَّا باللَّهِ عليه تَوَكَّلْتُ﴾[3].

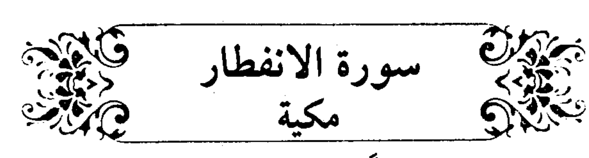
---

(١) سورة الحجر /٦. (٢) أول سورة القلم. (٣) سورة هود ٨٨.

فهذا إعلام أن الإنسان لا يعمل خيراً إلا بتوفيق اللّه ولا شراً إلاَّ بخذلانٍ من اللَّه، لأن الخير والشر بقضائه وقَـدَرِه يضل من يشـاء ويهدي من يشـاء كما قال جَلَّ وَعَزَّ[1] ﴿[اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ]﴾.

---

(١) سورة الشورى. الآية ١٣.



بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل : ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ .

أي انشقت، تتشقَّق السماء يومَ القيامة بالغمام، كما قال عز وجل :

﴿وَإِذَا الكَواكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ .

أي تَسَاقطت وتهافتت .

﴿وَإِذَا البِحَارُ فُجِّرَتْ﴾، فُجِّرَ العَذْبُ إلى المالح .

﴿وَإِذَا القُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يعني بحثرت، أي قلب ترابها وبعث الموتى الذين فيها .

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَرَتْ﴾ .

ما قَدَّمَتْ من عَمَلٍ أمرت به وما أَخَّرت منه فلم تعلمه، وقيل :﴿وَأَخَّرَتْ﴾ سَنَّتْ من سُنَّةٍ عُمِل بها بعدها .

قوله تعالى :﴿يَا أَيُّها الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الكَرِيمِ ﴾ .

أي ما خدعك وَسَوَّلَ لكَ حتى أضعت ما وجب عليك .

وقوله :﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَّلَكَ ﴾ .

أي خلقك في أحسن تقويم وتقرأ (فَعَدَلَكَ) بالتخفيف والتشديد جميعاً .

وقوله:﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ .

يجوز أن يكون ما صِلةً مُؤَكَّدَة، ويكون المعنى في أي صورة شاء ركَّبَكَ . إما طويلا وإما قصيرا، إما مستحسنا وإما غير ذلك، ويجوز أَنْ يكون

ما في معنى الشرط والجزاء، فيكون المعنى في أي صـورة ما شـاء أن يركبـك فيها ركبك.

وقوله:﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾.

أي بـل تكذبـون بأنكم تبعثـون وتدانـون، أي تجازون بـأعمـالكم، ثم أعلمهم ـ عز وجل ـ أن أعمالهم محفوظة فقال:

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ فيكتبونه عليهم.

وقوله: ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

وقوله﴿وَمَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّين، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

فكرر ذكر اليوم تعظيماً لشأنه.

وقوله:﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً﴾.

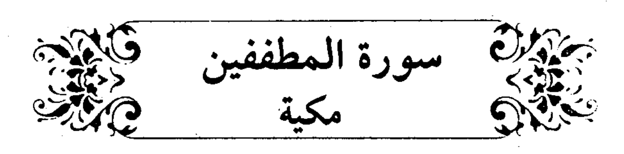
وقرئت «يوم» لا يملك نفس، فمن قرأ بالرفع فعلى أن اليومَ صفةٌ لقوله ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾ ويجـوز أن يكون رفعـاً بإضمار هو، فيكـون المعنى هو لا تملك لنفس شيئاً، ويجوز أن يكون في موضع رفع وهو مبني على الفتح لإضافته إلى قـوله «لا تملك» لأن «مـا» أضيف إلى غير المتمكن قـد يبنى على الفتـح وإن كان في موضع رفع أو جر كما قال الشاعر [1]:

لم يمنـع الشـرب غيـر أن نـطقت حمـامـة في غُصُـونٍ ذات أوقـال

فأضاف غير إلى أن نطقت فبناه على الفتح، وجـائز أن يكـون نصبه على معنى هذه الأشياء المذكورة، يكون يوم لا تملك نفس لِنَفسٍ شيئاً.

---

(١) أبو قبيس بن رفاعة، والأوقال جمع وَقَل ـ بوزن جبل ـ هي الحجارة وما يبقى من جذوع الشجر بعد قطعه، يصف ناقته بدقة الحس، والحنين إلى وطنها ـ وأبو قبيس عامر بن جشم ـ جاهلي أوسي، كان رئيس الأوس يوم بغاث، وهو والد عقبة بن أبي قبيس الذي أسلم يوم القادسية ـ انظر ابن يعيش ٨/٣، وشواهد الكشاف، والخزانة شواهد، ٢٣٦، ٢٩٦ والأغاني ١٥/١٥٤ ساس.



بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفين﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ رفع بالابتداء والخبر قوله للمطففين، ولو كان في غير القرآن لجاز «وَيْلاً» للمطففين، على معنى جعل الله لهم ويلاً، والرفع أجود في القراءة لأن المعنى قد ثبت لهم هذا، والويل كلمة تقال لكل من هو في عذاب وهلكة، والمطففون الذين ينقصون المكيال والميزان وإنما قيل للفاعل من هذا مطفف، لأنه لا يكاد يسرق في المكيال والميزان، إلا الشيء الحقير الطفيف، وإنما أخِذَ من طَفّ الشيء وهو جانبه، وقد فسَّر أمره في السورة فقال: ﴿الذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾، المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عَلَيْهم الكيل وكذلك إذا اتَّزَنُوا استوفوا الوزن، ولم يذكر «إذا اتَّزَنُوا» لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْوَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾.

أي إذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون، أي ينقصون في الكيل والوزن، ويجوز في اللغة يَخْسِرون، يقال: أخْسَرْتُ الميزان وخَسَرتُه، ولا أعلم أحداً قرأ في هذا الموضع يَخسرون، ومن تأول معنى «كَالُوهُم» كالوا لهم لم يجز ان يقف على كالوا حتى يصلها بِـ «هُمْ»، فيقول «كالُوهُم». ومن

الناس من يجعل «هم» توكيداً لما في كالوا، فيجوز أن تقف فتقول: وإذا كـالوا، والاختيـار أن تكون «هم» في مـوضع نصب، بمعنى كـالـوا لهم. ولـو كـانت على معنى كالـوا، ثم جاءت «هم» تـوكيداً، لكـانَ في المصحف ألف مثبتة قَبلَ «هُمْ».

وقوله عز وجل: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

يعنى يـوم القيامـة، أي إنهم لو ظنـوا أنهم يبعثون مـا نَقصوا في الكيـل والوزن.

وقوله :﴿يَوْمَ يَقُـومُ النَّاسُ لِرَبِّ العَالَمِينَ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب بقوله ﴿مَبْعُوثُونَ﴾.

المعنى ألا يظنون أنهم يبعثون يوم القيامة، ولو قرئت «يَوْمِ تقوم الناس» بكسر يوم لكان جَيّداً على معنى ليوم يقوم الناس، ولو قرئت بالرفع لَكَانَ جَيّداً يومُ يقوم الناسُ، على معنى ذلك يوم يقوم الناس، ولا يجوز القراءة إلا بما قرأ به القراء «يوم يقوم الناس» ـ بالنصب ـ لأن القراءة سنة، ولا يجـوز أن تخالف بما يجوز في العربية.

وقوله :﴿كَلَّا إنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لفي سِجِّينٍ﴾.

«كَلَّا» رَدْعٌ وتنبيه. المعنى ليس الأمـر على ما هم عليـه، فليرتـدعوا عَنْ ذَلِكَ وقوله :﴿في سَجِّينٍ﴾ زعم أهل اللغـة أن سِجِّينَ فِعِّيلٌ من السِّجْنِ، المعنى كتابهم في حبس، جعل ذلك دَلالةً على خساسة مَنْزِلَتِهِمْ، وقيل ﴿في سِجِّينٍ﴾ في حسابٍ، وفي سِجِّينٍ في حجر من الأرْضِ السَّابِعَةِ.

وقوله:﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾.

أي ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت وَلاَ قَوْمُك، ثم فسر فقال:

﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾، أي مكتوب.

وقوله عز وجل :﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴾.

أساطير أباطيل، واحدها اسطورة مثل أحـدوثة وَأَحادِيث.

وقوله: ﴿كَلَّا﴾ تفسيرها تفسير التي قبلها.

﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بإدغام اللام في الراء وتفخيم الألف. وقد قرئت بـل ران - بـإمـالـة الألف والـراء إلى الكسـر، وقـرئت بـلْ ران بـإظهـار الـلام والإدغـام، والإدغام أجـود لقرب الـلام من الـراء، ولغلبـة الـراء على الـلام. وإظهار اللام جائز إلاّ أن اللام من كلمة، والراء من كلمة أخرى. وران بمعنى غطى عَلَى قُلُوبِهِمْ، يقال: ران على قلبه الذنب يَرِينُ رَيْناً إذا غشي على قلبه، ويقال غان على قلبه يغينُ غَيْناً. والغَيْنُ كالغيم الرقيق، والرَّيْن كالصـدأ يغشى على القلب.

وقوله جل ثناؤه :﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾.

وفي هذه الآية دليل على أن اللَّه يُرَى في الآخرة، لولا ذلك لما كان في هذه الآية فائدة، ولا خسست منزلة الكفار بأنهم يحجبـون عن اللَّه -عزوجل-. وقـال تعالى في المؤمنين : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، ﴾ فأعلم اللَّه عز وجل أن المؤمنين ينظرون إلى اللَّه، وأن الكفارَ يُحْجَبُونَ عَنْه.

﴿ثم إِنَّهُم لَصَالُو الجَحِيم﴾.

ثم بعد حجبتهم عن اللَّه يدخلون النار وَلَا يخرجُونَ عنها خَالِدِين فيها.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾.

أي كنتم تكذبون بالبعث والجنة والنَّارِ. ثم أَعْلَمَ - عز وجـل - أين محل كتـاب الابرار ومـالهم من النعيم فرفـع كتـابهم على قـدر مـرتبتهم كمـا سَفَّـل وخسس كتاب الفجار فقال:﴿كَلَّا إِنَّ كِتابَ الأَبْرَار لَفِي عِلّيِّينَ﴾.

أَي أعلى الأمكنة.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾.

وإعراب هذا الاسم كإعراب الجمع لأنه على لفظ الجمع، كما تقول هذه قِنَّسْرُونَ، ورأيت قِنَّسْرِين، وقال بعض النحويين: هذا جمع لما لا يُحَدُّ وَاحِده، نحو ثَلاَثُون وَأَرْبَعُونَ، فثلاثون كان لفظه لفظ جمع ثَلاَثٍ.

وكذلك قول الشاعر:[1]

قد شربت الادُهَيْدِهِينَا ... قُلَيِّصَاتٍ وَأُبَيْكِرِينَا

يعني ان الابل قَدْ شَرِبَت الأجمع الدَّهْدَاةِ، والدهداة حاشية الابل كان قليصات وأبيكرين، ودهيدهين جميع ليس واحده محدوداً معلوم العَدَدِ، والقول الأول قول أكثر النحويين وأَبْيَنُها.

وقوله: ﴿عَلَى الأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾.

الأرائك واحدها أريكةٌ، وهي الأسِرَّة في الحجال.

وقوله: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ﴾.

الرحيق الشراب الذي لَا غِشَّ فيه، قَالَ حَسَّانٌ[2]:

يسقون من ورد البريص عَليهم ... بَرْداً يُصَفَّق بالرَّحِيق السَّلْسَلِ

ومعنى ﴿مختوم﴾: في انقطاعه خاصة ـ ثم بَيَنَّ فَقَالَ:

﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾.

وقرئت خاتَمه مِسْكٌ بفح التاء، وقُرِئَت خاتِمُهُ مسك، والمعنى أَنَّهُمْ إذَا

---

(١) جاء هذا الرجل في اللسان (بكنسر-دهيه) إلا الدَّهَيْدِهِينَا. وهو مما استشهد به الأزهري على أن بكرا تجمع على أبكر، وصغر أَبْكُر كأعنز ـ على أبيكر ثم جمع جمعاً سالماً مذكراً، والدهيدهينا جمع دهداه وهي صغار الابل ـ جمعها بالياء والنون. والدهدهان الكبير من الابل.

(٢) من قصائده في مدح الغساسنة ـ والبريص نهر، ويصفق بمعنى تخلط، والسلسل العذب ـ والقصيدة في ديوان حسان، ويروى البيت يَرَدَى، وبرى نهر أيضاً.

شربوا هذا الرحيق فَنِيَ ما في الكأسِ وانقطع الشُّرْبُ، انختم ذلك بطعم المسك ورائحته.

﴿وَمِزاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ . عَيْناً﴾.

تأتيهم من علو عيناً تنسم عليهم من الغرف، فعيناً في هذا القول منصوبةٌ مَفْعولةٌ، كما قال: ﴿أو إطعامٌ في يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَة يَتِيماً﴾.

ويجوز أن يكون «عَيْناً» منصوبة بقوله يَسْقَوْنَ عيناً، أي مِنْ عَيْنٍ، ويجوز أن يكون عيناً منصوباً على الحال، ويكون «تَسْنِيمٍ» معرفة و«عيناً» نكرة.

وقوله :﴿إنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ. وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾.

هؤلاء جماعة من كفار قُرَيشٍ كان يَمُرُّ بِهِمْ من قَدُمَ إسلامُه مع النبي ﷺ. علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه، وغيره - رحمهم اللَّه فيعيرونَهُمْ بالاسلام على وجه السِّخْرِيّ مِنْهُمْ.

﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾.

معجبيين بما هم فيه يَتَفكهونَ بذكرهم.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾.

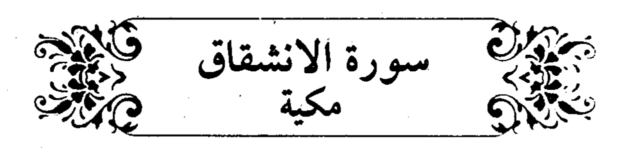
أي ما أرسل هؤلاء القوم على أصحاب النبي ﷺ يحفظون عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الكُفَّارِ يَضْحَكُونَ:﴾. يعني يوم القيامةِ.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

أي هل جُوزُوا بِسُخْرِيَتهِمْ بالمؤمِنينَ في الدنيا، ويقرأ هَثُّوِبَ، بإدغام اللام في الثاء.





سورة الانشقاق
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله :﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾.

تنشق يوم القيامة بالغمام، وجواب «إذا» يدل عليه: ﴿فَمُلاَقِيهِ﴾ المعنى إذا كان يوم القيامة لقي الإِنْسَانُ عَمَلَهُ.

ومعنى : ﴿أَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾.

أي سمعت، يقال: أذنت للشيء آذن إذَا سَمِعتَ قال الشاعِرُ:

صُمٌّ إذَا سمِعُوا خَيراً ذكرت به ... وَإنْ ذُكِرْتُ بسوء عندهم أذنوا[1]

أي سمعوا.

ومعنى ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حق لها أَنْ تَفْعَلَ.

﴿وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ﴾: أزيلت عَنْ هَيْئَتِهَا وَبُدِّلت.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيها وتَخَلَّتْ﴾: أَلْقَتْ مَا فِيهَا مِنَ المَوْتَى والكُنُوز.

وقوله: ﴿يا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً [فَمُلاَقِيهِ]﴾.

جاء في التفسير إنك عامِلٌ لربك عَمَلاً فملاقيه، وجاء أيضاً: سَاعٍ إلى

---

(١) لقعنب بن أم صاحب. وهي كنية أُمّه وأبوه اسمه ضمرة. وانظر شواهد المغني ٣٢٦، وفي مشاهد الانصاف ١٢٦ واللسان (أذن) ـ وهي أبيات ثلاثة.

ان يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني ومسا سمعوا من صالح دفنوا

صم...

جَهْلاً عليَّ وَجُبْناً عن عَدُوِّهِم ... لبئسَت الخُلّتانِ الجهل والجبن

رَبِّك سَعْياً فَمُلاقِيهِ. والكدح في اللغة السَّعْيُ والدُّؤوب في العَمَلِ في باب الدنيا وباب الآخرة، قال تميم بن مقبل:[1]

وما الدهر الا تارتان فمنهما أموت، وأخرى ابتغي العيش أكدح

أي وَتَارة أسعى في طلب العيش وأَدْأَبُ، وقيل ﴿فملاقيه﴾ فملاقٍ رَبَّكَ، وقيل فَمُلَاقٍ عَمَلَكَ.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾.

رَوَيْنَا عن النبي ﷺ أن ذلك العرض على اللّه ـ عز وجل ـ وأَنَّه مَنْ نوقش الحساب عُذِّبَ، وَرَوَيْنَا أيضاً أنه مَن نوقش الحسابَ هَلَكَ.

وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً﴾.

أي يقول: يا ويلاه، يا ثبوراه، وهذا يقوله من وقع في هلكة أي من أوتي كتابه وراء ظهره، ودليل ذلك عَلَى أَنَّهُ من المُعذِّبينَ قوله: ﴿وَيَصْلَى سَعِيراً﴾.

وقرئت «ويُصَلَّى سَعِيراً»، أي يكثر عذابه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾: يعني في الدُّنْيَا.

فأما ﴿وَيَنْقَلِبُ إلى أهله مَسْرُوراً﴾ فمن صفة المؤمن، وينقلب إلى أهله في الجنانِ الَّتي أَعَدَّهن اللّه لأوليائه.

وقوله: ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾.

---

(١) شاعر مخضرم عاش ١٢٠ سنة، كان يبكي أهل الجاهلية، وهاجى النجاشي الشاعر فاستعدى عليه عمر، وبعد البيت:

وكلتاهما قد خط لي في صحيفتي فلا العيش أهدى لي ولا الموت أروح

يريد أن الدهر ذو حالتين، احداهما يموت بها، والأخرى يود العيش فيها لكنه شاق عسير وكلتا الحالتين مسطور له في اللوح المحفوظ، انظر: الخزانة ١/١١٣، زهر الآداب ١/١٢٨ ـ ١٣٦، ٤١، ٤٢.

هـذه صفة الكـافر ظن أَنْ لَنْ يَحُـورَ بـأن لن يبعث، ومعنى يحـور - في اللغة - أن يرجع إلى اللَّه عز وجل.

﴿بلى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيراً﴾.

قبلَ أن يخلقه، عالماً بأن مرجعه إليه - عَزَّوَجَلَّ -.

قوله :﴿فَلَاأُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴾ : معناه فأقسم وقد فسرنا ذلك.

والشَّفَق الحمـرة التي ترى في الأفق في المغـرب بعد سقـوط الشمس، وقيل الشفق النهارُ.

﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾: معنى وَسَقَ جَمَعَ وَضَمَّ، قَال الشَّاعِرُ[1].

مُسْتَوْسِقَاتٍ لَوْ يَجِدْنَ سَائِقاً

﴿والْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾.

اجتمع واستوى ليلة ثلاثَ عَشْرَةَ وأربَعَة عشرة.

﴿لَيَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾.

أي حـالاً بعد حـال حتى يصير إلى اللَّه عـز وجـل، من إحيـاء وَإِقَـامَـةٍ وَبَعْثٍ، وقُرِئَتْ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ﴾، أي لتركبن يا محمد طبقاً عن طبق من أطباق السماء.

وقوله عز وجل :﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾.

---

(١) هو العجاج والبيت في الطبري ٣٠/٦٦، والقرطبي ١٩/٢٧٥، وروايته «لـو وجدن سائقاً» وفي مشاهد الانصاف ٨٦:

ان لـنـا قـلائـصـا حـقـائـقـا مـسـتـوسـقـات أو يجـدن سـائـقـا

الحقـائق جمع حقـة وهي التي استحقت طروقـة الفحـل أو استخفت الحمـل عليهـا ومستـوسقـات متحملات أو مجتمعات، و «أو» بمعنى الى. أي واقفات إلى أن يجدن من يسوقهن.

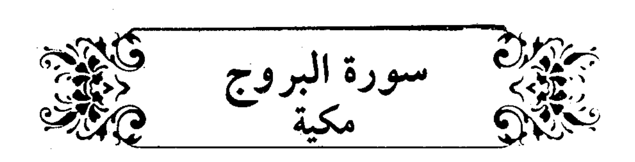
أي بما يحملون في قلوبهم، يقال: أَوْعَيْتُ المتاعَ في الوعاء، ووعيتُ العِلْمَ.

وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيم﴾.

المعنى اجعل بدل البشارة للمؤمنين بالجنة والرحمة والرضوان، للكفار العذاب الأليم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

لا يمن عليهم، قال أهل اللغة: غير ممنون غير مقطوع، يقال مننت الحبل إذَا قطعته.



سورة البروج
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ البُرُوجِ ﴾.

جواب القسم: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيـدٌ﴾. وقيل ﴿ذات البـروج﴾ ذات الكواكب وقيل ذات القصور لقُصُورٍ في السماء.

﴿واليَوْمِ المَوْعُودِ﴾: يوم القيامة.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾.

شاهد يـوم الجمعة، ومشهـود يوم عـرفة، وقيـل: وَشَاهـد يعنى به النبي ﷺ، ومشهود يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿ذٰلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لهُ الناسُ وذٰلكَ يومٌ مَشْهُودٌ﴾(١).

وقوله عز وجل: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ﴾.

الأخدود شق في الأرض، ويجمع أَخَاديد، وقيل أصحاب الأُخْـدُودِ قوم كانوا يَعْبُدُونَ صَنما، وكان معهم قوم يكتمون إيمانَهم، يعبدون الله عز وجل. ويوحدونه، فعلموا بهم فخـدوا لهم أخدوداً ومـلأوه ناراً، وقـذفوا بهم في تلك النار فتقحموها ولم يَرْتَدُّوا عَنْ دينهم ثبوتاً على الاسلام، ويقينـاً أنهم يصيرون إلى الجنة. فجاء في التفسير أن آخِرَ من ألقي منهم امـرأةٌ معها صَبِيٌّ رضيـع، فلمـا رأت النار صدت بَوَجْهِهَـا وَأَعْرَضَتْ، فقـال لها الصبي: يـا أمتاه قفي ولا

---

(١) سورة هود/ ١٠٥.

تنافقي، وقيل إنه قال لها: مَا هِيَ إلاَّ غميضةٌ، فَصَبَرَتْ فألقِيتْ في النار.

وكان النبي ﷺ إذا ذكر أصحاب الأخدودِ تَعَوَّذَ مِنْ جَهْد البلاء.

فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ قِصَّةَ قَوْمٍ بلغت بصيرتُهم وحقيقة إيمَانِهِم إلى أن صبروا على أن يحرقوا بالنار في اللَّه عز وجل.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَنْ يُؤْمِنُوا باللَّهِ العَزِيزِ الحَمِيدِ﴾.

أي ما أنكروا عليهم ذنباً إلا إيمَانَهم، ثم أعلم ـ عز وجل ـ مَا أُعِدَّ لأُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَحْرَقُوا المُؤْمِنِينَ فقال:

﴿إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ﴾.

أي أحْرَقُوا المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ، يقال فتنت الشيء، أحرقته، والفَتِينُ حجارة سودٌ كأنها مُحْرَقَةٌ.

﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُم عَذَابُ الحَرِيقِ﴾.

فالمعنى واللَّه أعلم فلهم عذاب جهنم بكفرهم، ولهم عذاب الحريق بما أحرقوا المؤمنين والمؤمنات.

قوله عز وجل: ﴿إنه هُوَ يُبْدِىءُ ويُعِيدُ﴾.

أي يبدي الخلق ثم يعيده بعد بلاه.

﴿وَهُوَ الغَفُورُ الوَدُودُ﴾، أي المحب أولياءه.

﴿ذُوالعَرْشِ المَجِيدِ﴾، ويقرأ المجيدُ. ومعنى المجيد الكريم. فمن جَرَّ المجيد فمن صفة العرش، ومن رفع فمن صفة «ذو».

وقوله عز وجل: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

﴿فرعون وثمود﴾ في موضع جر بَدَلاً من الجنود، المعنى هـل أتاك حـديث فرعون وثمود.

وقوله :﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾.

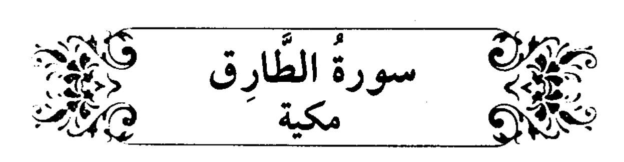
أي لا يعجزه منهم أحدٌ. قدرته مُشْتَمِلةٌ عليهم.

﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ﴾.

ويقرأ قرآنُ مَجِيدٍ، والقراءة قُرآنٌ مجيدٌ. من نعت قـرآن، ومن قرأ قـرآنُ مَجِيدٍ، فالمعنى هو قرآن رَبٍّ مَجِيدٍ.

وقوله:﴿فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾.

القـرآن في اللوح وهو أم الكتـاب عنـد اللَّه، وقـرئت مَحْفُوظٌ، مِنْ نعت قرآنٍ، المعنى بل هو قرآن مجيدٌ محفوظ في لوح.



سورةُ الطَّارِق
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿والسَّمَاءِ والطَّارِق﴾.

جواب القسم: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، والطارق النجم، والنجم يعنى به النجوم، وإنما قيل للنجم طارق لأنه طلوعه بالليل، وكل ما أتى ليلا فهو طارقٌ، لأن الليل يسكن فيه، ومن هذا قيل: اطرَقَ فُلاَنٌ إذا أَمْسَكَ عَنِ الكلامِ وَسَكَنَ.

و﴿الثَّاقِبُ﴾ المُضِيءُ، يقال ثقب يثقُبُ ثقوباً إذا أضاء،ويقال للمُوقِدِ: أثقب نارك أي أَضِئها.

وقوله: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾.

معناه لَعَلَيْها حافظ، و«ما» لغوٌ، وقرئت «لَمَّا» عَلَيْها حَافِظٌ - بالتشديد، والمعى معنى «إلاَّ»، استُعْمِلَتْ «لَمَّا» في موضع «إلاَّ» في موضعين أحدهما هذا، والآخر في بَابِ القَسَمِ، يقال: سَأَلْتُكَ لَمَّا فَعلت بمعنى الا فعلت.

وقوله عز وجل: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾.

معناه من فوق، ومذهب سيبويه وأصحابه أن معناه النسب إلى الاندفاق، الممعنى من ماء ذي اندفاق.

وقوله: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ والتَّرَائِبِ﴾.

الترائب جاء في التفسير أنها أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعُ أضلاع من يَسْرةِ الصدر، وجاء في التفسير أن الترائب اليدان والرجلان والعينان، وقال أهل اللغة أجمعون: الترائب موضع القلادة من الصدر، وأنشدوا لامرئ القيس: [1]

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسجنجل

وقوله: ﴿إنَّه عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

جاء في التفسير: على رجع الماء إلى الإحليل لَقَادِرٌ، وجاء أيضاً على رجعه إلى الصلب، وجاء أيضاً على رجعه على بعث الانسانِ، وهذا يشهد له قوله: ﴿يوم تُبْلَى السَّرائِرُ﴾.

أي إنه قادر على بعثه يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ . والأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾.

﴿ذات الرجع﴾ ذات المطر لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، قال أبو عبيدة: الرجعُ الماء، وأنشد بيت المنخل الهذلي [2]:

أَبْيَضُ كالرجع رسوب إذا ما ناخ في محتفل يختلي

قال يصف السيف، يقول: هو أبيض كالماء.

---

(١) البيت الحادي والثلاثون من معلقته انظر ص ١٨ شرح الزوزني ط صبيح. يقول إنها لطيفة الخصر - ضامرة البطن - غير مفاضة - غير مسترخية اللحم. ولا مترهلة - والترائب جمع تريبة، موضع القلادة من الصدر، والسجنجل: المرآة. معربة.

(٢) يصف سهما وليس سيفاً، وقال شارحه: الرجع الغدير فيه ملأ المطر والمحتفل معظم الشيء ومحتفل الوادي معظمه، وناخ وساخ بمعنى واحد. أي غاب، ورسوب الذي يغوص ويغمض مكانه لعمقه، ويختلي يقطع. أي هو سهم أبيض ماض يعمق في رميته.

انظر ديوان الهذليين ص ١٢ جـ ٢ والطبري ٨١/٣٠.

﴿والأرْضِ ذاتِ الصَّدْع﴾، أي تصدع بالنبات.

﴿إنَّه لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾.

جواب القسم يعنى به القرآن، يفصل بين الحق والباطل.

﴿وَمَا هُوَ بِالهَزْلِ﴾: مَا هُوَ باللَّعِبِ.

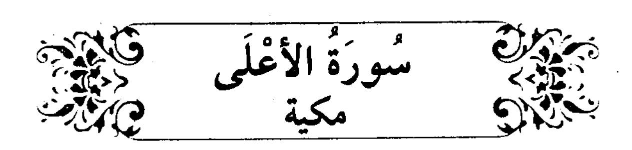
﴿إنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيداً﴾.

يعني بـه الكفار، أنهم يخـاتلون النبي عليه السـلام، ويظهـرون مـا هم خلافه.

﴿وَأَكِيدُ كَيْداً﴾: كيد اللّه لهم استدراجهم من حيث لا يعلمونَ.

وقوله عز وجل: ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً﴾ أي أمهلهم قليلاً.





سُورَةُ الأعْلَى
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأعْلَى﴾ أي نَزِّهْ ربَّك عن السُّوءِ وقل: سبحان ربي الأعلى.

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾، خلق الانسان مستوياً، أشهده على نفسه بأنه ربُّه، وخلقه على الفطرة.

وقوله: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾.

هداه السبيل إما شَاكِراً وَإما كَفُوراً، وقال بعض النحويين: فَهَدَى وَأَضلَّ ولكن حذفت وأضل لأن في الكلام دليلاً عليه، قال عز وجل :﴿يُضِلُّ من يشاء وَيَهْدِي من يَشَاءُ﴾.

﴿والَّذِي أَخْرَجَ المَرْعَى فَجَعَلَه غُثَاءً أَحْوَى﴾.

﴿أحوى﴾ في موضع نصب حال من ﴿المرعى﴾ المعنى الذي أخرج المرعى أَحْوَى أي أخرجه أَخْضَرَ يضرب إلى الحوَّة، والحوَّة السَّوَادُ. ﴿فجعله غثاء أحوى﴾، جفَّفَه حتى صيره هشيماً جافاً كالغثاء الذي تراه فوق ماء السيل، .

قوله:﴿سَنُقْرِئُكَ فلاَ تَنْسَى، إلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾.

أعلم اللَّه عز وجل أنه سيجعل للنبي ﷺ آيةً يتبيَّنُ له بها الفَضْلِيَّةُ بأن

جبريل عليه السلام ينزل عليه بالوحي وهو أُمِّيٌ لا يكتب كتاباً ولا يقرؤه، ويقرئ أصحابه ولا ينسى شيئاً من ذلك ولا يكرر عليه الشيء، قال اللَّه عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونْ﴾.

فأما ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾، فقيل إلَّا ما شاء اللَّه ثُمَّ يذكره بعد، وقيل إلَّا ما شاء اللَّه أن يؤخره من القرآن.

﴿وَيَتَجَنَّبُها الأَشْقَى﴾: المعنى يتجنب الذكرى الأشقى.

وقوله:﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾.

لا يموت موتاً يستريح به من العذاب، ولا يحيا حياة يجد معها روح الحياة.

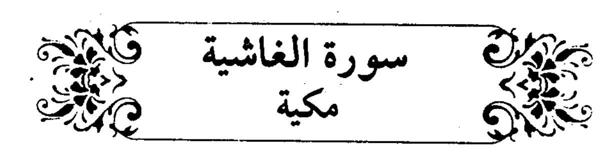
وقوله تعالى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾. أي قد صادف البقاء الدائم والفوز بالنعيم، ومعنى تَزَكَّى تكثر بتقوى اللَّه، ومعنى الزاكي النامي الكثير.

وقوله عز وجل:﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

وقرئت بل يؤثرون الحياة الدنيا بالياء، والأجود التاء، لأنها رويت عن أُبَيّ بن كعب: بل أنتم تؤثرون الحياة الدنيا.

وقوله عز وجل:﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى﴾.

يعني من قوله: ﴿قد أفلح من تَزَكَّى﴾ إلى هذا الموضع، وقيل بل السورة كلها.



بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.

قيل إن الغاشية القيامة لأنها تغشى الخلق، وقيل الغاشية النار لأنها تغشى وجوه الكفار.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾.

﴿خاشعة﴾ خبر وجوه، ومعنى خاشعة ذليلة.

﴿تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً﴾، ويقرأ تُصْلَى.

وقوله ﴿تُسْقَى مِنْ عَينٍ آنِيَةٍ﴾ أي متناهية في شدة الحرّ: كقوله: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾[1].

﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾: يعني لأهل النار، والضريع الشبرق، وهو جنس من الشوك، إذا كان رطباً فهو شبرق، فإذا يبس فهوَ الضَّرِيعُ، قال كفار قريش: إنَّ الضريع لَتَسْمَنُ عليه إبِلُنَا، فقال اللَّه - عزوجل - ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.

ومعنى ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ أي هذا لم يكن من عِلْمِكَ ولا من علم قَوْمِكَ، وكذلك

---

(١) سورة الرحمن الآية ٤٤.

لأقاصيص التي أخبر بها النبي ﷺ. قال الله ـ عز وجل ـ :﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أنت ولا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾.

وَمَعْنَى ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾: قيل إنها عاملة ناصبة في الدنيا لغير ما يقَرِّبُ إلى اللَّه تعالى، وقيل إنهم الرهبان ومن أشبههم، وقيل عاملة ناصبة في النار، فوصف مُقاساتها العذاب.

وقوله في صفة أهل الجنة: ﴿لَا تُسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ﴾، وقرئت لا يَسْمَعُ فيها لاغيةً، وقرئت لا تُسْمَعُ فيها لاغيةٌ، أي لا تسمع فيها آثمة. ويجوز أن يكون لا تسمع فيها كلمة تلغى، أي تسقط، لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة، وحمد اللَّه على ما رزَقَهُم من نعيمه الدائم.

وقوله: ﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾.

الأكواب آنية شبيهة بالأباريق لا عرى لها.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: واحدتها نمرقة.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: الذرابِيُّ البسط، واحدتها زربية.

وقوله: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾.

نبههم اللَّه على عظيم من خلقه قَد ذَلَّله للصَّغِيرِ يقوده وينتجهُ وينهضه، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقيل حمله، وليس ذلك في شيء من الحوامِلِ غيره، فأراهم عظيماً من خلقه ليدلهم بذلك على توحيده.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ يعنى بغير عَمَدٍ.

﴿وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

﴿نصبت﴾ مرساة مثبتة لا تزول.

﴿وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ أي دُحِيتَ وَبُسِطَتْ.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: هذا قبل أن يؤمر النبي ﷺ بالحرب.

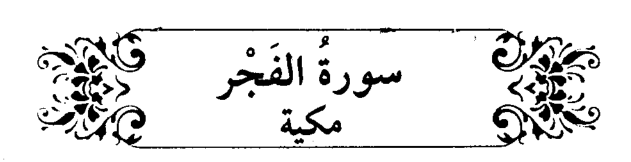
﴿لَسْتَ عليهم بِمُسَيْطِرٍ﴾ أي بِمسَلَّط.

﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ العَذَابَ الأَكْبَرَ﴾.

أي عذاب جهنم.

﴿إِن إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ وقرئت إِيَّابَهُمْ، بالتخفيف والتثقيل، ومعنى إيابهم رجوعهم، ومَعْنَى إِيَّابَهُمْ على مصدر أَيَّبَ إِيَّاباً، على معنى فَيْعَلَ فِيعَالاً، من آب يَؤُوبَ والاصل إيوابا، فأدغمت الياء في الواو، وانقلبت الواو إلى الياء لأنها سبقت بسكونٍ.





بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِـالمِرْصَـادِ﴾،

الفجر انفجار الصبح من الليل، وجواب القسم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمِرْصَادِ﴾ ﴿وَلَيَـالٍ عَشْرٍ﴾ ليالي عشر ذي الحجة.

﴿والشَّفْـعِ والوِتْـرِ﴾.

قرئَت والوَتر بفتح الواو، والوَتْرِ يوم النحر، والوتر يوم عرفة وقيـل الشفع والوتر الاعداد، والاعداد كلها شفع ووتر. وقيل: الوتر اللّه عز وجل، الواحد، والشفـع جميع الخلق، خُلِقُوا أزواجاً.

﴿واللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: إذا مَضَى. سَرَى يَسْرِي، كما قال ـ عز وجل: ـ ﴿والليل إِذَا أَدْبَرَ﴾، ويَسْر حذفت الياء لأنها رأس آية، وقد قرئت والليل إِذَا يَسْري بإثبات اليـاء، واتبـاعُ المصحف وحـذف اليـاء أَحَبُّ إليَّ لأن القـراءة بـذلـك أكثـر، ورُؤُوس الآي فَوَاصِلُ تحذف معها اليَاءَاتُ وتدل عليه الكسرات.

وقوله عز وجل:﴿هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ﴾.

أي لذي عَقْل وَلُبٍّ، ومعنى القسم توكيد ما يَذْكُـر وتصحيحه بـأن يُقْسِم عليه.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ﴾.

قيل هما عادان عاد الأولى وَهي إِرَم، وعاد الأخيرة، وقيل إرم أبو عاد، وهو عاد بن إرم، وقيل إرم اسم لبلْدَتِهِمْ التي كانوا فيها. وإرم لم تنصرف لأنها جعلت اسماً للقبيلة، فلذلك فتحت وهي في موضع جر.

وقوله: ﴿ذَاتِ العِمَادِ﴾.

أي ذاتِ الطُّولِ، يقال رجل معمَّد إذا كان طويلاً، وقيل ﴿ذات العماد﴾ ذات البناء الطويل الرفيع.

وقوله: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالوَادِ﴾.

جابوا قطعوا، كما قال عز وجل - ﴿وتنحتون من الجبال بُيُوتاً فارهين﴾[1].

﴿وَفِرْعَونَ ذِي الأَوْتَادِ﴾.

فِرْعَون لم ينصرف لأنه أعجمي، وقيل ذي الأوتاد، لأنه كان له أربعُ أَسَاطِين، إذا عاقَب الانْسَانَ ربط منه كلَّ قائمة إلى اسطوانة من تلك الأساطين. ومعناه ألم تر كيف أهلك ربك هذه الأمم التي كذبت رُسُلَها.

وكيف جعل عقوبتها أن جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب فقال: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾. أي يرصد من كفر به وعبد غيره بالعذاب.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا الإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولَ رَبِّي أَكرَمَنْ﴾.

والمعنى إذا ما اختبره ربُّه وَأَوْسَعَ عَليه فيقول رَبِّي أَكْرَمَنْ.

(١) سورة الشعراء /١٤٩.

﴿وأَمَّا إِذَا ما ابْتَلاَهُ فَقَدَر عَلَيْه رِزْقَهُ﴾، أي جعل رزقه مَقدَّراً.

﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَن، كَلاَّ﴾.

أي ليس الأمر كما يظن الإنسانُ، وهَذا يُعْنَى به الكافِرُ الذي لا يُؤْمِنُ بالبَعْثِ، وإنما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا، وَصِفَةُ المؤْمِنِ أنَّ الإِكْرَام عنده توفيق اللَّهِ إياه أي ما يؤديه إلى حَظِّ الآخرةِ.

﴿كَلاَّ بَلْ لاَ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، ولا تَحُضُّون﴾ - وَيُقْرأُ ﴿تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾.

وكانوا يأكلون أَمْوالَ اليَتامَى إسرافاً وَبِدَاراً فقال:

﴿وَيأْكُلُونَ التُرَاثَ أَكْلاً لَمًّا﴾.

أي تراث اليتامى ﴿لَمًّا﴾ يُلِمُّون بِجَمِيعِه.

وقوله: ﴿ وَتُحِبُّونَ المال حُبًّا جَمًّا ﴾.

أي كثيراً، والتراث أصله الوُراث من وَرِثْتُ، ولكن التاء تبدل من الوَاوِ إِذَا كَانَتِ الواوُ مَضْمُومَةً، نحو تُراث وأصله وُرَاث ونحو تجاه وأصله وجاهِ من وَاجَهْتُ.

وقوله:﴿كَلاَّ إِذا دُكَّتِ الأرض دَكًّاً دَكًّا﴾.

إذا زلزلت فَدَكَّ بعضُها بَعْضاً.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[1]، والمعنى والملائكة كما قال جل ثَنَاؤُهُ: ﴿هلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الغَمَامِ والمَلاَئِكَةُ﴾[2].

---

(١) الملك اسم جنس.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٠.

وقوله: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾.

كما قال: ﴿وَبُرِّزَتِ الجحيم للغاوين﴾، وقيل في التفسير جيء بجهنم تُقَادُ بألف زِمَامٍ كل زمام في أيدي سبعين ألف مَلَكٍ.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإنْسَانُ﴾ يَوْمَئِذٍ يُظْهِرُ الانْسَانُ التَّوْبَةَ.

﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ أي ومن أين له الذكرى، أي التوبة.

﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾، أي لدار الآخرة التي لَا مَوْتَ فِيهَا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ﴾ المعنى لَا يُعَذَّبَ عَذَابَ هذا الكافِرِ وعذاب هذا الصِّنْفَ مِنَ الكفار أَحَدٌ.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَه أَحَدٌ﴾.

ومن قرأ لا يُعَذِّبُ، وهو أكثر القراءة، فالمعنى لا يَتَوَلَّى يوم القيامَةِ عذاب اللَّه أَحَدٌ[1]، الملك يومئذ لِلَّه وَحْدَه - جل وعز، وقيل لا يعذب عَذَابه أَحَدٌ، أي عذاب اللَّه أَحَدٌ، فعلى هذا لا يُعَذِّبُ أحدٌ في الدنيا عَذَاب اللَّه في الآخرة.

وقوله: ﴿يَا أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي﴾.

«أيٌّ» تؤنث إذا دعوت بها مُؤَنَّثاً وَتُذَكَّرُ، تقول: يا أَيَّتُها المرأةُ، وإن شئت يا أيها المرْأةُ، فمن ذكَّره فلان «أَيًّا» مُبْهَمَةٌ ومن أَنَّث فَلأَنَّها مع إبْهَامِهَا قد لزمها الإعراب والإضافة، وزعم سيبويه أن بعض العرب تقول كُلتُهُنَّ في كُلُّهُنَّ.

والمطمئنة التي اطمأنت بالايمان وأخبتت إلَى رَبِّهَا.

﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيةً مَرْضِيَّةً﴾.

---

(١) العذاب الذي يعذبه الله الكافرين.

أَصْلُ مَرْضِيَّةٍ مَرْضُوَّة أي راضية بما أتاها، قد رُضِيَتْ وَزُكِّيَتْ.

﴿فادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾، في جملة عبادي المصطفين، وقـرئت فادْخُلي في عَبْدي.

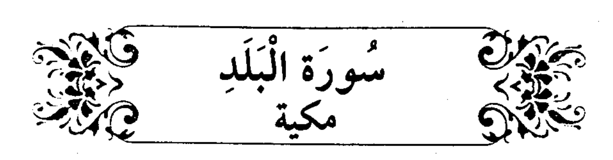
﴿وادْخُلِي جَنَّتِي﴾.

فعلى هذه القراءة ـ واللَّه أعلم ـ ادخلي إلى صـاحبك الـذي[1] خَرَجْتِ مِنه فادخُلي فيـه،. والأكثر في القـراءة والتفسير: فـادخلي في عبادي وادْخُلي جَنَّتِي.

---

(١) في الأصل التي.





سُورَة الْبَلَدِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾.

يعنى بالبلد ههنا مكة، والمعنى اقسم بهذا البلد، و «لا» أدخلت توكيداً كما قال عز وجل: ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾، وقرئت لأُقْسِمُ بهذا البلد. تكون اللام لامَ القسَم والتوكيد، وهذه القراءة قليلة، وهي في العربية بعيدة لأن لام القسم لا تدخل على الفعل المستقبل إلَّا معه النون، تقول لأضربن زيداً، ولا يجوز لأضرِبُ تريد الحال، وزعم سيبويه والخليل ان هذه اللام تدخل مع أن فاستغنى بها في باب إن، تقول إني لأُحِبُّكَ.

ومعنى: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا﴾.

أُحِلَّتْ مَكَّةُ للنبي عليه السلام ساعة من النهار، ولم تحل لأحد قبله ولا لأحَدٍ بعده، ومعنى أحلت له أُحِلَّ لَه صَيْدُهَا وان يختلى خلالها وان يعضد شجرها.

يقال: رَجُلٌ حِلٌّ وَحَلَال وَمُحَلٌّ، وكذلك رجل حرام وحِرْمٌ وَمُحْرِمٌ.

وقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾.

جاء في التفسير أن معناه آدم وولده، وجاء معناه أيضاً كل والد وكل مولودٍ.

وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾.

هذا جواب القسم، المعنى أقسم بهذه الأشياء لقد خلقنا الانسان في كبدٍ، أي يكابد أمره في الدنيا والآخرة، وقيل: في كبَدٍ أي خلق منتصباً يمشي على رِجْلَيْه وسائر الاشياء والحيوان غير منتصبة، وقيل في كَبَدٍ خَلْقُ الانسان في بَطْنِ أُمِّهِ ورأسه قِبَلَ رأسِها، فإذا أرادت الولادة انقلب الرأس إلى أسفل.

وقوله: ﴿أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْه أَحَدٌ﴾.

هذا جاء في التفسير أنه رجل كان شديداً جدًّا، وكان يبسط له الأديم العكاظِيَّ فيقوم عليه فيهد فلا يخرج من تحت رجليه إلا قطعاً من شدَّتِه، وكان يقال له كلدة فقيل: أيحسب لشدته أن لن يقدر عليه أحَدٌ وأنه لا يبعث، وقيل أن لن يَقْدِرَ عليه اللّه عز وجل لأنه كان لا يؤمن بالبعث.

﴿يَقُول أَهْلَكتُ مَالاً لُبداً﴾.

وقرئت أهلكت مالاً لُبداً، ويُقْرأ لُبَّداً. ومعنى «لُبَد» كثير بعضه قَدْ لُبِّدَ بِبَعْضٍ، وفُعَلٌ للكثرةِ، يقال: رَجُلٌ حُطَمٌ إذا كان كثير الحَطْمِ، ومن قرأ لُبَّداً فَهو جمع لَابِدٍ.

﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾.

أي أيحسب أن لم يحص عليه ما أنفق، وفي الكلام دليل على أنه ادَّعَى أنه أنفق كثيراً لم ينفعهُ.

وقوله جل وعز: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ، ولِسَاناً وشفتين وَهَدَيْنَاهُ النَّجدَيْنِ﴾.

أي ألم نَفعل به ما يُستَدَلُّ به على أن اللّه قَادِرٌ على أن يبعثه وأن يحصَى عليه ما يعمله.

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾.

الطريقين الْوَاضِحَيْن، النجد المرتفع من الأرْضِ، فالمعنى ألم نعرّفه طريق الخير وَطَرِيقَ الشَّرِّيْنِ كبيان الطريقين العَالِيَيْنِ.

وقوله: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾.

المعنى فلم يقتحم العقبة كما قال: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾، ولم يذكر «لا» إلا مَرَّةٍ وَاحِدَةً، وقلما يتكلم العرب في مثل هذا المكان إلا بلا مرَّتين أو أكثر، لا تكاد تقول: لا حَيَّيتَني تريد مَا حَيَّيْتَنِي، فإن قلت: لا حَيَّيْتَني ولا زُرْتَني صَلَح.

والمعنى في ﴿فلا اقْتَحَمَ العَقَبَةَ﴾ موجود أن «لا» ثانية كأنها في الكلام لأن قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ تدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن.

وقرئت: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ، أو إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، وقرئت فَكَّ رَقَبةٍ، أو أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذي مَسْغَبَةٍ، وكلاهما جائز، فمن قال فكُّ رَقَبَةٍ فالمعنى اقتحام العقبة فك رقبة أو إطعام، ومن قرأ فَكَّ رَقبةً فهو محمول على المعنى، والمسغبة المجاعة.

وقوله: ﴿يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ﴾.

معناه ذا قرابة، تقول زيد ذو قرابتي وذو مقربتي، وزيدٌ قرابتي قبيح لأن القرابة المصدر قال الشاعر:[1]

---

(١) قيل هو ابن لبيد العذري، وقيل هو الحرث بن جبلة، وقيل عبيد بن شريَّة (كعطية الجرهمي، قال: مررت بقوم يدفنون ميتاً لهم، فلما انتهيت إليهم اغرورقت عيناي فتمثلت:

فاستقدر اللّه خيراً وارضين به فبينما العسر إذ تجرى مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبط إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير

يبكي القريب عليه فقال له رجل: أتعرف من يقول هذا، إن قاتله هو الذي دفناه، وأنت الغريب تبكي عليه، وهذا الذي خرج من قبره أمسُّ الناس به رحماً وأسرهم بموته. =

يبكي الغـريب عليـه ليس يعـرفـه   وذو قـرابتُة فـي الـحـي مـســرور

وقوله: ﴿ذَا مَتْرَبَةٍ﴾.

يعني أنه من فقره قد لصق بالتُّرَابِ.

وقوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

معناه إذا فعل ذلك وكان عقدة الايمان ثم أقام على إيمانِه.

﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

أي على طاعة اللّه، والصبر عن الدخول في معاصيه، ثم كان مع ذلك من الذين يتواصون ﴿بالمرحمة﴾، أولئك أصحاب اليمن على أنفسهم أي كانوا ميامين على أنفسهم غير مشاتيم.

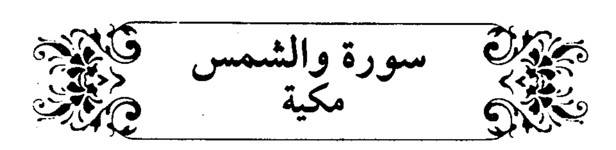
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾.

أي هم المشائيم على أنفسهم، نعوذ باللّه من النار.

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ﴾.

ويقرأ بغير هَمزٍ، ومعناه مطبقةٌ، يقال آصَدْتُ البَّابَ وأوصدته إذا أطبقته.

= انظر الاصابة ت ٦٣٩٥، وشواهد المغنى ١١٨، ٢٤٥ ط بيروت، وأخبار النحويين البصريين ت خفاجة ص ٢٤.



سورة والشمس
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.

هذا قسم وجوابه :﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، ومعناه لَقَدْ أَفْلَحَ ولكن اللام حذفت لأن الكلامَ طَالَ فصار طوله عوضا منها. ومعنى ﴿وضحاها﴾ وَضِيائِها، وقيل ضحاها النهار، وقرأ الأعمش وأَصْحَابُهُ ضحاها وتلاها وطحاها بالفتح، وقرأوا باقي السُّورة بالكسر. وقرأ الكسائي السورة كلها بالإمالة، وقرأها أبو عمرو بن العلاء بين اللفظين.

وهذا الذي يسميه الناس الكسر ليس بكسر صحيح، يسميه الخليل وأبو عمرو الإِمَالَةَ، وإنما كسر من هذه الحروف ما كان منها من ذوات الياء ليدلوا على أن الشيء من ذوات الياء. ومن فتح ضحاها وَتَلاَهَا وطحاها فلأنه من ذوات الواو، ومن كسر فلأن ذوات الواو كلها إذا رد الشيء إلى ما لم يسم فاعله انتقل إلى الياء، تقول قد تُلِيَ وَدُحِيَ وَطُحِيَ.

وقوله: ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاَهَا﴾.

معناه حين تلاها، وقيل حين استدار فكان يتلو الشمس في الضياء والنور.

وقوله :﴿وَالنَّهارِ إِذَا جَلاَّهَا﴾.

قالوا معناه إِذَا جَلَّى الظلمة، وإن لم يكن في الكلام ذكر الظلمة فالمعنى يـدل عليها كمـا تقول: أصبحت بـاردة، تريـد أصبحت غُداتنـا بَـارِدةً وقيـل: ﴿والنهار إذا جَلاَّها﴾ إذا بين الشمس لأنها تبين إذا انبسط النهار.

وقوله :﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾.

معناه والسماء وبنـانها، وكـذلك ﴿وَالأَرْضِ وَمَا طَحَـاهَا﴾ معناه والأرض وطحوها،

وكذلك :﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾.

وقيل معنى «ما» ههنا معنى «مَنْ» المعنى والسماء والذي بناها، ويحكى عن أهـل الحجاز «سُبْحَــانَ مَـا سَبَّحْتُ لَـهُ» أي سبحـان الـذي سبحت، وَمَنْ سَبَّحْتُ له. فأقسم اللَّه ـ عز وجل ـ بهـذه الأشياء العـظام من خلقه لأنهـا تدل على أَنَّه واحِدٌ والذي ليس كمثله شيء.

وقوله عز وجل:﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾.

قيـل علمهـا طـريق الفجـور وطَـرِيقَ الهـدى. والكـلام على أن أَلهَمَهـا التقوى، وفَّقَهَا للتقوى، وأَلْهَمَها فُجورَهَا خذلها، واللَّه أعلم.

وقوله:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾.

أي قد أفلحت نفسٌ زَكَّاهَا اللَّهُ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾.

خابت نَفْسٌ دَسَّاها اللَّه، ومعنى «دَسَّاهَا» جعلها قليلة خَسِيسَـةً، والأصل دَسَّسَهَا، ولكن الحروف إذا اجتمعت من لفظٍ واحِدٍ ابدَل من أحدها يـاء، قال الشاعر:

تَقَضِّيَ البَازِي إِذَا البَازِي كَسَرْ[1]

(١) تقدم

قالوا معناه تقضض.

وقيل: قد أفلح مَنْ زَكَّى نَفْسَه بالعمل الصالح.

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾.

أي بطغيانها، وأصل «طَغْواها» طَغْيَهَا وَفَعْلَى إذا كانت من ذوات الياء أبدلت في الاسم وَاواً ليفصُل بين الاسم والصفة، تقول: هي التّقوى، وإنما هي مِنْ أَيقنتُ، وهي التقوى وإنما هي من يقنت، وقالوا: امرأةٌ خَزْياً لأنها صفةٌ.

وقوله تعالى:﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾.

﴿ناقةَ﴾ مَنْصُوبٌ على معنى ذروا ناقة اللّه، كما قال سبحانه: ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ في أَرْضِ اللَّهِ﴾، أي ذروا سقياها، وكان للناقةِ يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ في الشِّرْبِ.

﴿فكذَّبُوهُ﴾ أي فلم يوقنوا أنهم يُعَذَّبُونَ حين قال لهم فلا تمسوها بسوء فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

﴿فَعَقَرُوهَا. فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ﴾.

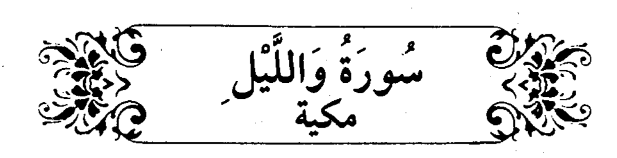
معناه دَمْدَمَ عَلَيْهِمْ أطبق عليهم العَذَابَ، يقال: دَمْدَمْتُ على الشيء إذا أطبقت عليه، وكذلك دَمَمْتُ عليه القَبْرَ وما أشبهه، وكذلِكَ ناقة مَدْمُومَةٌ، أي قد أَلْبَسَها الشحم، فإذا كررت الاطباق قُلْتَ دَمْدَمْتُ عليه.

وقوله:﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.

أكثر ما جاء في التفسير لا يخاف اللّه تعالى تبعةَ ما أَنزل بِهِمْ، وقيل لا يخاف رَسُولُ اللَّهِ صَالِحُ عليه السلام الذي أرسل إليهم عُقْبَاهَا.

وقيل إذا انبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها.





سُورَةُ وَاللَّيْلِ
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى وَالنَّهار إِذَا تَجَلَّى﴾.

هـذا قسم جـوابه ﴿إِنَّ سَعْيَكُم لَشَتَّى﴾، أي إن سَعْيَ المؤْمِنِ والكَـافِـرِ لمخْتَلِفٌ بينـهمـا بعـد، ومعـنى إِذَا يَـغْشَـى الليـل الأَرْضَ تـوارى الأُفُـقَ وجميع ما بين السماء والأرض، والنهار إِذَا تَجَلَّى إذا بان وظهر.

﴿وَمَـا خَلَقَ الذَّكر والأُنْثَى﴾.

كما فَسّرناها في قوله: ﴿والسَّماءِ وَمَـا بَنَاهَـا﴾[1].

وقوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى ﴾.

في التفسير أنها نزلت في أَبِي بَكْرٍ الصِّـدِّيقِ ـ رَحِمَه اللَّهُ ـ وكـان اشترى جماعة كان يعذبهم المشركون ليَرتدُّوا عن الاسلام فيهم بلال فـوصَفَـهُ اللَّه ـ عـز وجـل ـ على أنه أعْـطى تقوى، وصـدق بالحسنى، لأنـه يجازى عليـه، وقيـل صَدَّقَ لأنه يخلف عليه لقوله: وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه.

وقال: ﴿فَسَنُيَسِّرهُ لِلْيُسْرَى﴾.

أي للأمر السهل الذي لا يقدر عليه أَحَدٌ إلَّا المؤمنين.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُه لِلْعُسْرَى ﴾.

---

(١) سورة والشمس الآية ٥.

نزلت في رجل أكْرَهُ ذِكْرَهُ، وهي جامعة لكل مَنْ بَخِلَ وَكَذَّبَ لأن اللّه جل وعز يجازيه أو يخلف عليه.

﴿فَسَنُيَسِّرهُ لِلْعُسْرَى﴾، العذاب والأمرُ العَسِيرُ.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾، قِيلَ إذا مات وقيل إذا تردَّى في النَّارِ.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾.

أي إن علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضَّلَال.

وقوله عز وجل: ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّى، لاَ يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى، الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾.

﴿تَلَظَّى﴾ معناه تتوهج وَتَتَوَقَّدُ، وَهذه الآية هيَ الَّتي مِنْ أَجْلِهَا قال اهل الارجاء بالارجاء، فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر لقوله: ﴿لا يَصْلاَهَا إِلاَّ الأَشْقَى الَّذي كَذَّبَ وَتوَلَّى﴾، وليس كما ظنوا، هذه نَارٌ مَوْصوفة بعينها لا يصلى هذه النارَ إلاَّ الاشقى الَّذي كذَّبَ وَتولَّى، ولأهل النار منازل فمنها قوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾. واللّه عز وجل كل ما وَعَد عليه بجنس من العذاب فَجَائز أن يُعذِبَ به، وقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فلوكان كل من لم يشرك باللّه لا يعذب، لم يكن في قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك﴾. فائدة، وكان يغفر ما دون ذلك.

وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى، الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾.

أي يطلب أن يكون عند اللّه زاكياً، لا يطلب بذلك رياءً، ولا سمعةً، ونزلت في أبي بكر ـ رضي اللّه عنه ـ.

﴿وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾.

أي لم يفعل ذلك مجازاة لِيَدٍ أُسْدِيَتْ إليه.

﴿إلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى ﴾.

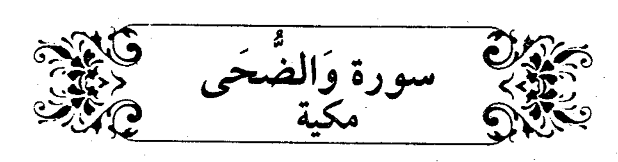
اي إلاَّ طلب ثوابه.

وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾.

أي سوف يدخل الجنة كما قال: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

(١) سورة الفجر. الآية ٢٩ ـ ٣٠.





سورة وَالضُّحَى
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿والضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا﴾.

هذا قسم وجوابه مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَا، والضحى النهار، وقيل ساعة من ساعات النهار، وقوله إذا سجا معناه إذا سكن، قال الشاعر[1]:

يا حبَّذَا القمراء والليل الساج وطرق مثل مُلَاءِ النسّاج

ومعنى:﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾.

أي لم يقطع الوحي عنك وَلَا أَبْغَضَكَ، وذلك أنه تأخر الوحي عن رسول اللّه ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال ناس من الناس: إن محمداً قد ودعه صاحبه وقلاه، فأنزل اللّه عز وجل - ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ المعنى ما قلاك، كما قال: ﴿والذاكرين اللّهَ كثيراً والذاكرات﴾ المعنى والذاكراته.

وقوله : ﴿ألم يجدك يَتِيماً فَآوَى﴾.

وكان النبي عليه السلام يكفله عمه أَبُو طَالب .

وقوله:﴿وَوَجَدكَ ضَالاً فَهَدَى﴾.

معناه - واللّه أعلم - أنه لم يكن يدري القرآن ولا الشرائِع فهداه اللّه

(١) البيت في اللسان (سجى) ومجاز أبي عبيدة ٢/ ٣٠٢ والطبري ٣١/ ١٢٧. ولم يذكر قائله.

إلى القرآن وشرائع الاسلام، ودليل ذلك قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ﴾[1] وقال قوم: كان على أَمْرِ قَوْمِهِ أربعين سنة.

وقوله: ﴿فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾، أي لا تقهره على ماله.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾.

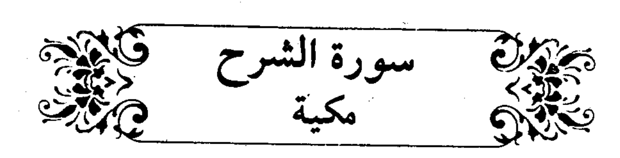
أي لا تنهرهُ، إما أعطيته، وإما رددته ردّاً لَيِّناً.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

أي بلّغ ما أرسلت به وحَدِّثْ بالنُّبوَّة التي آتاك اللّه وهي أَجَلُّ النعم.

---

(١) سورة الشورى /٥٢.



سورة الشرح
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾، أي شرحناه للإسلام.

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾.

شأي وضعنا عنك إثمك أن غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر.

﴿الَّـذِي أَنْقَضَ ظَهْـرَكَ. وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

جعل ذكر رسـول اللّه ﷺ مقرونـاً بذكـر توحيـد اللّه في الأذان وفي كثير مما يذكر اللّه جل وعز، يقول فيه: أشهد أن لا إله إلاَّ اللّه، أشهد أن محمـداً رسول اللّه.

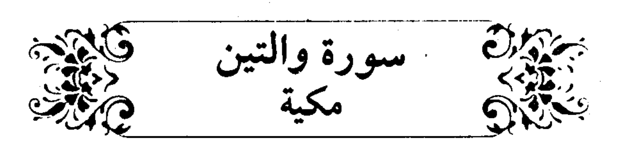
وقوله: ﴿إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْراً﴾.

فذكر العسر مع الألف واللام ثم ثَنَّى ذكره، فصـار المعنى إنَّ مع العُسْـرِ يُسْرَيْنِ، وقال النبي عليه السلام: لا يغلب عسرٌ يُسْرَين، وقيل: لو دخل العسر جحراً لدخل اليسر عليه، وذلك أن أصحاب النبي ﷺ كانوا في ضيقٍ شديـدٍ، فأعلمهم اللّه أنهم سَيُوسِرُونَ وأن سَيُفْتَح عَلَيْهِمْ. وَأَبْدَلَهُمْ بالعُسْرِ اليُسْرَ.

وقوله: ﴿فإذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ﴾.

أي اجْعَل عينك إلى اللّه وحده.





سورة والتين
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله:﴿والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴾.

قيل التين دمشق والزيتون بيت المقدس، وقيل: التين جبل عليه دمشق، والزيتون جبل عليه بيت المقدس، وقيل والتين والزيتون جَبَلانِ، وقيل التين والزيتون هذا التين الذي نعرفه، وهذا الزيتون الذي نعرفُه.

و﴿طُورِ سِينِينَ﴾ جبل، وقرأ بعضهم و «طورِ سيناء»، وهذا القول ـ والله أعلم ـ أشبه لقوله: ﴿وشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بالدُّهْنِ﴾[1].

﴿وَهَـٰذَا البَلَدِ الأمِينِ﴾، يعني مكة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾، أي في أَحْسَنِ صُورَةٍ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾.

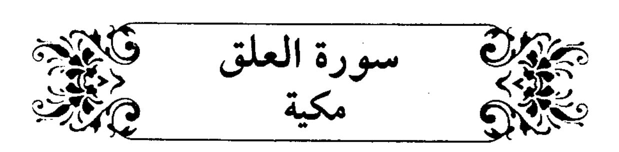
إلى أرذل العُمُر، وقيل إلى الضلال كما قال عز وجل:﴿إنَّ الإنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحات﴾، وهو ـ والله أعلم ـ أنْ خلق الخلق على الفطرة فمن كفر وضل فهو المردود إلَى أَسْفَلِ السَّافِلِين.

(١) سورة المؤمنون /٢٠.

﴿إلاَّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، أي إلاَّ هَؤُلاَءِ فَلم يـردوا إلى أسفل سافلين.

وقوله: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

أي لا يُمَنُّ عَلَيْهِمْ، وقيل غير ممنون غير مقـطوع، وجـواب القسم في قوله: ﴿والتِّينِ والزيْتونِ﴾ قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾.



سورة العلق
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾.

جاء في التفسير أن أول آية نزلت من القرآن ﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الذي خَلَقَ﴾.

وقوله : ﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾. أي الذي علم الكتابة.

وقوله : ﴿كَلَّا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى . أَنْ رَآه اسْتَغْنَى﴾.

هذه نزلت في أَبي جَهْلٍ بنِ هِشَام، وكذلك:﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى .عَبْداً إِذَا صَلَّى﴾.

لأن أبا جهل قال: إنْ رَأَيْتُ مُحمداً يُصَلِّي تَوطَّأْتُ عنقه.

وقوله : ﴿كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بالنَّاصِيَةِ﴾.

أي لَنُجَرَّنَّ ناصيته إلى النَّار، يقال: سَفَعْتُ بالشيء إذَا اقْبَضْتُ عليه وجذبته جَذْباً شديداً.

وقوله : ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾.

وتأويله بناصيةٍ صَاحِبُها كاذب خاطئ، كما يقال فلان نهارُه صائم وليلُه قائم، المعنى هو صائم فِي نهاره وقائم في ليله.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾.

معناه فليدع أهل ناديه، وهم أهل مجلسه، وَكَانُوا عَشِيرَتَـه أي فليستنصر بهم.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾

الزبانية الغلاظ الشداد، وَاحِدُهم زبينـة، وهم ههنا المـلائكة، قـال اللَّه عز وجل:﴿يا أَيُّها الذين آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ ناراً وَقُـودُهَا النَّـاسُ وَالحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ﴾[1] وَهُمُ الزَّبَانِيَةُ.

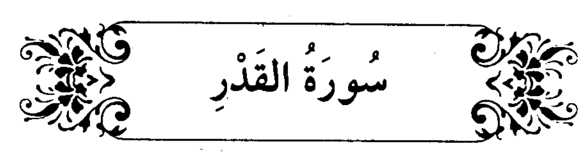
﴿كَلاَّ﴾ أي ليس الأمر على ما عليه أبو جهل.

﴿لاَ تُطِعْهُ وَاسْجُدْ واقْتَرِبْ﴾.

أي وتقرب إلى ربك بالطّاعة.

---

(١) سورة التحريم /٦.



سُورَةُ القَدْرِ

مدنية وقيل الصحيح مكيّة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى :﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ ﴾.

الهـاء ضمير القـرآن ولم يجر لـه ذكَر في أول السـورة ولكنه جـرى ذكره فيما قبلها، وهو قوله:﴿حمٓ والْكِتَابِ المُبِينِ إنّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾،وهي لَيْلة القَـدْرِ، ومعنى ليلَة القـدر ليلة الحكم قـال اللّه تعـالى :﴿فِيهَا يُفْـرَقُ كُـلُّ أَمْـرٍ حَكِيمٍ﴾.

نزل القرآن كله إلى السَّماء الدنيا في ليلة القَدْرِ، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ في عشرين سنة. وقوله خير من أَلْف شَهْرٍ.

وقوله : ﴿خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

من ألف شهر ليس فيه لَيلةُ القَدْرِ.

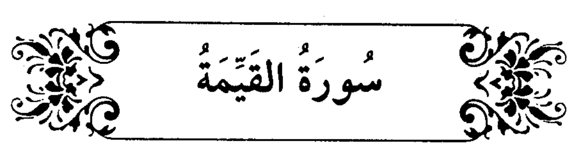
وقوله:﴿تَنَزَّلُ المَلاَئِكَةُ والرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾.

تنزل الملائكة بما يقضي اللّه عز وَجَل في ليلَة القدرَ للسنة إلَى أن تـأتيَ ليلةُ القَدْرِ، وقُرِئَتْ مِنْ كُلّ امْـرِئ، وهـذه القراءة تخـالف المصحف، إلاَّ أنها قد رويت عن ابن عباس.

وقوله:﴿سَلاَمٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الفَجْرِ ﴾.

أي لا داء فيها، ولا يستطيع الشيطانُ أن يصنع فيها سَيِّئاً، والروح جبريل عليه السلام.

وقرئت مَطْلعَ الفَجْرِ، وَمَطْلِعَ الفَجْرِ - بفتح اللام والكسر - فمن فتح فَهُوَ المصدَرُ بمعنى الطلع. تَقُول: طلع الفجر طلوعاً وَمَطْلِعاً، ومن قال مَطْلِع فهو اسمٌ لوقت الطلوع وكذلك لمكان الطلوع، الاسم مَطْلِع بكسر اللام.



سُورَةُ القَيِّمَةُ

مَدَنية وقيل الصحيح مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قـوله عـز وجل :﴿لَمْ يَكُنِ الَّـذِينَ كَفَـرُوا مِنْ أَهْـلِ الكِتَـابِ والمُشْـرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾.

﴿المشركين﴾ في موضـع جر عـطف على أهل الكتـاب، المعنى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ومن المشركين.

وقوله :﴿مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ البَيِّنَةُ﴾.

أي لم يكونوا منفكين من كفرهم، ومعنى منفكين منتهين عن كفرهم،

وقوله:﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو ﴾.

يرتفع على ضربين أَحَدُهُمـا على البَدَلَ مِنَ البَيِّنَـةِ، المعنى حتى يأتيهم رسول من اللَّه، والضرب الثاني على تفسير البينـة، والبينَةُ

﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْـلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً﴾.

أي مطهرة من الأدناس والباطل، قال اللَّه عزوجل: ﴿في صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ، مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ﴾[1].

وقوله: ﴿فِيهَا كُتُب قَيِّمةٍ﴾.

---

(١) سورة عبس الآية ١٣ ـ ١٤.

أي كتب غيـر ذات عوج مستقيمـة تُبَيِّنُ الحقّ من الباطـل على الاستواء والبرهان.

قوله: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ البَيِّنَةُ ﴾.

أي ما تفرقوا في ملكهم وكفرهم بالنبي عليه السلام إلا من بعد ان تبيَّنُوا أنه الذي وعدوا به في التوراة والانجيل.

﴿وَمَا أُمِرُوا إلاَّ لِيَعْبُدوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَه الدِّينَ ﴾.

أي يعبدونه مُوحِّـدين له لا يعبدون معه غيره ﴿حنفـاء﴾ على دين إبراهيم ودين محمد عليه السلام.

﴿ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ﴾.

أي يؤمنوا مع التوحيد بالنبي ﷺ ويقيموا شرائعه.

﴿وذَلِـكَ دِينُ القَيِّمَـــةِ﴾.

أي وذلِكَ دين الأمة القيمَةِ بالحقِ فيكون ذلك دين الملَّةِ المستقيمة.

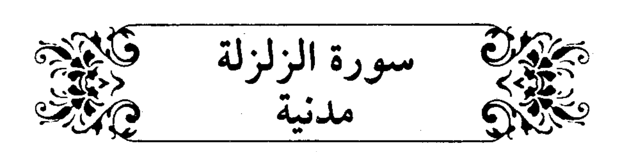
وقوله: ﴿أُولَئِـكَ هُمْ شَـرُّ البَـرِيَّـــةِ﴾.

القراءة البرية بترك الهمزة، وقد قـرأ نافـع البريئـة بالهمـز، والقراء غيـرُهُ مجمعُـونَ على ترك الهمـز، كما أجمعـوا في النبي، والأصل البـريئـة، إلا أن الهمزة خففت لكثرة الاستعمال. يقولون: هذا خير البريِّـةِ وشر البـريِّةِ ومـا في البـريَّة مِثْله، واشتقـاقـهُ من بـرأ اللَّه الخلق. وقـال بعضهم: جـائـز أن يكـون اشتقاقها من البَـرَى وهو التـراب، ولو كـان كذلـك لما قـرأوا البريئـة بالهمـز، والكلام برأ اللَّه الخلق يبرؤهم، ولم يحك أحد براهم يبريهم، فيكون اشتقاقه من البَرَى وهو التراب[١].

وقوله: ﴿جنات عدن﴾: أي جنات إقامة.

---

(١) لم يقرأ أحد براهم حتى يمكن أن يكون مشتقاً من البرى.



سورة الزلزلة
مدنية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

إذا حركت حركة شديدة، والقراءة زِلْـزَالَها بكسر الزَاي، ويجوز في الكلام زَلْزَالَهـا، وقرئت زَلْـزَالَها، وليس في الكـلام فَعْلَال بفتح الفَـاء إلاَّ في المضاعف نحو الزلزال والصَّلْصَال. والاختيارُ كَسرِ الزاي، والفتح جائز.

﴿وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾.

أخرجت كُنوزها وموتاهــا.

﴿وَقَــالَ الإِنْسَانُ مَالَها ﴾.

هذا قول الكافِرِ لأنه لم يكن يؤمن بالبعث، فقال: مَالَهـا، أي لأي شيء زلزالها.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾.

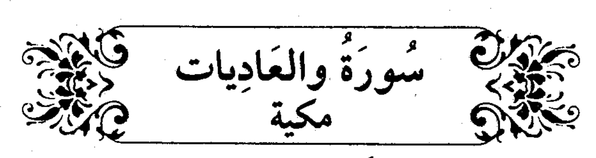
﴿يـوْمَئِذٍ﴾ منصـوب بقولـه: ﴿إِذَا زُلْزِلَت﴾، وأخـرجت، في ذلك اليـوم ومعنى ﴿تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، تخبرهُ بما عُمِلَ عليها.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾.

أي يَصْـدُرون متفـرِّقينَ منهم من عمـل صـالحـاً ومنهم من عمـل شَــرًّا

والقراءة ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ ويُرْوَى لِيَـرَوْا أعمالهم، ولا أعلم أَحَـداً قرأ بهـا، ولا يجوز أن يقرأ بما يجوز في العربية إذا لم يقرأ به من أُخِذَت عَنْهُ القراءة.

ومعنى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ تأويله أن اللَّه جل وعز قد أحصى أعمال العباد من خَيْرٍ، وكل يـرى عمله، فمن أَحَبَّ اللَّه أن يغفر لـه غَفَر لـه، ومن أحب أَنْ يُجَازِيَه جَـازَاهُ، وقيل من يعمـل مثقال ذرَّةٍ خَيـراً يَرَهُ في الـدنيا، وكذلك شَرًّا يره في الدنيا. واللَّه أعلم.



سُورَةُ والعَادِيات
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً﴾.

يعنى بالعاديات ههنا الخيل، وهذا قسمٌ جوابه: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

وقوله: ﴿ضَبْحاً﴾.

معناه والعاديات تضبح ضبحاً، وضبحها صوت أجوافها إذا عَدَتْ.

فَالْمورِيَاتِ قَدْحاً.

إذا عدت الخيل بالليل وأصابت حوافرها الحجارة انقدح منها النيران.

﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً﴾.

يعنى الخيل. وجاء في التّفسير أنها سَرِيَّة كانت لرسول الله ﷺ إلى كندة.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً﴾.

النقع الغبارُ، فقال «بِهِ» ولم يتقدم ذكر المكان، ولكن في الكلام دَليلٌ عليه، المعنى فأثرن بمكان عَدْوِهَا نَقْعاً أَيْ غُباراً.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً﴾.

القراءة ﴿فَوَسَطْنَ﴾ أي فتوسَّطْنَ المكان، ولو قال فَوَسَّطْنَ بِهِ جَمْعاً لجازَتْ، إلاَّ أَنِّي لاَ أَعْلَمُ أَحداً قَرَأَ بها.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.

معناه لكفورٌ، يعنى بذلك الكـافِـرُ.

﴿وَإِنَّـهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.

معنى ﴿لَشَدِيد﴾ لَبخيلٌ، أي وإنه من أَجْل حُبِّ المال لبخيل، قال طـرفـة:

أرى المـوت يعتام الكـرام ويصطفي   عقيلةَ مـال الفـاحش المتشَـدِّدُ[1]

وقوله: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ ما فِي القُبُور﴾.

بعثر وبحثر بمعنى وَاحِدٍ، والمعنى أفلا يعلم إذا بعث الموتى.

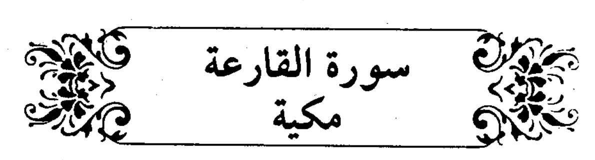
وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾.

اللَّه عز وجل خبيـر بَهَم في ذلك اليـوم وَفي غيره، ولكن المعنى إن اللَّه يجـازيهم على كفرهم في ذلـك اليوم، وليس يجـازيهم إلَّا بِعِلْمِـهِ أعمـالهم، ومثله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَـا فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2] فمعناه أولئك الذين لا يترك مجازاتَهُمْ.

---

(١) البيت الـرابع والستـون من معلقته انـظر شرح الزوزني ص ٦٣ (ط صبيـح). ويعتـام: يختـار، والعقيلة الكرية، والفاحش البخيل، والمتشدد يمكن أن يكون بمعنى البخيل كما ذكر فيفيد المبالغة، ويمكن أن يكون بمعنى المبالغ في البخل وهو أقرب ويمكن أن تكون الآية. وأنه لكثير الحب لجمع المال.

(٢) سورة النساء /٦٣.



سورة القارعة
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿القَارِعَةُ وَما القَارِعَةُ﴾.

القارعة والواقعة والحاقَّة مِن صفات ساعة القيامَةِ، والقارعة التي تقرع بالأهوال. وقد فسرنا إعراب ﴿الحَاقَّةُ ما الحَاقَّةُ﴾ ومِثلها ﴿القَارِعَةُ ما القارعة﴾.

وقوله:﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالفَرَاشِ المَبْثُوثِ﴾.

﴿يَوْمَ﴾ منصوب على الظرف، المعنى يكون يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، والفراش ما تراه كصغار البقّ يتهافت في النَّار، وشبه الناس في وقت البعث بالجراد المنتشر، والفراش المبثوث لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعضٍ كالجرادُ الذي يموج بعضه في بعض.

وقوله :﴿كَالْعِهْنِ المَنْفُوشِ﴾.

﴿العِهْنِ﴾ الصوف،واحدته عِهنة ،يقالُ عِهْنة وعِهْنٌ، مثل صوفة وصوف.

وقوله:﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾.

ذات رِضًى، معناه من ثقلت موازينه بالحسنات، كما تقول: لفلان عندي وزن ثقيلٌ،تأويله له وزن في الخير ثقيل،ومعنى ﴿في عيشة راضيةٍ﴾ ذات رضى يرضاها من يعيش فيها، وقال قوم: معناه مَرْضِيَّةٍ، وهو يعود إلى هذا المعنى في التفسير.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.

أي فَمَسْكَنَه النار، وقيل ﴿أُمُّه﴾ لَمَسْكِنِه لأن الأصل في السُّكونِ إلى الأُمَّهاتِ فَأُبْدَلَ فِيمَا يَسْكُنُ إلَيْه ﴿نَارٌ حَامِيَة﴾.

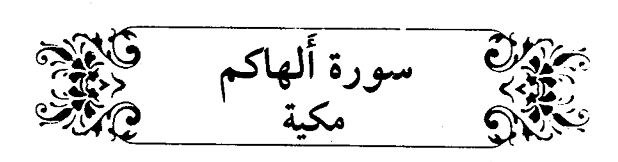
وقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ﴾.

الوقف «هِيَه»، والوصل هي نار حَامِيَةٌ إلَّا أن الهاء دخلت في الوقف تبين فتحة الياء[1]، والذي يجب اتّباع المصحف فيوقف عليها ولا توصل، فيقرأ: ﴿وما أدراكَ ماهيه. نارٌ حامية﴾، لأن السنة اتباع المصحف، والهاء ثابتة فيه[2].

---

(١) يريد: حيث دخلت هاء السكت وهي ساكنة فتحت الياء، إذ لم تعد الياء آخر الكلمة.

(٢) ويجوز الوصل ولكن ها السّكت باقية على ما هي عليه.



سورة ألهاكم
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾.

أي شَغَلكم التَّكَاثُر بالأموال والأولاد عن طاعة اللّهِ.

﴿حَتَّى زُرْتُمُ المَقَابِرَ﴾.

أي حتى أَدْرَككم الموت على تلك الحال. وجاء في التفسير أن حَيَّينِ من العرب، وهم بنو عبد مناف وبنو سهم تَفاخروا وتكاثروا، ففخرت بنو عبد مناف على بني سهم بأن عدوا الأحياء، فقالت بنو سهم: فاذكروا الموتى. وَكَثَرَتْهُم بَنُو سهم بعد أن كان بنو عبد مناف قد كَثَرُوا بني سَهْمٍ[1].

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿كَلَّا﴾ ردع وتنبيه، المعنى ليس الأمر الذي ينبغي أن يكونوا عليه التَّكَاثُرَ، والذي ينبغي أن يكونوا عليه طاعة اللّه والايمانُ بنبيه ﷺ.

وقوله عز وجل: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينِ﴾.

المعنى لو علمتم الشيء حق علمه، وصرفتُم التفهم إليه، لارْتَدَعْتُم. ثم قال:

﴿لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ﴾.

---

(١) كثروهم زادوا عليهم في العدد.

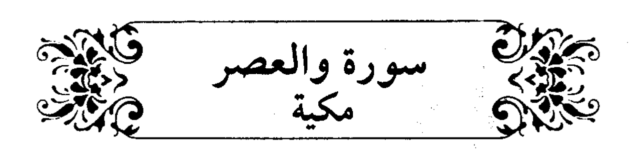
كمـا قال: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. والقـراءة لتـروُنَّ - بضم الـواو غيـر مهموزة - فضمت الواو لسكونها وسكـون النون - وقـد همزهـا بعضهم - لَتَرؤُنَّ - والنحـويـون يكرهون همزة الواو، لأن ضمتها غير لازمة لأنها حـركت لالتقاء الساكنين، ويهمزون الواو التي ضمتها لازمة نحـو أَدْؤُرٍ جمع دار، فيجـوز أدؤر بالهمز وادور بغيـر الهمز، وأنت مخيـر فيهما، فـأمـا «لَتَـرؤنَّ» ثم لَتَرَوُنَّهـا فلا يختار النحويون إلَّا ترك الهمـزة، وقرئت: «لَتُـرَؤُنَّ» الجحيم، على ما لم يُسَمَّ فاعِلُه.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾.

أي يوم القيامة، عن كل مـا يتنعَم به في الـدنيا، وجـاء في الحديث أن النبي عليه السلام أكل هو وجمـاعةٌ من أصحـابه تمـراً - وروي بُسْراً[1] - وشربوا عليه ماء فقـال: الحمد للَّه الـذي أطعمنا وسقـانا وجعلنـا مسلمين، . وجاء أن مما لا يسأل العبد عنه لباساً يواري سوْأَتَه وطعامـاً يقيم به صلبـه، ومكانـاً يكنه مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ.

---

(١) البسر: بضم الباء - الغض من كل شيء - والتّمر قبل إرطابه، وقد تضم السين.



سورة والعصر
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿وَالْعَصْرِ، إنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾.

الانسان ههنا في معنى الناس، كما تقول: قد كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس، تريد قد كثر الدراهم، وقوله:﴿لفي خُسْرٍ﴾ الخسرُ والخسْرانُ في معنى وَاحِدٍ، المعنى أن الناس الكفارَ والعاملين بغير طاعة اللّه لفي خُسرٍ.

﴿إلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بالحَقّ وَتَوَاصَوْا بـالصَّبْرِ﴾.

تواصوا بالإقامة على تَوْحِيدِ اللّه والايمان بنبيه عليه السلام.

وَتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ على طاعة اللّه والجهاد في سبيله والقيام بشرائع نبيه.

والعصر هو الدهر، والعصران اليوم، والعصرُ الليلة، قال الشاعر:

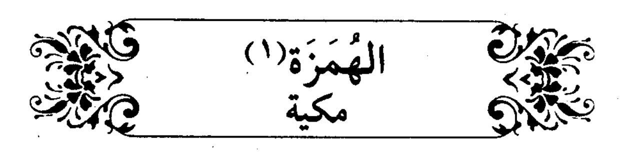
ولـن يَلْبـثَ العَـصْـرانِ يَـومٌ وليـلةٌ إذَا طلبـا أَن يُـدرِكـا مَـا تـيـمّمـا[1]

---

(١) نسبه في البحر المحيط ٨/٥٠٩ لحميد بن ثور، وهو مذكور في ميمية المتلمس، وانظر الخزانة ٤/٢١٥ والعيني ٤/٤١١، والقرطبي ٢/١٧٩، وطبقات النحويين ٣٣. والاصمعيات ١/٦٤ والقصيدة بالديوان ١٦٦، قال أبو عمرو وكانت العرب إذا أرادوا أن ينشدوا هذه القصيدة توضأوا لها. والمعنى أن الأيام تأتي مع كل شيء.

﴿وَالعَصْرِ﴾ قسم وجوابه ﴿إِنَّ الإنسانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، وقال بعضهم: معناه ورَبَّ العصر كما قال جل ثناؤه: ﴿فَوَرَبِّ السَّماءِ والأَرْضِ﴾[1].

(١) سورة والذاريات الآية ٢٣.



الهُمَزَة[1]
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله:﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾.

﴿وَيْلٌ﴾ مرفوع بالابتداء والخبر ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ ولو كان في غير القرآن جاز النصب، ولا يجوز في القرآن لمخالفة المصحف. فمن قال: ويْلًا للكافرين، فالمعنى جعل اللّه له ويلاً، ومن قال: وَيْلٌ فهو أجود في العربية لأنه قد ثبت له الويل، والويل كلمة تقال لكل من وقع في هلكة.

والهُمَزَةُ اللُّمَزَةُ الذي يغتاب النَّاسَ وَيَعَضُّهم قال الشاعر:[2]

إذا لقيتك عن كره تكاشرني ... وإن تغيبت كنت الهامز اللمزة

وقرئت: ﴿الذي جَمَّعَ مَالاً﴾، وقرئت ﴿جَمَعَ مَالاً﴾، بالتخفيف، وقرئت ﴿وَعَدَّدَه﴾ بالتشديد، وقرئت ﴿وَعَدَدَهُ﴾ ـ بالتخفيف، فمن قرأ ﴿وَعَدَّدَهُ﴾ فمعناه وَعَدَّدَهُ للدُّهُور، ومن قرأ ﴿وَعدَدَهُ﴾ فمعناه جمع مالاً وَعَدَداً، أي وقوماً أَعَدَّهم نُصَّاراً.

---

(١) كذا في الأصل بدون ذكر سورة.

(٢) في اللسان (همز): إذا لقيتك عن شحط ـ وفي مجاز أبي عبيدة ٢/٤٣١١، «تدلى بودي إذا لاقيتني كذبا».

وانظر القرطبي ١٨٢/٣٠، والطبري ١٦١/٣٠.

وقوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَه أَخْلَدَهُ﴾.

أي يعمل عمل من لا يظن مع يساره أنه يَمُوتَ.

وقوله: ﴿لَيُنْبَذَنَّ فِي الحُطَمَةِ﴾.

أي يرمى به في النار، والحُطَمَةُ اسم من اسماء النار، وقرئت «لَيُنْبَذَانِّ» في الحطمةِ، ورويت عن الحسن، على أن المعنى لينبذنَّ هو وماله في الحُطَمَةِ، وقرئت لَتَنْبُذُنَّ، في الحطمة، فمعناه أنه لينبذ هو وجمعُه في الحطمة. والقراءة المعروفة ﴿لَيُنْبَذَنَّ﴾.

قوله: ﴿نَارُ اللَّهِ المُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأفئِدةِ﴾.

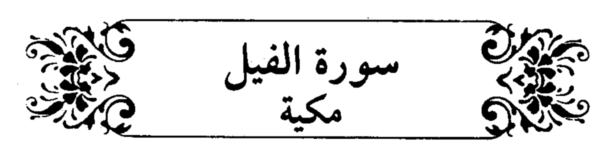
هذه نار معدة لهؤلاء الكفار ومن كان مثلهم، ومعنى ﴿تطَّلِعُ عَلَى الأفْئِدَةِ﴾ يبلغ ألمها وإحْرَاقُها إلى الأفئدة.

وقوله: ﴿إنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ﴾.

قرئت بالهمز وبغير همز، وقرئت مُوصَدَة، والعرب تقول أَوْصَدْتُه فعلى هذا مُوصَدَةٌ، وتقول آصَدْتُه فعلى هذا مُؤْصَدَة. بالهمزة، ومعنى «مُوصَدَةٌ» مطبقة، أي العَذَابُ مطبَقٌ عليهم.

وقوله: ﴿في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾.

وقرئت في عُمُدٍ وهو جمع عَمَادٍ وَعُمَد وَعُمُد، كما قالوا: إهَابٌ وَأُهَبٌ وأُهُبٌ. ومعناه أنها في عُمَد مِنَ النَّارِ.



سورة الفيل
مكية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ كيف فَعَلَ رَبُّك بِأَصْحَابِ الفِيلِ﴾.

﴿كيف﴾ في موضع نصب بـ ﴿فعَلَ رَبُّكَ﴾ لا بِقَوْله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، لأن كيف من حروف الاستفهام، ومعنى ﴿أَلم تر﴾ ألم تعلم، فأعلم اللَّه ـ عز وجل ـ رسوله ما كان مما سَلَفَ من الأقاصيص وما فيه دَالٌّ على توحيد اللَّه وتعظيمه أمر كعبته، وكان من قصة أصحاب الفيل أَنَّ قوماً من العرب ـ وكانوا ببلاد النجاشي ـ وكانوا بحضرة بيت هو مُصَلًّى للنَصَارَى وأصحاب النجاشي، فأججوا ناراً استعملوها لبعض ما احتاجوا إليه، ثم رحلوا ولم يطفئوها فحملتها الريح حتى أَحْرَقَتِ البَيْتَ الذي كان مصلاهم وَمَثَابَةً للنجاشي وَأَصْحَابِه، فقصد مكة مُقَدِّراً أَنْ يَحرقَ بيتِ الحَرَامَ ويستبيح أهل مكة. فلما قربوا من الحرم لَمْ تَسِرْ بهم دَوَابُّهم نحو البيتِ فإذا عطفوها راجعين سَارَتْ. فوعظهم اللَّه بِأَبْلَغ مَوْعظةٍ، فأقاموا على قصد البيت وعلى أن يحرقوه، فأرسل اللَّه عليهم طَيراً أَبابيل، فجعل كيدهم في تضليل، أي في ذهاب وهلاك، وكان مع كل طائر ثلاثة أحجار، حجر في منقاره وحَجران في رجليه، يقع الحجر منها على رأس الرجل فيخرج من دبره على كل حجر اسم الرجل الذي وقع عليه، فقال اللَّه جل ثناؤه: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيراً أَبَابِيلَ﴾: جماعات من ههنا وجماعات من ههنا والمعنى أرسل اللَّه عليهم هذا الطير بهذه الحجارة من كل جانب.

ومعنى ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾.

وصف اللَّه في كل من عَذَّبه بالحجارة أَنَّها مِنْ سِجِّيلٍ، فقال في قوم لُوطٍ: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ﴾.

فالمعنى وأرْسَل عليهم ما يرميهم بحجارة من سِجّيل، أي من شديد عَذَابه، والعرب إذا وصفت المكروه بسِجِيلٍ كأنها تعني به الشدَّةَ ولا يوصف به غير المكروه، قال الشاعر[٢].

ورَجْلَةٍ يضربون البَيْضَ ضَاحِيَةً ضَرْباً تَوَاصَتْ به الأبْطَالُ سجّيلاً

أَيْ ضَرْباً شَدِيداً.

وأما ﴿أبابيل﴾ قال أبو عُبَيدَةَ: لا واحد لها، وقال غيره: إبَّالةٌ وَأَبابيل. و «إبَّالَة» كأنها جماعة، وقَالَ بَعْضُهم واحدها «إبَّوْل» وأبابيل، مثل عجول وعجاجيل.

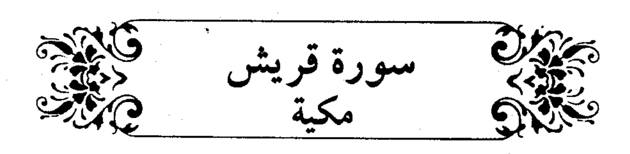
﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾.

أي جعلهم كورق الزرع الذي جُزَّ وأكل، أي وقع فيه الآكال. وجاء في التفسير أن اللَّه تعالى أرسل عليهم سيلاً فحملهم إلى البحر.

---

(١) سورة هود /٨٢.

(١) تقدم.



بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿لِإِيلافِ قُرَيْشٍ﴾.

فيه ثلاثة أوجه: لِإِلَافِ قريش، ولإِيلاف قريش، ووجه ثالث «لِإِلْفِ قُرَيْشٍ». وقد قرئ بالوجهين الأولين.

وقوله: ﴿إِيلَافِهِمْ. رِحْلَةَ الشِّتَاءِ والصَّيْفِ﴾.

يجوز فيه ما جاز في «لِإِيلَافِ» إلَّا أَنَّه قد قرئ في هذه «إِلْفِهِمْ» و«إيلافهم» ويجوز إِلَافِهِم. وهذه اللام قال النحويون فيها ثلاثة أوجه، قيل هي موصولة بما قبلها، المعنى فجعلهم كعصف مأكول لالف قريش، أي أهلك اللَّه أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد أَلِفُوا من رحلة الشتاء والصيف.

وقال قوم: هذه لام التعجب فكان المعنى اعجبوا لايلاف قريش.

وقال النحويون الذين ترتضى عربيتهم: هذه اللام معناها متصل بما بعد فليعبدوا، والمعنى فليعبد[1] هؤلاء ربّ هذا البيت لِإِلْفِهِمْ رحلة الشتاء والصيف.

والتأويل أن قريشاً كانوا يرحلون في الشتاء إلى الشام وفي الصيف إلى

(١) في الأصل فليعبدوا هؤلاء.

اليمن فيمتارون، وكانوا في الرحلتين آمنين والناس يتخطفون، وكانوا إذا عرض لهم عارض قالوا نحن أهل حرم اللّه فلا يتعرض لهم. فأعلم اللّه سبحانه أن من الدلالة على وحدانيته ما فعل بهؤلاء لأنهم ببلد لا زرع فيه وأنهم فيه آمنون. قال اللّه ـ جل ثناؤه ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾[1] أي يؤمنون بالأصنام ويكفرون باللّه ـعزوجلـ الذي أنعم عليهم بهذه النِّعْمَةِ، فأمرهم بعبادته وحده لأَنْ آلَفَهُم هاتين الرحلتين.

﴿وَأَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾.

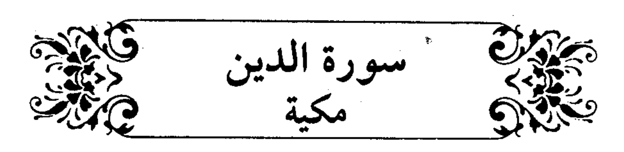
وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيف.

﴿وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾.

آمنهم من أن يخافوا في الحرم، ومِن أَنْ يخافوا في رحلتهم يقال: أَلِفْت المكان آلفه إلفاً، وآلفت المكان بمعنى ألفت، أولِفهُ إيلافاً.

---

(١) سورة العنكبوت /٦٧.



سورة الدين
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى:﴿أَرَأَيْتَ الَّذي يُكَذِّبُ بالدِّينِ﴾.

وقرئت «أَرَيْتَ»! والاختيارُ أَرَأيت بإثبات الهمـزة الثانيـة لأن الهمزة إنَّمـا طـرحت للمستقبل في تـرى ويرى وأرى، والأصـل ترأى ويَـرأى، فـأمـا رأيت فليس يصـح عن العرب فيهـا ريت، ولكن ألف الاستفهام لمـا كـانت في أول الكلام سَهَّلَت إلقاء الهمزة، والاختيار إثباتها.

وقوله: ﴿يَدُعُّ اليَتِيمَ﴾.

معنى يدُع في اللغة يدفع، وكذلك قوله:﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾ أي يدفعون إليها دفعاً بعنف، فذلك الذي يَدُعُّ اليَتِيمَ عن حَقِّه.

وقوله: ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ﴾.

أي لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطْعَامِه، ويقرأ فذلك الذي يَـدَعُ اليتيم، تأويله فذلك الذي لا يعبأ باليتيـم ويتركه مهملاً وقوله:﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَـلاَتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾.

يُعْنَى بهـذا المنافقـون، لأنهم كانـوا إنَمَا يـراءون بالصـلاة إذَا هُمْ رآهم المؤمنـون صلوا معهم، وإذا لم يـروهم لم يصلوا، وقيـل هم عن صـلاتهم

ساهون يؤخرونها عن وقتهـا، ومن تعمَّد تـأخيرهـا عن وقتها حتى يـدخل وقت غيرها فالويل له أيضاً كما قال اللّه عز وجل.

وقوله عز وجل: ﴿وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ﴾.

أي يمنعـون ما فيـه منفعة، والمـاعون في الجـاهلية مـا فيه منفعـة حتى الفأس والدلو والقدر والقَدَّاحَة وكل ما انتفع به من قليل أو كثير، قال الأعشى:

بـأجـوَدَ منـه بمـاعُـونِـه إذَا ما سماؤهمـو لـم تُغِـمْ[1]

والماعون في الاسـلام قيل هـو الزكـاة والطاعـة، قال الراعـي.

قـوم على الإسلام لمـا يمنعوا ما عونهم ويضيعـوا التهليلا[2]

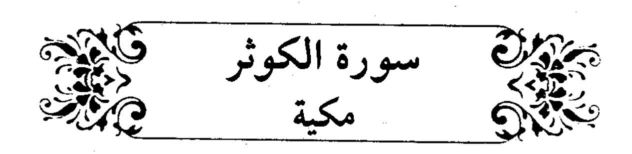
---

(١) في اللسان المراد بالماعون هنا متـاع البيت وكل مـا يعار. والـظاهر من البيت أن المـراد بـه مـاعون الطعام ـ لأن انقطاع الغيم وقلة المطر مهيىء للمجاعة وتحوج الناس للطعام.

والبيت في اللسان (معن) والطبري ١٧٥/٣٠، والقرطبي ٢١٤/٢٠. ومجاز أبي عبيدة ٣١٣/٢.

من قصيدته في مدح معاوية الأكرمين.

(٢) من لاميته التي في آخر ديوان جرير ـ ويروى البيت أيضـاً قوم عـلى التنزيـل ـ وهو في القـرطبي في الآيـة نفسها مـع بيتين من القصـدة. والمراد بـالتهليل كله لا إلـه إلا اللّه. ويروى التنـزيلا ـ أي القرآن.



سورة الكوثر
مكية

بسم اللّٰه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الكَوْثَرَ﴾.

جاء في التفسير أن الكوثر نهر في الجنة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، حافَّتَاه قباب الدر، مجوف، وجاء في التفسير أيضاً أن الكوثر الاسلام والنبـوَّةُ. وقال أهـل اللغة: الكـوثر فـوعل من الكثـرة، ومعناه الخيـر الكثيـر. وجميع ما جاء في تفسير هذا قد أعطيه النبي عليه السلام. قد أعطي الاسـلام والنبوة وإظهار الدين الذي أتى به على كل دين والنصـر على عدوه والشفـاعة، ومـا لا يحصى مما أعـطيه، وقـد أعطي من الجنـة على قـدر فضله على أهـل الجنة.

ومعنى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ﴾.

أي وانحر أيضاً لربك، وقيـل يعنى به صـلاة الغداة في يـوم النحر، أي وانحـر بعد صـلاة الفجر، والأكثـر فيما جـاء «فَصَلِّ لِرَبك وانْحَرْ» صـلاة يـوم الأضْحَى ثم النحر بعد الصلاة. وقيل فصل لربك وانحر أي اجعل يمينـك على شمالك إذا وقفت في الصلاة وضمهما إلى صدرك[١].

---

(١) في الأصل وضمها ـ والمراد اجعل يـدك اليمنى فوق يـدك اليسرى مضمـومتين إلى صـدرك ـ وهذا بعيد عن نص الآية.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾.

﴿شانئك﴾ مبغضك وهذا هو العاص بن وائل دخل النبي عليه السلام وهو جالس فقال: هذا الأبتر، أي هذا الذي لا عقب له، فقال اللّه تعالى: إن شانئك يا محمد هو الأبتر. فجائز أن يكون هو المنقطع العقب، وجائز أن يكون هو المنقطع عنه كل خير، والبتر استئصال القطع.

سورة الكافرين[1]
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَا أَيُّها الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدونَ، وَلَا أَنْتُم عَابِدُونَ ما أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا [عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ]﴾.

أي لست في حالي هذه عابداً ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُم.

أي ولا أعبد فيما أستَقْبِل ما عبدتم، ولا انتم فيما تستقبلون عابدون ما أعبد - فهذا نفي الحال، وأن يكون أيضاً فيما يستقبل، ينتقل عن الحال، وكذلك نفى عنهم العبادة في الحال للَّه عز وجل وفي الاستقبال. وهذا واللَّه أعلم في قومه، أعلمه اللَّه أنهم لا يؤمنونَ كما قال عز وجل في قصة نوح: ﴿لَنْ يُؤمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾.

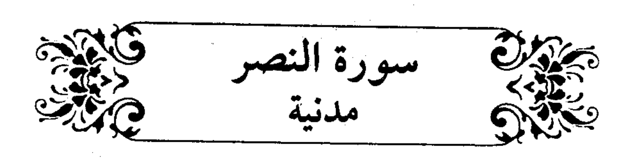
﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ﴾.

قيل هذا قبل أن يؤمر ﷺ بالقتال.

---

(١) هكذا جاءت في الأصل - على أن الكافرين مضاف إليه مجرور. والأولى ن تأتي على الحكاية «الكافرون» كما في المصاحف.





سورة النصر
مدنية

بسم اللّه الرحمن الرحيم

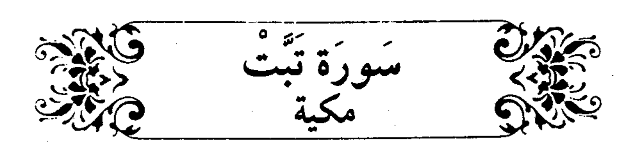
قوله عز وجل:﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ والفَتْحُ﴾.

قيل إن الفتح كَمَا جاء في التفسير أنه نعيت إلى النبي ﷺ نفسه في هذه السورة. فأعلم [اللَّه - عز وجل -] أنه إِذَا جَاء فتح مكة ودخل الناس في الاسلام أفواجاً فقد قرب أجله ﷺ وكان يقول ذلك إنه قد نعيت إلى نفسي في هذه السورة.

فأمره اللّه عز وجل أن يكثر التسبيحَ والاستغفار ليختم له في آخرِ عمره بالزيادة في العمل الصالح باتباع ما أمره به.

ومعنى: ﴿أفواجاً﴾ جماعات كثيرة، أي بعد أن كانوا يدخلون وَاحِداً واحِداً، واثنين اثنين، صارت القبيلة تدخل بأسرها في الإسلام.





بسم اللّه الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾.

معناه خسرت يدا أبي لهب، وَتَبَّ أي خسِرَ.

وجاء في التفسير أن النبي ﷺ دعا عمومته و

فقالوا: أحدنا وحده يأكل الشاة وإنما قدم إلينا

جميعاً ولم يُنْقَص منها إلا الشيء السير، فقالوا: ما

لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم، وإنما تَتَفاضَ

لهب: تبًّا لك ألهذا دعوتنا، فأنزل اللّه عز وجل: ﴿تَبَّتْ

وقوله: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾.

المفسرون قالوا: ما كسب ههنا ولَدُه. مـ

أغنى عنه ماله وكسبه.

﴿سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾

أي وولده سيصلى ناراً ذات لهب. ويقرأ سَيُ

﴿وامْرَأَتُه حَمَّالَةُ الحَطَبِ﴾.

ويقرأ حمالةَ الحطب - بالنصب - وامرأتـ

العطف على ما في «سيصلى» المعنى سيصلى هـ

الحطب﴾ نَعْتاً لها. ومن نصب فعلى الذم، والمعنى ...

ويجوز رفع وامرأته على الابتداء وحمالة من نعتها، ويكون الخبر ﴿في جِيدِهَا حَبْلٌ مِن مَسَدٍ﴾ خبر الابتداء.

وجاء في التفسير حمالة الحطب أنها أم جميل وأنها كانت تمشي بالنميمة قال الشاعر:[1]

من البيض لم تُصْطَدْ على ظَهر لَامَةٍ ولم تمس بين الحي بالحطب الجزل

أي بالنميمة.

وقيل إنها كانت تحمل الشوك، شوك العضاة فتطرحه في طريق النبي ﷺ وأصحابه.

وقوله عز وجل:﴿في جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾.

الجيد العنق، وقيل في التفسير:﴿حبل مِنْ مَسَدٍ﴾.سلسلة طولها سَبْعُونَ ذراعاً، يعنى أنها تسلك في السلسلة سبعون ذراعاً[2]، والمسد في لغة العرب الحبل إذا كان من ليف المقل[3]، وقد يقال لما كان من أدبار الأبل من الحبال مَسَدٌ، قال الشاعِرُ:

ومسد أُمِرَّ مِن أَيانق[4]

---

(١) اللامة اللوم ـ ولم تصطد ـ لم تُلْفَ. لم تر. من شواهد الكشاف/١٨.

(٢) هكذا جاءت العبارة في الأصل ـ ونقل صاحب اللسان عن الزجاج في تفسير هذه الآية: جاء في التفسير أنها سلسلة طولها سبعون ذراعاً يسلك بها في النار، والجمع أمساد ومساد. ثم نقل كلامه هنا أيضاً ـ انظر اللسان (مسد).

(٣) المقل هو شجر الدوم.

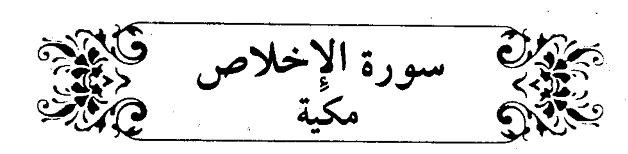
(٤) نقل اللسان عن ابن سيده ان المسد حبل من ليف أو خوص أو شعر أو وبر أو صوف أو جلود الابل أو من أوبارها. قال: وأنشد الأصمعي لعمارة بن طارق، وقال أبو عبيدة: هو لعقبة الهجيمي:

فاعجل بغرب مثل غرب طارق ومسد أمر من أيانق

يريد حبلا فتل من جلود نوق ليست من النيب ولا من الحقائق ـ والنيب والانياب جمع ناب وهو البعير الذي انشق نابه، والحقائق جمع حقة وهي التي دخلت السنة الرابعة، وليس جلدها قويا. فهو يريد مسدا فتل من جلد ابل ليست بالصغيرة ولا بالكبيرة. وجاء في مجاز أبي عبيدة:

ومسد أمر من أيانق صهب عناق ذات مخ زاهق

والمخ الزاهق هو المكتنز ـ وذكر الطبري هذين البيتين اللذين ذكرهما أبو عبيدة.



سورة الإخلاص
مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل :﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ. اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

بتنوين أحَدٍ، وقرئت بترك التنوين «أَحَدُ اللَّهُ الصَّمَدُ» وقرئت بإسكان الدال. وحذف التنوين، أما حذف التنوين، فلالتقاء الساكنين أيضاً، إلا أنه سكون[1] الساكنين، فمن أسكن أراد الوقف ثم ابتدأ فقال: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ وأما «هو»، فإنما هو كناية عن ذِكْرِ اللَّه عز وجل. المعنى الذي سألتم تبيين نِسْبَته «هو اللَّه»، وأحد مرفوع على معنى هو أحد هو اللَّه فهو مبتدأ ويجوز أن يكون «هو» للأمر[2] كما تقول هو زَيد قَائِمٌ ، أي الأمر زيدٌ قائم، والمعنى الأمر اللَّه أَحَدٌ.

وقوله: ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.

رُوِيَ في التفسير أن المشركين قالوا للنبي ﷺ انسب لنا ربك، فأنزل اللَّه عز وجل :﴿قل هو اللَّه أَحَدٌ اللَّهُ الصَمَدُ﴾، وتفسير الصمد السَيد الذي ينتهي إليه السُّؤدَدُ قال الشاعر[3] :

---

(١) بياض بالأصل ولم نجد ما نكمله منه.

(٢) للحال والشأن.

(٣) هو سبرة بن عمرو الاسدي، ويقال: انه لهند بنت معبد تبكي عمها وفي الأغاني أنها لنادبة الغربيين ـ وخيرهما معروف. وانظر الأغاني ٩٢/٢٢ (ط دار الكتب) ـ والخزانة ٥٠٩/٤، والطبري ١٩٧/٣٠ واللسان (صمد).

لقـد بكَّرَ النـاعِي بخيـري بني أَسـد　　بعمـرو بن مَسعود وبـالسّيـد الصَّمَـد

وقيل الصمد الذي لا جوف له، وقيل الصمد الذي صَمَـدَ له كـل شيء والذي خلق الاشياء كلها، لا يستغنى عنه شيء وكلها تدل على وحدانيته وهذه الصفات كلها يجوز أن تكون للّه عز وجل.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾.

فيها أربعة أوجه في القراءة.

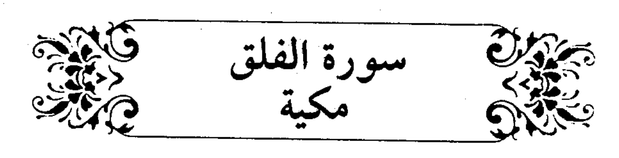
﴿كُفُواً﴾[1] بضم الكاف والفاء، وكُفْواً بضم الكـاف وسكون الفـاء وكِفْـواً بكسر الكاف وسكون الفاء. وقد قرىء بهـا. وكِفَاء بكسـر الكاف. والكفـء ـ بفتح الكاف وسكون الفاء اسم[2]. لم يقـرأ بها، وفيهـا وجه آخـر لا يجوز في القراءة. ويقال فلان كُفـءُ فلان مثل كُفِيّ فلان.

جاء في الحديث أن ﴿قل هو اللّه أحد﴾ تعدل بثلث القرآن، و ﴿قُلْ يـا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن، و ﴿إذا زلزلت﴾ تعدل نصف القرآن.

---

(١) سقطت كلمة غير ظاهرة الكتابة في الأصل.

(٢) من كفأه صار له نظيراً.



بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ﴾.

وهو فلق الصبح وهو ضياؤه[1]، ويقال أيضاً فرق الصبح. يقال: «هو أبين من فلق الصبح». ومعنى الفلق الخلق: قال اللَّه عز وجل :﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾[2] ﴿فَالِقُ الحَبِ والنَوَى﴾[2]. وكذلك فلق الأرض بالنبات والسحاب بالمطر، وإذا تأملت الخلق تبين لك أن خلقه أكثره عن انفلاق. فالفلق جميع المخلوقات وفلق الصبح من ذلك.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾.

﴿غاسق﴾ يعنى به الليل، إذا وقب إذا دَخَل، وقيل لليل غاسقٌ - واللَّه أعلم - لأنه أبرد من النهار، والغاسق البارد.

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ﴾.

﴿النفاثات﴾ السواحر، تنفث: تتفل بلا ريق كأنه نفخ كما يفعل كل من يرقى.

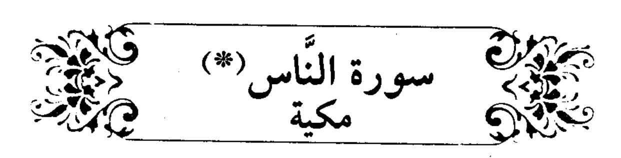
---

(١) في الأصل وضيائه.

(٢) هما آيتان متتاليتان سورة الأنعام الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الحَبِّ والنَوَى﴾ آية ٩٥، و﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ﴾ آية ٩٦.

تنبيه: لم يرد تفسير لسورة الناس.





سورة النَّاس (*)
مكية

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

﴿الوَسْوَاسِ﴾ : هو الشيطان، يقال وسوس في صدره ووسوس إليه، والوسوسة الكلام الخفي في اختلاط، والوسواس اسم منه ـ وفسرت هنا بأن المعنى من شرِ ذي الوسواس، أي الشيطان. فيكون الوسواس مصدراً، وهذا الوزن يأتي في المضعف نحو زلزال وهو قليل من غيره نحو تحنان.

﴿الخَنَّاسِ﴾ : صيغة مبالغة من خنس بمعنى انقبض وتأخر، والمصدر خنوس ـ كجلوس والمادة كلها تدور على هذا الأصل؛ فالنجوم الخُنَّسُ هي التي تخنس عن مجراها وتختفي بضياء الشمس، وفي الحديث: الشيطان يوسوس إلى العبد فإذا ذكر اللَّه خنس، أي انقبض وتأخر، والخنس في الأنف تأخره إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة.

﴿والجِنَّةِ﴾ الجن، وسبق اللفظ كثيراً.

وذكر الجنة والناس للاستعاذة بكل ما يوسوس بسوء سواء كان من الشياطين أو الأناسي.

(*) سبق أن الزجاج لم يفسر هذه السورة، وكرهنا أن ندعها بدون تفسير فشرحنا هذه الكلمات شرحاً لغوياً قريباً من طريقته.

والحمد للَّه الذي هدانا لهذا، وما كنا لِنَهْتَدِيَ لولا أن هدانا اللَّه.

وصلى اللَّه على سيدنا محمد النبيِ الأمي وعلى آله وصحبه وكل من اهتدى بهديه.



مراجع التحقيق والشرح

الإتقان في علوم القرآن: للسيوطي.

أخبار النحويين البصريين: للسيرافي.

الإرشاد ـ معجم الأدباء: لياقوت الحموي.

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لابن عبد البر.

الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر.

الأصمعيات: مجموع أشعار العرب: للأصمعي.

الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني.

أمالي ابن الشجري: هبة الله بن علي بن حمزة.

الأمالي الصغرى للزجاجي: عبد الرحمن بن إسحاق.

أمالي القالي: أبو علي القالي.

أمالي المرتضى: أبو القاسم علي بن طاهر.

إنباه الرواة على انباه النحاة: للقفطي أبو الحسن علي بن يوسف.

بغية الوعاة في طبقات النحاة: للسيوطي.

البيان والتبيين: للجاحظ ـ أبو عثمان عمرو بن بحر.

تاج العروس من جواهر القاموس: محب الدين المرتضى.

طبقات الشعراء: لمحمد بن سلام الجمحي.

جمهور أشعار العرب: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب.

الحماسة: لأبي تمام حبيب بن أوس شرح التبريزي.

خزانة الأدب: لـ عبد القادر البغدادي.

دواوين الشعراء:

الأعشى (الصبح المنير).
ديوان امرىء القيس من الدواوين الستة في كتاب «العقد الثمين»
ديوان جرير شرح بعناية محمد الصاوي.
ديوان حسان بن ثابت.
ديوان زهير بن أبي سلمة: شرح ثعلب.
ديوان طرفة: من الستة (العقد الثمين).
ديوان الهذليين.
شرح العشر المعلقات، وقصائد للأعشى والنابغة وعبيد بن الأبرص: للزوزني.
شرح الكامل في اللغة والأدب للمبرد، ورغبة الآمل: للمرصفي.
شرح المفضليات.
شرح شواهد الكشاف.
شرح شواهد المغني: للسيوطي، ولمحمد الأمير.
العقد الثمين: دواوين الشعراء الستة الجاهليين، النابغة، عنترة، طرفة، زهير، علقمة، امرىء القيس.
العقد الفريد: لابن عبد ربه.
غاية النهاية في طبقات القراء: لابن الجزري (للمستشرق برجستراسر).
المزهر في علوم اللغة: للسيوطي.
معاني القرآن: للفراء.
كتاب سيبويه. بهامشه شرح الأعلم الشنتمري.
مجاز القرآن: لأبي عبيدة كتاب سيبويه. نسخة أخرى بتحقيق عبد السلام هارون.
معاهد التنصيص: عبد الرحيم العباسي.
المفضليات: للضبي مع عدد من الشروح.
وفيات الأعيان.

الفهارس



البحوث اللغوية

فهرس الأبيات الشعرية

أنصاف الأبيات



فهرس الموضوعات